

باعث هذه الرواية نحو مليون نسخة في طبعاتها المختلفة

ليوجين يون

سرير الغريباء

ترجمة وتقديم

د. حسانين فهمي حسين

رواية

من الأدب الصيني

ليوجين يون

刘震云

سرير الغرباء

رواية

ترجمة وتقديم

د. حسانين فهمي حسين

سيفسا
SEFSafa PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSafa.NET

د. حسانين فهمي حسين / الأستاذ المساعد بقسم اللغة الصينية جامعة عين شمس. صدر له العديد من الترجمات من الصينية إلى العربية والعكس. عضو الجمعية الدولية لدراسات الأديب الصيني لوشون، والجمعية الدولية لدراسات أديب نوبل مويان. حصل على " جائزة "الشباب للترجمة" المركز القومي للترجمة". " جائزة الإسهام المتميز في ترجمة الكتب الصينية"، وهي أكبر جائزة تمنحها الصين للمترجمين الأجانب، والعديد من شهادات التقدير لجهوده في الدراسات الصينية والترجمة.

سريير الغرياء

طبعة 2020

رقم الإيداع: 2020/11672

التقييم الدولي: 3-160-821-977-978

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any form or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر

محمد البعلي

إخراج فني

علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار صنفصافة.

@Changjiang New Century Culture and Media Ltd. Beijing, China

صنفصافة

SEFSABA PUBLISHING HOUSE

WWW.SEFSABA.NET

elbaaly@gmail.com

دار صنفصافة للنشر والتوزيع والدراسات

5 ش المسجد الأقصى - من ش المنشية - الجيزة - ج م ع.

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،
إدارة الشؤون الفنية

ليوجين يون

سرير الغرباء: ليوجين يون / ترجمة وتقديم: حسانين فهمي حسين
الجيزة، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠٢٠

٤٢٢ ص، ٢٢ سم

تدمك ٣-١٦٠-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨

١ - القصص الصينية

٢ - حسين، حسانين فهمي (مترجم ومقدم)

ب - العنوان

١٣، ٨٩٥

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١١٦٧٢

المحتويات

مقدمة المترجم	9
الجزء الأول: الغرباء	17
الفصل الأول: نيوشياولي	19
الفصل الثاني: لي آن بانغ	147
الفصل الثالث: أن تعرف الجميع	281
الفصل الرابع: يانغ كاي توه	283
الفصل الخامس: نيوشياولي	335
الجزء الثاني	395
تقديم: أن تعرف الجميع	395
الجزء الثالث: محال غسل القدمين	397

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ، فَاعْتَنِمْهَا!

خالي الثالث

مقدمة المترجم

بدأت علاقتي بالعالم الروائي للكاتب الصيني ليوجين يون قبل فترة طويلة من التعرف عليه شخصياً وترجمة أعماله إلى العربية، وكان ذلك في عام 2008 عندما قمت بترجمة دراسة نقدية مطولة عن أدب ليوجين يون بعنوان "الكاتب الصيني المعاصر ليوجين يون ونقد الحياة الصينية" والتي صدرت ضمن ملف خاص عن الأدب الصيني المعاصر بالعدد الثالث من مجلة "الرواية قضايا وآفاق" عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 2009. والتي سلط فيها عدد من النقاد الصينيين الضوء على ملامح أدب ليوجين يون والتزامه بالواقعية النقدية في تناول عدد من مشكلات الإنسان الصيني، خاصة في أعماله القصصية التي تمثل المرحلة الأولى من مشواره الإبداعي، ومن بينها رواية "جهة العمل" و"السرية الجديدة" وغيرها من الأعمال.

وخلال إقامتي بالصين عام 2003 في منحة لجمع مادة الماجستير بجامعة اللغات والثقافة ببكين، صدرت له رواية "الموبايل" عن دار اليانجتسي للفنون والآداب، والتي طبعت منها الدار في طبعتها الأولى 200 ألف نسخة، ولاقت نجاحاً كبيراً، قبل أن يتم تحويلها إلى فيلم سينمائي في نفس العام الذي صدرت فيه الرواية من إخراج المخرج الصيني الكبير فينغ شياو قانغ الذي حصل على الكثير من الجوائز المحلية والعالمية من بينها جائزة أفضل فيلم سينمائي بالدورة الرابعة

والعشرين لمهرجان القاهرة السينمائي الدولي عام 2000. وحصل فيلم "الموبايل" على أكثر من جائزة. كما تم تحويل الرواية إلى مسلسل تليفزيوني يحمل نفس عنوان الرواية "الموبايل" عام 2010 من إخراج شين يان ووانغ لبي وبطولة النجم الصيني وانغ جه ون.

ومرت سنوات على قراءة أعمال ليوجين يون، حتى أتاحت لي فرصة لقائه على هامش "المؤتمر الدولي الثالث لترجمة الأدب الصيني" الذي ينظمه اتحاد كتاب الصين، وكان ذلك منتصف أغسطس 2014 بالعاصمة الصينية بكين، قبل شهر قليلة من انتهائي من ترجمة روايته ذاتة الصيت "الموبايل" والتي صدرت طبعتها العربية الأولى عام 2015 عن دار ضفاف للنشر ضمن مشروع "تبادل الترجمة والنشر للمؤلفات الصينية والعربية" الموقع من جامعة الدول العربية وجمهورية الصين الشعبية، وكانت أول عمل لليوجين يون يترجم إلى العربية. وأحدثت الترجمة أصداء إيجابية بين جمهور القراء والباحثين المصريين والعرب والصينيين المتخصصين في دراسات الأدب الصيني، وتناولها عدد منهم بالدراسة في عدد من أبحاث الماجستير والدكتوراة. وفي مايو 2015، شاركت مع السيد ليوجين يون في حفل توقيع الطبعة العربية للرواية ضمن فعاليات "مجلس الحوار" بالدورة الخامسة والعشرين من معرض أبوظبي الدولي للكتاب، كما شاركنا حفل التوقيع السيد تشانغ هوا سفير الصين لدى الإمارات آنذاك والناشر وحشد كبير من القراء. قبل أن تصدر الطبعة الثانية من الرواية عام 2017 عن دار القارات الخمس للنشر بالصين ضمن سلسلة "مختارات من الأدب الصيني المعاصر" التي تصدرها الدار الصينية بعدد من اللغات الأجنبية ومن بينها العربية.

ثم توطدت العلاقة بيني وبين ليوجين يون، فأصبح بيننا تواصل من خلال البريد الإلكتروني ومن خلال تطبيق ويشات، كما أحرص على لقائه في معظم زياراتي للصين خاصة في "المؤتمر الدولي لترجمة الأدب الصيني إلى اللغات الأجنبية" الذي ينظمه اتحاد كتاب الصين والذي يعقد مرة كل عامين (وصلتني قبل أيام رسالة على بريدي الإلكتروني من قسم العلاقات الخارجية بالاتحاد تنقل لي اعتذار الكاتبة تيبه نينغ رئيس اتحاد كتاب الصين عن انعقاد الدورة السادسة من المؤتمر في أغسطس 2020، والتي كان من المقرر انعقادها بمقاطعة منغوليا الداخلية بسبب جائحة كورونا)، خاصة أن اتحاد كتاب الصين يحرص على دعوة كبار الكتاب الصينيين المعاصرين للمشاركة في لقاءات مباشرة مع عدد من المترجمين الأجانب الذين يمثلون مختلف اللغات والثقافات، ويصدر عن المؤتمر في كل دورة كتاب يجمع شهادات الكتاب والمترجمين المشاركين في اللقاءات التي تعقد خلال المؤتمر.

وحدث أن التقيت السيد ليوجين يون أكثر من مرة بصحبة عدد من الأصدقاء من الكتاب الصينيين ومن بينهم مويان الحائز على جائزة نوبل عام 2012، و آلي ويوها. وكان آخر لقاء جمعني بليوجين يون في القاهرة صيف عام 2018 على هامش "الدورة الأولى لمنتدى الأدب الصيني والعربي" الذي نظمه اتحاد كتاب الصين بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب واتحاد كتاب مصر في 6/2018، حيث كان الكاتب ليوجين يون مشاركاً في المؤتمر ضمن وفد أدبي صيني رفيع المستوى برئاسة الكاتبة تيبه نينغ رئيس اتحاد كتاب الصين، وقدمت خلال المنتدى كلمة عن تجربتي في ترجمة الرواية الصينية إلى العربية من خلال ترجمتي لروايات "الذرة الرفيعة الحمراء" لمويان و"مذكرات بائع الدماء" ليوها و"الموبايل" لليوجين يون.

وقد رافقت ليوجين خلال زيارته للقاهرة في ندوتين أخريين، الأولى ندوة بعنوان "التبادل الأدبي الصيني العربي" التي توليت إدارتها بكلية الألسن جامعة عين شمس، والثانية ندوة بعنوان "حول الأدب الصيني المعاصر" والتي عقدت بالمركز الثقافي الصيني بالقاهرة. ثم التقيت السيد ليوجين يون في أمسية على نيل القاهرة تحدثنا عن أحوال الأدب الصيني وآخر إبداعاته رواية "سرير الغرباء" التي صدرت طبعتها الأولى عن دار اليانجتسي للفنون والآداب نهاية عام 2017، والتي أحدثت نجاحًا كبيرًا داخل الصين وباعت نحو مليون نسخة. والتي أسعدني السيد ليوجين يون بأن أرسل لي فور عودته إلى الصين نسخة منها ومن عدد من أعماله بتوقيعه. وبعد الانتهاء من قراءة الرواية تواصلت معه وعبرت له عن رغبتني في ترجمتها إلى العربية، فوجدت منه كل الترحيب والدعم.

كما شاركت مؤخرًا مع عدد من المترجمين الأجانب بشهادة في فيلم تسجيلي بعنوان "الأدب ومسقط الرأس" من إنتاج مركز الأفلام الوثائقية بجامعة المعلمين ببيكين. والذي تضمن تسجيل حلقات عن علاقة ستة من أبرز الروائيين الصينيين المعاصرين بمسقط رأسهم، من بينهم ليوجين يون ومويان، حيث قدمت شهادة عن تجربتي في ترجمة أعمال الكاتبين إلى العربية وما تتميز به أعمالهما من اهتمام واضح بالثقافة المحلية وارتباط ليوجين يون بمسقط رأسه بمقاطعة خه نان، حيث يتخذ ليوجين يون من مسقط رأسه مدينة يانجين بمقاطعة خه نان مسرحًا للكثير من أعماله، مما جعل أعماله تتميز بلغة وأسلوب فكاهي ساخر يحمل طابع مسقط رأسه. فلا يكاد يخلو عمل من أعماله من التغني بثقافة وعادات وحياة أهل خه نان والتعبير عن هموم البسطاء والمهمشين بيانجين، وهو ما عبرت عنه السلسلة الروائية "مسقط

الرأس " التي أصدرها ليوجين يون في أربعة أجزاء بين أعوام 1991 إلى 1998، واختارتها مكتبة سان ليان عام 2000 ضمن قائمة "أكثر مئة كتاب تأثيراً على مدار العشرين عاماً الأخيرة". وعبرت "مسقط الرأس" عن اهتمام ليوجين يون بالكتابة التاريخية وتناول قضايا الحياة اليومية للإنسان البسيط، وعكست تغيرات المجتمع الصيني القديم وملامحه على مدار نصف قرن، وكشفت عن الجهل والجشع في النفس البشرية.

وبعد، يتعرف القارئ في هذه الترجمة على واحدة من أهم الروايات التي صدرت خلال السنوات الأخيرة لليوجين يون المولود بمقاطعة خه نان وسط الصين عام 1958، والذي تخرج في قسم اللغة الصينية بجامعة بكين العريقة عام 1982، ثم حصل على الدراسات العليا في الكتابة الأدبية من معهد أدب لوشون بجامعة المعلمين ببكين عام 1991. يعمل حالياً أستاذاً للأدب الصيني بجامعة الشعب الصينية. وهو أحد أهم الأصوات الأدبية في جيل الرواد الذين لمعت أسماؤهم على الساحة الأدبية الصينية منذ مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، والذي يضم أهم الكتاب في تاريخ القصة والرواية الصينية المعاصرة وعلى رأسهم: سوتونغ، قه فيي، مايوان، تسان شويه، يوهوا، خان شاوقونغ ومويان وغيرهم من الكتاب الصينيين المعاصرين.

انتبه النقاد منذ بداية مسيرته الأدبية إلى قدرة ليوجين يون على تناول الموضوعات التاريخية والمعاصرة من خلال حس ساخر ينبع من موقف نقدي أصيل تجاه التاريخ الصيني وواقع الحياة الصينية المعاصرة ومشكلات نماذج مختلفة من الفئات المهمشة والمطحونة في مجتمع مسقط رأسه بمدينة يانجين التابعة لمقاطعة خه نان وسط الصين خاصة وفي المجتمع الصيني بوجه عام. ومن هذا المنطلق، يمكن القول

بأن أعمال ليوجين يون حافظت إلى حد كبير على خصائص الواقعية النقدية التي اتسمت بها الأعمال القصصية الصينية منذ حركة الرابع من مايو عام 1919 التي أسست للأدب الصيني الحديث، مما يجعل هناك وجه شبه واضح بين أعمال صاحب "سرير الغرباء" وأعمال رائد الأدب الصيني الحديث لوشون (1881-1936)، خاصة ما يتعلق بنقد العقلية الصينية والنقد الاجتماعي والعزلة التي تعيشها شخصيات أعماله، إلى جانب نجاحه في تقديم عدد من الشخصيات المنبوذة والمهمشة التي تتشابه أفكارها ومصائرهما مع شخصيات قصص لوشون، حتى أطلق عليه بعض النقاد لقب الكاتب الذي "خرج من عباءة لوشون".

كما يتميز ليوجين يون بغزارة الإنتاج وتنوع كتاباته التي تجمع بين القصة والرواية والسيناريو. وتتميز أعماله بالنقد الاجتماعي لعدد من الظواهر والقضايا في المجتمع الصيني المعاصر، وعلى رأسها الفساد والرشوة كما في روايتي "جهة العمل" و"سرير الغرباء". وتتميز لغة أعماله بالحس الفكاهي الساخر الذي يعرف به بين أبناء جيله. توجت أعماله بحصوله على جائزة مادون الأدبية (نوبل الأدب الصيني) في دورتها الثامنة عام 2011، كما حصل على وسام فارس في الفنون والآداب عام 2018 من فرنسا. وحازت أعماله شهرة كبيرة داخل الصين وخارجها، وترجم عدد منها إلى لغات أجنبية عديدة من بينها العربية، كما تم تحويل عدد من أعماله الروائية والقصصية إلى أعمال سينمائية، وحصدت أعماله عددًا من الجوائز داخل الصين وخارجها.

وتعد "سرير الغرباء" علامة فارقة وبداية مرحلة جديدة في إبداع ليوجين يون، أو كما عبر عن ذلك بنفسه في حوار معه حول هذه الرواية قائلاً: "لقد بدأت بهذا العمل مرحلة جديدة في مسيرتي الأدبية"، وقوله

أيضاً "الكتابة الأدبية تختلف عن أن يدير أحدهم مطعمًا، فزبائن هذا المطعم سيحرصون على ارتياده طالما حافظ على جودة الأطعمة المعروفة بها، على العكس تمامًا من الإبداع الأدبي الذي يتطلب أن يكون هناك فهم جديد للعلاقة بين الحياة والكتابة والكاتب، فأكثر ما يخيف الكاتب عجزه عن كتابة أعمال جديدة".

"سرير الغرباء" رواية جديدة ومهمة في مسيرة صاحبها وفي المنجز الإبداعي الصيني المعاصر، نأمل منها أن تضيف شيئاً إلى المكتبة العربية، وأن تحقق المتعة للقارئ العربي في كل مكان.

حسانين فهمي حسين

الرياض 7/2020

الجزء الأول
الغريباء

الفصل الأول

نيوشياولي

-1-

لم يختلف عليها اثنان منذ أن وطأت قدمها هذه البلدة. تمتلك عينين واسعتين، وإن كانت عينها اليسرى أكبر قليلاً من اليمنى، وهو ما لم تكن تلاحظه إلا إذا أمعنت النظر في وجهها الشاب. تتمتع بقامة طويلة تفوق غيرها من نساء مقاطعات جنوب غرب البلاد، حتى إن الأخ الأكبر لنيوشياولي نيوشياوشه صاحب الـ159 سم، كان إذا سار بجوارها، يظهر قصر قامته مقارنة بغيره من رجال البلدة. عيبتها الوحيد تلك البحة في صوتها، فكانت إذا ما تكلمت تشعر وكأنك تستمع إلى صوت ذكوري تمامًا، وهذا ما دفعها إلى تجنب الكلام، وإذا ما تحدث إليها أحد، تكتفي بابتسامة صغيرة، وإن كان لا بدَّ فإنها ترد بما قل ودل، وهو ما نفى عنها أن تكون ثرثارة.

وإذا ما سألتها أحدهم:

- ما اسمك؟

- سونغ تساي شيا. ترد.

- ومن أي البلاد جئت؟

- من مقاطعة xx.

وهي مقاطعة نائية من مقاطعات جنوب غرب البلاد.

- ولكن xx مقاطعة كبيرة، فمن أي مدينة تكونين؟

- تشين خان.

ولما كان السائل لا يعرف موقع هذه المدينة، فيستطرد:

- وكم عدد أفراد عائلتك؟

-سبعة.

- مَنْ هم؟

- جدي، جدي، والدي، والدتي، أخي الأصغر، أختي الصغرى وأنا.

- وما الذي أتى بكِ إلى هنا؟

- الفقر.

-الفقر هو الذي حملك على قطع آلاف الكيلومترات؟ يتابع السائل

متعجبًا.

- والدي مريض.

ثم تتوقف عن الكلام، بينما تفيض عيناها بالدموع.

- اشتقت لعائلتك؟ يسألها أحدهم.

جاءت بها إلى هنا نيوشياولي التي تنتمي إلى قرية شينجياجوانغ. وقالت زوجة لاوشين التي تنحدر من مقاطعة xx، إنها من بنات أخيها، ثم تولت المساومة في سعرها، فكان أول رقم طلبته مئة وخمسين ألف يوان. وقالت إن هذا المبلغ ليس ثمنها بل مهرها، وليس في هذا ما يخالف القوانين والأعراف. ولكن نيوشياولي فطنت إلى تلك البحة في صوت سونغ تساي شيا، وساومت زوجة لاوشين في السعر قائلة: سبعين ألف يوان. فغضبت زوجة لاوشين وراحت تضرب بكفيها وقالت إن لاوسان من قرية قوجياجاي، تزوج العام قبل الماضي بامرأة بشفة أرنبية من مقاطعة xx، وبالرغم من أنها عالجت شفثها، إلا أنها كان تبرز عند ضحكها أو بكائها، ودفع لها مئة وعشرين ألف يوان. وهناك أيضًا لاوإر من قرية ووجياجوانغ، الذي تزوج العام الماضي من امرأة مطلقة ومعها طفل من إحدى مقاطعات جنوب غرب البلاد، ودفع لها مئة وعشرة آلاف يوان، فلا يمكن أن أقبل بأقل من مئة وثلاثين ألف يوان، ونريد المبلغ في أسرع وقت ممكن؛ لأن والد سونغ تساي شيا يُعالج من الفشل الكلوي، ويحتاج لغسيل الكلى ثلاث إلى أربع مرات شهريًا، فهم بحاجة ماسة للمال، وإذا لم تكونوا بحاجة إليها، فإن لاوسه من عائلة سه جياجاي يتلهف عليها، وقد عرض علينا مئة وأربعين ألف يوان، ولكن ما يمنعنا أنه رجل تخطى الخمسين من عمره، وابنة أخي صاحبة الواحد وعشرين عامًا فتاة في عمر الزهور، ويعز علينا أن تقع تحت يد رجل فوق الخمسين. ولكن نيوشياولي توقفت عند قصر قامة سونغ تساي شيا وراحت تساوم زوجة لاوشين في المبلغ المطلوب. هكذا حتى تعثر التفاوض بين تسعين ألفًا ومئة وعشرة آلاف يوان. وما إن تظاهرت نيوشياولي برغبتها في المغادرة، حتى استوقفتها سونغ تساي شيا قائلة:

- كم عمره؟

-من؟ ردت نيوشياولي مذهولة.

-أخوك. ترد سونغ تساي شيا.

فأجابتها نيوشياولي:

-واحد وثلاثون عامًا.

فتابعت سونغ تساي شيا تسأل:

- وأنتِ؟

- اثنان وثلاثون عامًا. ردت نيوشياولي مذهولة.

- وهل أنتِ مخطوبة؟ استطردت سونغ تساي شيا.

- سنتزوج الشهر القادم. أجابت نيوشياولي.

وتابعت سونغ تساي شيا:

- وهل هناك في عائلتك غيرك أنتِ وأخوك...؟

فهمت نيوشياولي قصدها، فأجابت:

- مات والداي قبل ثمانية أعوام، فلن يضايقك أحد في بيتنا.

- قلت إن أخاكِ عمره واحد وثلاثون عامًا... تقول سونغ تساي شيا.

فهمت نيوشياولي قصدها من جديد، فردت:

- سبق له الزواج مرة واحدة ثم انفصلا، ولديه منها بنت في الرابعة.

- ها قد نسيت أن أخاكِ سبق له الزواج من أخرى، بل ولديه بنت. قالت زوجة لاوشين وهي تضرب كفاً بكف.

- ”وماذا عن انفصال أخيكِ وزوجته، مَنْ منهما ترك الآخر؟“ سألت سونغ تساي شيا.

فدهشت نيوشياولي من السؤال، قبل أن ترد:

- كانت قد خرجت للعمل، فهربت مع أحدهم.

وعلى غير المتوقع، أمسكت سونغ تساي شيا بتلابيب نيوشياولي وقالت:

- سأذهب معكٍ مقابل مئة ألف يوان.

ولكن زوجة لاوشين اعترضت طريقها وهي تقول:

-هذا قليل جداً، ولن أدعك تذهبي معها.

فقالت سونغ تساي شيا إن أسرة نيوشياولي تساوي عشرة آلاف إضافية، ولما سألتها زوجة لاوشين عن ذلك، همست إليها سونغ تساي شيا موضحة: أولاً: لأن والديها ليسا على قيد الحياة، كما أنها ستتزوج الشهر المقبل، مما يعني أنها ستكون سيدة البيت بمجرد زواجها من أخيها، ثانياً: إن أخاها سبق أن هجرته زوجته، مما يدل على ضعف شخصيته، ثالثاً: إن لديه طفلة في الرابعة من عمرها، وإنها لم تبلغ السن الذي يكون بإمكانها التعبير عن نفسها، رابعاً: إنها لا ترغب في الزواج من شيخ فوق الخمسين، تقصد لاوسه من عائلة سه جياجاي. وأنصت نيوشياولي إلى سونغ تساي شيا حتى فرغت من كلامها، ثم أخذت تحدث نفسها مدهولة أن سونغ محقة في ما قالت، وأنها هي

نفسها لم تفكر في كل تلك المبررات التي ساقتها سونغ تساي شيا، وهو ما يدل على ذكائها، كما أن تفكيرها في هذه الأمور الحاضرة والمستقبلية يدل على أنها شخصية قادرة على تحمل أعباء الحياة، هذا بالإضافة إلى أن أباها نيوشياوشه رجل لا يحسن التصرف في أمور حياته، وأن البيت بحاجة ماسة إلى شخصية مثل سونغ تساي شيا بعد أن تغادره هي الشهر المقبل.

واصطحبت نيوشياولي سونغ تساي شيا معها إلى بيتهم بقرية نيوجيا، ليتعرف عليها نيوشياوشه. فرأها نيوشياوشه، كما تجمع عدد من أهل القرية أمام المنزل لرؤيتها. وانتظرت نيوشياولي حتى تفرق المحتشدون، وطلبت من سونغ تساي شيا أن تجلس لاحتساء الشاي بالغرفة الشرقية، بينما جلست هي تتشاور مع أخيها في غرفة الاستقبال.

وسألته نيوشياولي:

- ما رأيك؟

- وهل يمكن أن أقف على عيوبها من نظرة واحدة؟ أجاب.

- طالما أنك لم تقف على أي عيب، فلتكن هي. تقول نيوشياولي.

- وهل يمكن أن أراها مرة ثانية؟ فأنا لست في عجلة من أمري. قال نيوشياوشه.

- تعلم أنني سوف أتزوج الشهر المقبل، ولن يكون هناك من يعد لك الطعام أنت وبنجيو. ردت نيوشياولي.

أما بانجيو فهي ابنة نيوشياوشه ذات الأربعة أعوام. وهنا قال نيوشياوشه متردداً:

- ولكن صوتها ذكوري.

فقالت نيوشياولي غاضبة: صاحبة الصوت الرقيق بمئة وخمسين ألف يوان، فهل بإمكاننا دفع هذا المبلغ؟

فطأطأ نيوشياوشه رأسه صامتًا، قبل أن يقول بعد فترة:

- كل هذا الوقت لشراء زوجة، بل وزوجة غريبة عن مقاطعتنا، فماذا سيقول الناس عنا؟

-إذًا لا داعي للشراء، ولتخرج أنت لتتعرف على أخرى. ردت نيوشياولي.

فعاود نيوشياوشه الصمت، قبل أن يكسر صمته قائلاً:

-لتعتبري أنني موافق، ولكن يبقى أن مبلغ مئة ألف يوان رقم كبير.

وكانت الأسرة قد قامت العام الماضي بترميم حجرة الاستقبال، وتبقى لديهم عشرون ألف يوان فقط، وهذا ما كانت تعلمه هي وأخوها جيدًا.

- لا تشغل نفسك بهذا الأمر. قالت نيو شياولي.

ثم عادت نيوشياولي إلى الغرفة الشرقية، واتفقت مع سونغ تساي شيا على إتمام الأمر، فعادت سونغ تساي شيا إلى قرية شينجياجوانغ، بينما ركبت نيوشياولي دراجتها وتوجهت إلى المدينة، والتقت بخطيبها فينغ جين خوا. وكان فينغ زميلها في المرحلة المتوسطة، وكان قد استقرت به الحال في المدينة في ورشة لصيانة الدراجات النارية.

فقالت نيوشياولي:

-أقرضني ثمانين ألف يوان.

رد فينغ جين خوا وهو منشغل بإصلاح دراجة نارية ويدها ملطخة
بالزيت:

- هذا مبلغ كبير، حتى ورشتي هذه لا تساوي هذا المبلغ.
وتابع قائلاً: كما أن أجرتي مقابل صيانة دراجة نارية عشرات الحيوانات
فقط.

- اقترض من أحدهم. قالت نيوشياولي.

فقال فينغ جين خوا: وما هي حاجتك لهذا المبلغ؟

- لزواج أخي. ردت نيوشياولي.

فذهل فينغ جين خوا من ردها، وتابع يسأل:

- إذا أنا ذهبت لأقترض من أحدهم، فإنه سيسألني متى أعيد المبلغ،
فماذا أقول؟

- عندما يتوفر معك المال. قالت نيوشياولي.

- ومتي سيتوفر المال؟ سأل فينغ جين خوا.

- أنت لم تقترض بعد، وتنيب عن غيرك في وضع العراقيل، ماذا
تقصد؟ قالت غاضبة.

- فإذا لم يسدد هو، فسأسدد أنا عنه، فهل يرضيك هذا؟ تابعت.

- ولا داعي لأن تعتبر المبلغ قرضاً لأخي، لتعتبره مهراً لي، فهل
يرضيك هذا؟ قالت قبل أن تستدير مغادرة الورشة.

وبعد ظهر ذلك اليوم، جاء فينغ جين خوا إلى قرية نيوجياجانغ راكباً

دراجه النارية، ووضع أمام نيوشياولي سبعة آلاف يوان قائلاً: ”جمعت هذا المبلغ من بيوت خالي وعمتي وخالتي الثانية... جمعته في عجالة، ولم يستبق أحد منهم مليماً في بيته.“

فنظرت نيوشياولي إلى السبعة آلاف يوان، وقالت بلهجة ساخرة:

- أنا التي أخطأت عندما رضيت بمثلك، كان يجب عليّ أن أبحث عن رجل ثري.

فحبس فينغ جين خوا أنفاسه حتى احمرت وجنتاه، وقال:

- كل ما هنالك أن الأمر جاء بشكل مفاجئ.

ولما كانت لا ترغب نيوشياولي في أن تضيع وقتها في الحديث معه، ركبت دراجتها وتوجهت إلى المدينة، لمقابلة توشياوروي صاحب إحدى شركات الصرافة غير الشرعية. وكانت نيوشياولي زميلة لأخته الصغرى توشياورونغ في المرحلة المتوسطة. وكانت كثيراً ما تسافر إلى المدينة للعب مع زميلتها توشياورونغ، حتى أعجب بها توشياوروي، وقد طاردها أكثر من نصف عام، ولكنها رفضته بسبب فظاظته، وفضلت عليه زميلها فينغ جين خوا، وأعجبها فيه آنذاك أخلاقه، ولكن من يعلم أن الأخلاق بعد مضي هذه السنوات لم تعد تساوي شيئاً أمام المال. وكان توشياوروي يدير شركة صرافة غير شرعية، وعلى بابها لافتة مكتوب عليها ”مقهى لان تينغ للشاي“، وما إن دخلت نيوشياولي المكان، حتى وجدته جالساً على كرسي المدير، فدخلت في الموضوع مباشرة وقالت:

- أخي شياوروي، أقرضني ثمانين ألف يوان.

- ”صحيح أنني أتاخر في الأموال، وجميع عملائي من الأثرياء، ولكن

ما حاجتك لهذا المبلغ؟“ يقول.

- هذا ليس من شأنك. ردت.

- إذًا فسأبدأ بما قد يغضبك، سأقرضك مقابل فائدة سنوية 3%.

- ولكن أنا زميلة شياورونغ. قالت.

- حسنًا، يمكن أن تأخذي القرض من دون فوائد، مقابل شرط واحد.

- وما شرطك؟ سألت.

- أن تمكيني من نفسك.

- تمكن من أختك! تقول غاضبة.

- يمكن أن نغير هذا الشرط. يقول.

- وما شرطك الجديد؟ تسأل.

- فائدة سنوية 2% فقط، وأن تدعيني أقبلك.

فسلمته نيوشياولي وجهها. وما إن تمكن توشياوروي من وجهها، حتى قبض على رأسها، وأقحم لسانه داخل فمها. وبعد أن خلصت نفسها منه، بصقت على الأرض وسبته:

-ابن العاهرة!

وبعد ظهر اليوم نفسه، ذهب إلى بيت لاوشين بقرية شينجياوانغ، وسلمت لسونغ تساي شيا مئة ألف يوان في حضور زوجة لاوشين. ثم توجه ثلاثتهن إلى المدينة، وانتظرت نيوشياولي أمام مدخل أحد البنوك، حتى خرجت سونغ تساي شيا وزوجة لاوشين بعد أن قامتا

بتحويل المبلغ إلى مسقط رأس سونغ تساي شيا. وما إن غادرتا البنك، حتى عادت زوجة لاوشين إلى بلدتها، بينما رافقت سونغ تساي شيا نيوشياولي إلى نيوجياوانغ. وفي مساء اليوم نفسه، دخل نيوشياوشه بسونغ تساي شيا في غرفة الاستقبال، بينما باتت نيوشياولي وبانجيو في الغرفة الشرقية.

وأثناء تناول طعام الإفطار في صبيحة اليوم التالي، نظرت نيوشياولي إلى أخيها نيوشياوشه فرأته يبتسم خلسة، ثم أخذ نفساً عميقاً. ولم تكن تتوقع أن زوجته سونغ تساي شيا سوف تختفي بعد خمسة أيام.

-2-

كانت نيوشياولي تملك فماً كبيراً وأنفاً بارزاً وعينين واسعتين وقامة طويلة، فبينما كانت قامة شقيقها نيوشياوشه لا تزيد على 159 سم، كانت قامتها 176 سم، وكانت تُعرف بقامتها الطويلة منذ أن كانت في السادسة من عمرها. وبعد التحاقها بالمدرسة الابتدائية، نعتها زملاؤها وزميلاتها بعدد كبير من الألقاب من بينها: ذات الفم الكبير، اللصة ذات العينين الواسعتين، الفيلة، الضخمة وغيرها من الألقاب التي كانوا ينعنونها بها من ورائها، فلم يكن هناك أحد يجرؤ على أن يتلفظ بشيء أمامها، هذا لأنها كانت منذ صغرها تمتلك الجرأة على أن تتشاجر مع الذكور، بل وكانت تواجههم بقوة، حتى إن قبضة واحدة من يدها كانت كفيلة بأن تُسيل الدماء من أنف أحدهم، وكانت تسمع تلك الألقاب دون أن تعرف هوية الشخص المقصود بها.

وعندما بلغت الرابعة عشرة، مات أبوها بالسُّل. وخلال الأربعة عشر عاماً التي قضتها مع والديها، كانت تعيش بين والدين لا يتوقفان عن الشجار. وفي اليوم الذي مات فيه أبوها، وهو العام الذي شهد التحاقها بالصف الثاني المتوسط، شعرت نيوشياولي بأن حملاً ثقيلاً قد أنزاح عن صدرها. وبعد شهرين من وفاة أبيها، وفي صباح أحد الأيام وخلال حصة الفيزياء، وبينما كان المدرس يشرح متابعة وات بخار الماء وهو يدفع غطاء الإبريق، واختراعه المحرك البخاري، عاودها الشعور بألم الصداع النصفي، والذي كانت تشكو منه منذ صغرها، فاستأذنت من المدرس ولم تتابع اختراع وات للمحرك البخاري، وحملت حقيبتها عائدة إلى المنزل. وما إن وصلت إلى البيت، حتى وجدت الباب مغلقاً،

فانتابها شيء من القلق، جعلها تتسلق السور حتى وجدت نفسها في فناء البيت، عندها سمعت صوت أمها بغرفة الاستقبال يعلو وينخفض، فظنت للوهلة الأولى أن أمها تشكو أيضاً من الصداع النصفي، وأنها قد ورثت هذا المرض عنها، إلا أنها ما إن تقدمت من باب الغرفة، حتى بدأت تسمع صوت رجل، فأدركت أن هناك أمراً غير عادي يحدث بالداخل، فتسمرت في مكانها عند باب الغرفة لمدة عشر دقائق، ولم تعد تشعر بألم الصداع. وما إن سكت الصوت القادم من الداخل، حتى ركلت نيوشياولي الباب بقدمها، لترى أمامها على السرير رجلاً وامرأة عاريين تماماً، فعرفتتهما على الفور، فكان الرجل هو جانغ لاي فو الطباخ بالمدينة، والمرأة هي والدة نيوشياولي. أما جانغ لاي فو فهو والد جانغ داجين زميل نيوشياولي في المدرسة، والذي كانت تعمل والدته عاملة نظافة بالمدرسة التي تدرس بها نيوشياولي وجانغ لاي جين. وبقي الرجل والمرأة العاريان في مكانهما على السرير وهما في نهم شديد، في حين أخذت نيوشياولي تصرخ، وقد بدا صوتها أعلى بكثير من صوت أمها ووالد جانغ داجين الذي كانت تسمعه قبل قليل، حتى أربع الرجل والمرأة العاريين فوق السرير. فلم تهتم أمها بوضعها الحالي وقالت في عجالة:

- كفاكِ يا شياولي!

فما كان من شياولي إلا أن صرخت بصوت أعلى:

- اغربي عن وجهي!

- كفاكِ يا شياولي! قالت الأم.

- لم يمر شهران على رحيل أبي! قالت بينما لم تتوقف عن الصراخ.

عندئذ قام والد جانغ داجين بدفع والدة شياولي من فوقه، وارتدى
ملابسه في عجلة وفرّ هاربًا.

- أريدك أن تستمعي لي يا شياولي! قالت الأم.

- قلت اغربي عن وجهي! واصلت شياو لي الصراخ.

سيطر على الأم حالة من الذهول، قبل أن تنفجر غاضبة:

- أنا أمك، وإذا لم تتوقفي سأؤدبك!

ففرت شياولي إلى الفناء، وقالت:

- إذا لم تغربي عن وجهي، سأخرج وأصرخ في الشارع!

وفي هذه الأثناء، تجمع عدد من الناس وأخذوا يتابعون المشهد من
فوق السور.

فصاحت والدة شياولي في عجلة:

-انتظري، انتظري يا شياولي!

وفي عجلة ارتدت الأم ملابسها، وأسرعت متجاوزة شياولي ولاذت
بالفرار. فراحت شياولي تشيعها قائلة:

- حذارِ أن تعودي ثانية، وإلا قتلتك!

ولم تعد والدة شياولي إلى القرية ثانية. ولم يكن ذلك خوفًا من تهديد
شياولي لها بالقتل، وإنما بسبب والدة جانغ داجين التي أصابها الجنون
عقب الحادثة، فتركت عملها بالمدرسة، وراحت تجوب الطرقات بحثًا
عن زوجها ووالدة شياولي، متوعدة إياهما بالقتل. وهكذا لم يظهر

لهما أثر منذ هروبهما، وانقطعت أخبارهما منذ يوم الحادثة قبل ثماني سنوات. وقال أحدهم إنه رآهما في شوارع مدينة شيآن، كانا يبيعان الحساء واللحم المطبوخ؛ فقد كان والد جانغ داجين طباخًا. ولكن والدة شياولي بالنسبة لابنتها كانت قد ماتت مثلها مثل والدها.

وبعد موت والدها، وهروب والدتها، تبقى لنيوشياولي أخوها الأكبر، وعادة ما يقوم الأخ الأكبر برعاية أخته الصغرى، لكن نيوشياوشه كان جبانًا وضعيفًا، وكانت شياولي ترى أنه لا يمكن إلقاء اللوم على أخيها، الذي تربى منذ صغره بين أبوين لا يتوقفان عن الشجار، فالطفل في هذه الأسرة ينشأ ويتعلم الكلام والمشى بين أبوين لا يعرفان سوى الشجار، وبعد أن كبرت نيوشياولي أدركت أن الطفل الذي ينشأ في مثل هذا الجو الأسري لا يخرج عن صنفين: أولهما: أنه لا يخشى أي شيء على الإطلاق، مثل نيوشياولي، ويرى في الشجار أمرًا عاديًا، وثانيهما: أن يخشى كل شيء، مثل نيوشياوشه، فما إن يتشاجر مع أحدهم حتى يكون في موقع الضحية، ويرى في ذلك أمرًا عاديًا. وكان نيوشياوشه قد تزوج وهو في السادسة والعشرين من عمره من امرأة نحيفة مسالمة، فلم يجد الراحة معها، وكان يخلق المشاكل ويفتعل الشجار مع زوجته. وفي أحد الأيام، وبعد أن سافرا معًا للعمل في المدينة، وقع بينهما شجار كبير، هربت على إثره الزوجة مع رجل غيره، تاركة له ابنتهما الوحيدة. وبعد هروب زوجته، أصيب نيوشياوشه بالإحباط، فحمل حقائبه وابنته عائداً إلى مسقط رأسه. ولم تلمه نيوشياولي على استسلامه، وإنما وجهت اللوم كله لأبيها الميت وأمها "الميتة" بالنسبة لها. وهكذا أصبحت نيوشياولي المسؤولة عن أخيها الجبان وابنته الصغيرة وكل ما يتعلق بهذه الأسرة، فلم تعد بالنسبة له مجرد أخت صغرى، وإنما أصبحت بمثابة أم ثانية. حتى إنها راحت تندم على ذلك اليوم الذي شكت فيه من الصداع وعادت

من المدرسة، وسمعت ذلك الصوت في غرفة الجلوس، ولم يكن هناك داعٍ لاقترام الباب وإجبار أمها على الهرب، كان عليها أن تختار الصمت وكأن شيئاً لم يحدث، فهذا هي تسببت في هروب أمها، وجعلت من نفسها أمّاً لهذه الأسرة. ولم يخلُ الأمر من شعورها بالإعجاب بأمها التي مر على هروبها ثماني سنوات دون أن يعلم أحد شيئاً عنها. ثم بدأت تفكر في الأمر من وجهة نظر أخرى، وأن أي امرأة تفضل الموت على أن تراها ابنتها عارية في أحضان رجل غريب. وقد فهمت هذا كله الآن بعد خطبتها، ومنذ أن فهمت حقيقة هذه العلاقة، كانت قليلاً ما تفكر في أمها. وبعد مضي وقت طويل، اعتادت على مكانتها الجديدة كأُم. وها هي تستعد للزواج الشهر المقبل، لتجد نفسها مضطرة لأن تبحث لأخيها عن زوجة، بل عن أم تحل محلها في البيت. وفي مساء ذلك اليوم الذي دخل فيه نيوشياوشه بسونغ تسايشيا في غرفة الجلوس، نامت نيوشياولي مع ابنة أخيها بانجيو في الغرفة الشرقية، وبعد مضي ساعة من تواجدهما معاً داخل الغرفة، ظنت نيوشياولي أن بانجيو قد نامت، إلا أنها صاحت فجأة وقالت:

-عمتي!

- ماذا بكِ؟

- هل سينجبون أبناءً في الغد؟ سألت بانجيو.

ففهمت نيوشياولي قصد بانجيو، فردت:

- لا، فإنجاب الأبناء يحتاج عشرة أشهر..

- وماذا لو أساءت زوجة أبي معاملي؟

- عمك موجودة. ردت نيوشياولي.

فتابعت بانجيو تسأل:

- وماذا بعد زواج عمتي؟

- إذا هي أساءت معاملتك، فسأخذك معي.

- أذهب معك، ولكن ماذا إذا لم يحسن زوجك معاملتي؟

فردت نيوشياولي وقد خاصم النوم جفنيها:

- ابن العاهرة، وهل يجروء على ذلك!

فضحكت بانجيو، وقالت وهي تتعلق برقبة نيوشياولي:

- عمتي!

- ما بك؟

- أتمنى أن أكون مثلك عندما أكبر. قالت بانجيو.

ثم غرقت بانجيو في النوم في أحضان نيوشياولي. عندها بدأت نيوشياولي في الانتباه إلى ما يحدث في غرفة الجلوس. إلا أنها لم تستمع لأي آهات أو حتى حديث عادي في الغرفة. فبدأ يساورها القلق. وأثناء تناول طعام الإفطار في صباح اليوم التالي، رأت أخيها نيوشياوشه يبتسم خلسة، فاطمأن قلبها. وقد ظنت أن كل شيء على ما يرام، ولكنها لم تكن تتوقع بحال من الأحوال أن العروس سونغ تساي شيا سوف تهرب بعد خمسة أيام، وأن حظهم التعس ساقهم إلى امرأة نصابة. وراحت تتذكر عندما رأتها للمرة الأولى في بيت لاوشين، وقد بدا من خلال أسئلتها التفصيلية عن أسرة نيوشياوشه أنها من النساء القادرات

على تحمل أعباء الحياة، وأنها سوف تكون قادرة على تحمل المسؤولية بعد زواج نيوشياولي، حتى إن نيوشياولي قبلت بأن يُدخل توشياوروي لسانه في فمها لتحصل على المهر اللازم لسونغ تساي شيا، وها هي تدرك الآن أن هذه المرأة صاحبة الصوت الذكوري التي رأتها لأول مرة في بيت لاوشين رأت في نيوشياولي مجرد حمقاء. فراحت نيوشياولي تلعنها:

- ابنة العاهرة!

-3-

ذهبت نيوشياولي برفقة خطيبها فينغ جين خوا إلى قرية شينجياجوانغ، لتصفية حسابها مع لاوشين وزوجته. وبالرغم من أن المعني بالأمر هو نيوشياوشه، وأنها كان يجب عليها أن تذهب برفقته ليس برفقة خطيبها، لكن الذي منعها من ذلك أولاً: شخصية نيوشياوشه الجبان والضعيف، وأنه لا فائدة من ذهابه معها، ثانياً: أنه بعد هروب سونغ تساي شيا، كان نيوشياوشه تفوه بكلام أغضب أخته نيوشياولي. فعندما علم بهروب سونغ تساي شيا، لم يوجه اللوم لها على فعلتها، وإنما راح يلوم نيوشياولي قائلاً:

- قلت لك من البداية إنه لا داعي للعجلة، ولكنك كنتِ في عجلة من أمرك لإنهاء هذا الزواج، فهل أدركتِ خطأك الآن؟

ولم يغضبها هروب سونغ تساي شيا، ولكنها انفجرت الآن غاضبة:

- لتقل إنني كنت أتعمد إيذاءك، أيرضيك هذا؟

فرد عليها نيوشياوشه بكلام زاد غضبها:

- مئة ألف يوان!

- أنا الذي اقترضت المبلغ، وأنا المسؤولة عنه، ولا شأن لك به، أيرضيك هذا؟ قالت نيوشياولي.

فأسكتته هذا الرد.

وصلت نيوشياولي وفينغ جين خوا بالدراجة النارية إلى منزل لاوشين

بقرية شينجياجوانغ، فلم يجداً أحداً بالمنزل. وأخبرهما الجيران أن الزوجين خرجا للعمل في مصنع الطوب الذي يقع خارج القرية. حيث كان هناك مصنع طوب على ضفاف النهر خارج حدود القرية، وكان المصنع يعتمد على رمال النهر لإنتاج الطوب الإسمنتي الذي كانت عملية صناعته تستغرق خمسة أيام في الفرن المعد لذلك، ثم يتم تبريده في الماء، بعدها يتم حمله خارج الفرن. وكان نيوشياوشه قد عمل بهذا المصنع في صيف العام الماضي، فكان يحمل الطوب مقابل ثمانين يواناً يومياً. ولكنه ترك المصنع وعاد إلى قريته بعد ثلاثة أيام فقط. وذكر أنه لم يكن السبب في ذلك عدم قدرته على هذا العمل، وإنما عدم قدرته على تحمل درجة الحرارة المرتفعة، حتى إن ظهره امتلأ بالفقاعات. وذكر أيضاً أن درجة حرارة الطوب عقب خروجه من الفرن تصل إلى 60-70 درجة مئوية. ولكن العمال الآخرين كانوا يحملون أيضاً الطوب الذي تصل درجة حرارته إلى 60-70 درجة مئوية، ولم يشك أي منهم من الفقاعات في ظهره، فأصابته هو بالفقاعات كما علقت نيوشياولي يعود لضعفه. ووصلت نيوشياولي وفينغ جين خوا بالدراجة إلى ضفة النهر خارج حدود قرية شينجياجوانغ. وكانت نيوشياولي قد جاءت إلى هنا العام الماضي عندما كان نيوشياوشه يعمل في المصنع حاملة له زوجاً من الأحذية القطنية. فيجب ارتداء هذا النوع من الأحذية بسبب ارتفاع درجة حرارة الأرض والتي تصل أيضاً إلى 60-70 درجة مئوية، هذا ما ذكره لها نيوشياوشه آنذاك في مكالمته هاتفية. ومع تكرار عمليات الحفر في النهر لاستخراج الرمال اللازمة لصناعة الطوب عامًا بعد عام، انخفض منسوب المياه. وصلت نيوشياولي وفينغ جين خوا مصنع الطوب، وقاما بإيقاف الدراجة النارية وانتظرا عند مدخل المصنع. حتى وقعت أنظارهما أخيراً على لاوشين وزوجته بين سيل

العمال الذي يعملون في حمل الطوب، وقد بدا جسداهما ووجهاهما ملطخين بالغبار والدخان الناتج عن عملية تبريد الطوب في الماء. ولما كان لاوشين وزوجته يعرفان بقصر قامتهما، فقد كان كل منهما يمسك بعضا. فاعترضهما فينغ جين خوا قائلاً:

- توقفا!

فتوقف لاوشين عن حمل الطوب، وقال وهو يلهث من التعب:

- ماذا بك؟

- مصيبة. قال فينغ جين خوا.

- ماذا حدث؟ سألت زوجة لاوشين.

- لقد هربت سونغ تساي شيا! ردت نيوشياولي.

فارتقى لاوشين وزوجته على الأرض، وتبعثر الطوب الذي كانا يحملانه.

غادر أربعتهم مصنع الطوب، ومضوا إلى أسفل شجرة صفصاف على ضفة النهر.

- ومتى حدث ذلك؟ سأل لاوشين.

- أمس صباحاً. ردت نيوشياولي.

- قد تكون ذهبت إلى السوق! قالت زوجة لاوشين.

- وهل يتطلب الذهاب إلى السوق يوماً كاملاً، لقد بحثنا عنها في القرية والمدينة ولم يظهر لها أثر. ردت نيوشياولي.

فتنهدت زوجة لاوشين وقالت:

- وما العمل إذًا؟

فتدخل فينغ جين خوا قائلاً:

- الأمر بسيط، فهي ابنة أخيك، فعليكما إعادتها لنا.

هذا بينما سكت لاوشين، وقرصص على الأرض يدخل السجائر. فقالت زوجته بلهجة باكية:

- ولكنها ليست ابنة أخي.

- ومن تكون إذًا؟ سألت نيوشياولي وقد انتابتها دهشة شديدة.

- لا أعرف. ردت زوجة لاوشين.

فتابعت نيوشياولي تسألها بلهجة غاضبة:

- وما الذي أتى بها إلى بيتك طالما أنك لا تعرفينها؟

- هي التي سألت وعرفت أنني من مدينة تشين خان بمقاطعة ××، فقصدتني بصفتي بلدياتها. وقالت إنها ترغب في الزواج، وبما أنها غريبة على هذه البلدة، فطلبت مني أن أقدمها على أنها ابنة أخي، حتى يثق بها الناس ويساعدها في البحث عن عريس.

وأحست نيوشياولي أن رأسها على وشك الانفجار، بعد أن تبين لها أن زوجة لاوشين هي أيضاً ضحية من ضحايا سونغ تساي شيا. ثم بدأ يساورها الشك في كلام زوجة لاوشين، فقالت:

- بصرف النظر عن كونها ابنة أخيك من عدمه، فقد أخذناها من بيتك،

وأنتما المسؤولان عن إعادتها لنا.

وتابعت:

- وبإمكانك أن تعيدي لنا مئة ألف يوان بدلاً من إعادتها هي.

وهنا تدخل فينغ جين خوا قائلاً:

- ليست مئة ألف يوان، فهناك نسبة الفائدة على المبلغ الذي اقترضناه من المدينة بواقع 3% شهرياً، بهذا يكون الإجمالي مئة وستة وثلاثين ألف يوان في العام الواحد.

فقال زوجة لاوشين باكية:

- إذا عرضتموني للبيع، فلن يشتريني أحد بهذا المبلغ.

عندئذٍ ألقى لاوشين بعقب سيجارته، وهب واقفاً:

- أرى أن هذا حكماً خاطئاً. فبصرف النظر عما إذا كنتم أخذتم سونغ تساي شيًا من بيتنا، فقد كان ذلك قبل ستة أيام، وقد سلمناها لكم حية ترزق، ومكثت في بيتكم خمسة أيام، أليس كذلك؟

- لا أحد ينكر أنها قضت معنا خمسة أيام. ردت نيوشياولي.

- طالما أنها أقامت في بيتكم، فقد أصبحت واحدة منكم. وبالتالي فإن الطرف الذي هربت من بيته هو المسؤول عن إعادتها. وإذا تحدثنا عن البحث عنها، فهذا ما يجب علينا أن نطالبكم به، ولكنكم الآن تقلبون الآية وتطالبوننا بإعادتها لكم. تابع لاوشين.

فبقت نيوشياولي وفينغ جين خوا في مكانهما مذهولين. وأخذا ينظران إلى لاوشين صاحب القامة القصيرة، فمن كان يدري أنه يتمتع بكل هذا

الدهاء. فأمسك فينغ جين خوا بياقة لاوشين، وقال غاضبًا:

- ولكنها نصابة، وأنتما شركاؤها في هذه الجريمة، وإذا لم تتوقف عن هذا المكر سألقي بك في النهر.

وتابع:

- وأنت كرجل يعمل في حمل الطوب، لا يمكن أن يسمح لامرأة غريبة بأن تقيم في بيته دون مقابل. كما أن زوجتك ساعدتها في المساومة على المهر، فكم كانت نسبتكما من هذه الصفقة؟

وكانت قامة فينغ جين خوا تبلغ مئة وخمسة وثمانين سم، في حين تبلغ قامة لاوشين مئة وخمسة وخمسين سم فقط، فإذا كان لاوشين يتمتع بقامة طويلة، لما اضطر للعمل في مصنع الطوب، والزواج من امرأة غريبة. فأمسك فينغ جين خوا بلاوشين وكأنه يمسك بدجاجة، عندئذٍ انقضت زوجة لاوشين وتعلقت في قدم فينغ جين خوا وقالت متوسلة:

- أخي الكبير، كل ما في الأمر أنني اعترفت بها على أنها بلدياتي، ولم نحصل على شيء منها.

فركلها فينغ جين خوا بقدمه، وأمسك بياقة زوجها ودفعه دفعتين قبل أن يلقي به في النهر قائلاً:

- هل ما زلتِ مصرّة على إنكار الحقيقة!

وكان الجوربيعًا، ومياه النهر عميقة وباردة، وقد أحدث سقوط لاوشين في الماء صوتًا مثل صوت دجاجة سقطت في الحساء، ثم اختفى فجأة، قبل أن يظهر بعد فترة، وكان حينها يسعل بشدة ويرتعش محاولاً

السباحة نحو الشاطئ. فانتظره فينغ جين خوا حتى وصل إلى الشاطئ، ثم أمسك بالعصا التي كان يستخدمها لاوشين في حمل الطوب وجعل يضربه بها، فأجبره على العودة ثانية إلى وسط النهر. وقبل ستة أيام، وعندما كانت نيوشياولي تبحث لأخيها نيوشياوشه عن عروس، طلبت من فينغ جين خوا أن يقرضها بعض المال، ولما تعذر على فينغ مساعدتها في تقديم المبلغ المطلوب، لامته وقالت إنه رجل جبان وضعيف، وها هو يظهر لها قوته وهي تطالب عائلة لاوشين بإعادة المال، وربما يكون السبب في غضبه ضياع المئة ألف يوان التي لم يستطع أن يقرضها لها. ثم أمسكت زوجة لاوشين بقدم فينغ جين خوا ثانية وقالت:

- سأقول الحقيقة، لقد حصلنا منها على ثلاثة آلاف يوان. هيا بنا الآن إلى المنزل لأعيدها لكم.

فركلها فينغ جين خوا بقدمه، ثم أخذ يضرب الماء في اتجاه لاوشين قائلاً:

- تعيدون لنا ثلاثة آلاف من أصل مئة ألف يوان، فهل ترونني أحرق إلى هذه الدرجة؟

وتابع:

- وهل وصلت بكم الحماسة إلى أن تحصلوا على ثلاثة آلاف من صفقة قيمتها مئة ألف؟

فقال زوجة لاوشين:

- نعم إنها مقابل اعترافنا بها. أقسم لك يا أخي على ذلك، وأن تصيبنني لعنات السماء إذا كنت كاذبة.

عندئذٍ أوقفت نيوشياولي فينغ جين خوا قائلة:

- تكفي الثلاثة آلاف يوان.

فأوقف فينغ جين خوا عصاه في الهواء متسائلاً:

- ماذا تقصدي؟

فردت نيوشياولي:

- اعترافها بالحصول على هذا المبلغ دليل على أنهم شركاء.

ثم أمسكت بصدر سترة زوجة لاوشين وقالت:

- سونغ تساي شيا بلدياتك، أليس كذلك؟

فهزت زوجة لاوشين رأسها بالإيجاب.

- "وإلى أين هربت؟" سألت نيوشياولي.

- "طالما أن الأمر هكذا، فقد تكون عادت إلى مسقط رأسها

بمقاطعة××". ردت زوجة لاوشين وهي تتلعثم.

- إذًا فإن الثلاثة آلاف يوان تكفي مصاريف انتقالي أنا وأنتِ، فطالما

أنها عادت إلى مقاطعة××، فسترافقيني إلى هناك لإعادتها. قالت

نيوشياولي:

فوقفت زوجة لاوشين في مكانها مذهولة.

كما أصاب الذهول لاوشين في الماء، فتوقف عن الحركة.

كانت نيوشياولي تعمل بأحد مصانع الملابس ببلدتها. وكان المصنع به أكثر من أربعمئة عامل وعاملة، يعملون على ورديتين، بحيث لا تتوقف ماكينات المصنع على مدار اليوم، بمعدل اثنتي عشرة ساعة في الوردية الصباحية ومثلها في الوردية المسائية، مقابل راتب شهري ألف وثمانمئة يوان. وفي طريقها إلى المصنع لطلب إجازة، أخذت نيوشياولي تحسب هذه الحسبة: إنها تعمل في مصنع الملابس بشكل متواصل، وتحصل على واحد وعشرين ألفاً وستمئة يوان في العام، وأن سونغ تساي شيا خدعتها في مئة ألف يوان، من بينها عشرون ألفاً تخصصها، والباقي اقترضته بالفائدة من توشياوروي، وقد وافق توشياوروي على تخفيض نسبة الفائدة من 3% إلى 2% شهرياً وهذا ما أخفته نيوشياولي عن فينغ جين خوا، بالتالي يجب أن تسدد له في العام تسعة وتسعين ألفاً ومئتي يوان بنسبة فائدة 2%، وبالتالي يجب عليها العمل في مصنع الملابس خمسة أعوام وخمسة أشهر دون أن تصرف يواناً واحداً على الطعام والشراب لجمع المبلغ المطلوب لسداد دينها. وما إن أنتهت نيوشياولي من هذه الحسبة، حتى عاودها ذلك الشعور بالغضب الشديد فراحت تلعن سونغ تساي شيا:

- ابنة العاهرة!

وتابعت:

- سونغ تساي شيا، لن تفلتي مني!

وما إن خرجت نيوشياولي من المصنع وقد أنهت طلب الإجازة، حتى

رأت توشياوروي. والذي كان يدير مسبحًا يقع على يمين مدخل مصنع الملابس، ورأت بداخله عددًا من فتيات شمال شرق الصين، وكان المسبح يعج بالزبائن. رأَت توشياوروي يفتح باب سيارته التي كانت تقف في موقف خاص أمام المسبح، وكان توشياوروي منشغلًا بالنظر داخل السيارة، فلم ير نيوشياولي، بينما رآته هي، وفجأة تذكرت الثمانين ألف يوان التي اقترضتها منه، وموافقته على تخفيض نسبة الفائدة إلى 2% شهريًا بعد أن أدخل لسانه في فمها، فصاحت تناديه:

- أخي شياوروي.

فالتفت توشياوروي حتى رآها، ثم أطل من نافذة سيارته وقال وهو ينظر إليها وإلى مصنع الملابس:

- بداية أم نهاية وردية؟

- أريد أن أسألك سؤالًا. قالت نيوشياولي

- وما هو؟

فدنت نيوشياولي من سيارة توشياوروي وقالت:

- قبل أيام عندما اقترضت منك مبلغًا من المال، طلبت مني أمرًا ما، فهل تذكره؟

- ماذا؟

- أنك ترغب في أن أمكنك من نفسي. ردت نيوشياولي.

فجعل توشياوروي يتفحصها، ثم هز رأسه بالإيجاب.

- أريد أن أمكنك مني مرة واحدة، على أن تتنازل لي عن الثمانين ألف

يوان.

فذهل توشياوروي. ثم أخذ يتفحصها ثانية. فرفعت نيوشياولي رقبته نحوه ليراها جيداً. ثم أخذ توشياوروي يمسح على رأسها، وقال:

- أنتِ بخير!

- ماذا تقصد؟ ردت نيوشياولي.

- كنت أقصد أن أتمكن منكِ مقابل تخفيض الفائدة، وليس تخفيض رأس المال.

فقال نيوشياولي:

- سأجعلك تتمكن مني عشر مرات.

فقال توشياوروي وهو يشير إلى المسبح:

- الفتاة من بنات خاربين⁽¹⁾ وهي في الثامنة عشرة تسلم نفسها لأحدهم مقابل منتي يوان في المرة الواحدة، ولكِ أن تحسبي ثمانين ألف يوان بالإضافة إلى الفائدة المستحقة، فكم مرة في العام إذاً؟

- ولكن أنا فتاة من أسرة محترمة، وتلك عاهرة. ردت نيوشياولي.

- جميعكن على السرير سواسية.

ويبدو أنه تذكر شيئاً فجأة، فقال:

- إلا إذا كنتِ عذراء، فيكفيني منكِ عشر مرات متتالية.

1- خاربين: وهي مدينة خاربين عاصمة مقاطعة خي لونجيانغ بشمال شرق الصين، معروفة بنسائها الجميلات. (المترجم)

ثم أخذ يتفحص نيوشياولي، وتابع:

- فهل يمكن أن تثبتي لي أنكِ عذراء؟

وهنا تلعثمت نيوشياولي. وتذكرت أنها خلال علاقتها بفينغ جين خوي منذ المرحلة المتوسطة، أقامت علاقة جنسية وهي في السادسة عشرة من عمرها، فكيف تكون عذراء؟ ويبدو أن توشياو روي قال ذلك متعمداً لأنه كان يعلم هذا الأمر. فما إن رآها ذاهلة في مكانها، حتى ركب سيارته وخبط الباب ثم أدار المحرك وداس على البنزين وفر مسرعاً. بينما اكتفت نيوشياولي بمتابعة السيارة وهي تبتعد ثم أخذت تسبه:

- ابن العاهرة!

ثم مضت نيوشياولي تفكر في الأمر وفق منطق توشياو روي: فالفتاة من بنات المسيح تأخذ مئتي يوان في المرة الواحدة، وأنها مدينة لتوشياو روي بتسعة وتسعين ألفاً ومئتي يوان، وهو ما يعادل أربعمئة وستة وتسعين مرة، أو أربعمئة وستة وتسعين فتاة من بنات المسيح، وأن المرات العشر التي ذكرها توشياو روي، تعني أن المرة الواحدة بتسعة آلاف وتسعمئة وعشرين يواناً، وأن توشياو روي محق في ما قال وفق حساباته الجنسية. ثم أخذت تنهيدة عميقة، ومضت تفكر في أنها إذا ما كانت لا تزال عذراء، فسيكتفي توشياو روي بعشر مرات معها، وبذلك يتنازل لها عن دينها الذي يبلغ تسعة وتسعين ألفاً ومئتي يوان، وبالتالي لن تكون بحاجة إلى السفر إلى مقاطعة xx، وتذكرت قولها وهي غاضبة بأنه مهما هربت سونغ تساي شيا بعيداً، فإنها لن تفلت منها، ثم هدأت قليلاً، ومضت تفكر في أنها لا تعرف أحداً في مقاطعة xx، وبدأ يسيطر عليها شعور بالخوف من ذهابها إلى هناك، ولكن كل الطرق أصبحت مسدودة أمامها، ولا مفر من السفر إلى مقاطعة xx.

عادت نيوشياولي إلى البيت لترتيب حقيبتها، وإلى جوارها نيوشياوشه، بانجيو وفينغ جين خوا يتابعون ما تقوم به.

فقال نيوشياوشه:

- أرى أنه لا داعي للسفر.

- لا داعي للسفر! وهل ستتولى أنت تسديد مئة وثمانية آلاف وثمانمئة

يوان لتوشياو روي؟

وانتبهت نيوشياولي إلى ذكر المبلغ وفق نسبة فائدة 3% في وجود فينغ جين خوا، بينما يعلق نيوشياوشه على ما سمعه.

- لا داعي للسفر، وسنفكر في حل لجمع المبلغ. قال فينغ جين خوا.

- إذا كان بإمكانك التفكير في حل، لما لجأنا للاقتراض من البداية.

فاختار فينغ جين خوا الصمت. في حين تابعت نيوشياولي موضحة:

- وفي الحقيقة فإن المال ليس السبب الوحيد لسفري إلى مقاطعة xx

للبحث عن سونغ تساي شيا.

- وما هي الأسباب الأخرى؟ سأل فينغ جين خوا.

- أرغب في أن أوجه لها سؤالاً وجهاً لوجه. ردت نيوشياولي.

- وما هو السؤال؟

- عندما التقيت بها لأول مرة، تعاملت معها على أنها إنسانة صادقة،

فما الذي جعلها تراني حمقاء؟

وتابعت:

- تعاملت معها على أنها إنسانة صادقة، وهي تظاهرت بذلك
وخدعتني، فماذا أكون غير إنسانة حمقاء؟

مضت تتحدث حتى غلبها البكاء. فحاول فينغ جين خوا أن يغير
الموضوع، فقال:

- ولكننا سنتزوج الشهر المقبل، وقد تم تحديد موعد الزفاف، ولا
يمكن تأجيل موعد زفافنا بسبب سونغ تساي شيا.

فردت غاضبة:

- لن أتزوج قبل أن أجد حلاً لهذه المصيبة.

وتابعت:

- ولن أذوق طعم السعادة قبل أن أجد حلاً لهذه المصيبة.

فسكت فينغ جين خوا. وتدخلت بانجيو قائلة:

- عمتي، أريد مرافقتك إلى مقاطعة xx.

فقالت نيوشياولي مذهولة:

- لماذا؟

- لم يسبق لي أن ركبت القطار، وأريد السفر بالقطار.

ضحكت نيوشياولي ضحكة نفثت بها عن نفسها، وقالت:

- ولكنني زاهبة للبحث عن خصم وليس للسياحة، وستأتي الفرصة

لركوب القطار في ما بعد.

- إذًا فلأذهب معك أنا، لأساعدك في البحث عن سونغ تساي شيا. قال

فينغ جين خوا.

فهزت نيوشياولي رأسها بالرفض، وقالت:

- يكفي أن تذهب معي زوجة لاوشين، فهي على دراية بالمكان هناك،
ويفضل أن تبقى أنت هنا لتنفيذ مهمة أخرى.

- ماذا تقصدي؟ سأل فينغ جين خوا بدوره.

- تعلم أن مقاطعة xx مسقط رأس زوجة لاوشين، وأنني سأكون
غريبة هناك، فإذا حاولت هي خداعي، سأتصل بك فورًا لتلقي بزوجها
في النهر.

تواعدت نيوشياولي مع زوجة لاوشين أن تلتقيا عند الثامنة من صباح اليوم التالي في محطة الحافلات بالبلدة، لتسافرا معاً إلى مدينة تشين خان بمقاطعة xx للبحث عن سونغ تساي شيا. وكانت نيوشياولي وفينغ جين خوا عاداً أمس مع لاوشين وزوجته بعد خروج لاوشين من النهر إلى بيتهما بقرية شينجياجوانغ، لاستلام الثلاثة آلاف يوان التي حصل عليها لاوشين وزوجته من صفقة زواج سونغ تساي شيا، وذلك للاعتماد عليها كمصاريف سفر نيوشياولي وزوجة لاوشين إلى مقاطعة xx. إلا أنهم عندما وصلوا بيت لاوشين، قال لاوشين إنه قام بإيداع المبلغ في البنك قبل ستة أيام كوديعة ثابتة، ولا يمكن سحبه الآن، وأن لا سبيل أمامه سوى اقتراض المبلغ من أقاربه، وأضاف بأنه طالما سيتم استخدام هذا المبلغ كمصاريف للسفر، فلا حرج أن يتم تسليم نيوشياولي المبلغ في صباح اليوم التالي عندما تلتقي مع زوجته. فظن فينغ جين خوا أن لاوشين عاد للمكر ثانية، فهمم أن يبطش به، فاعترضته نيوشياولي قائلة إنه إذا لم تستلم المبلغ صباح اليوم التالي، فإن الأمر لن يقتصر على ضرب لاوشين وإنما سيتم تحطيم بيته. فهز لاوشين رأسه مؤمناً على كلامها، ووعدها بأنه سيذهب لاقتراض المبلغ بعد الظهر. ثم أخذت نيوشياولي تستفسر من زوجة لاوشين عن أحوال سونغ تساي شيا، فقالت زوجة لاوشين إنه قبل زواج سونغ من نيوشياوشه، كانت قد أقامت بمنزل لاوشين ثلاثة أيام، وبينما كانتا تتجاذبان أطراف الحديث ذات مساء، عرفت منها أنها من قرية يوتانغ التابعة لبلدية ويجين بمدينة تشين خاي، وكانت نيوشياولي قد رأت ذات العنوان بالهوية الشخصية

لسونغ تساي شيا، بينما تتحدر زوجة لاوشين من قرية مينغ تشاو التابعة لبلدية سونغ داي بمدينة تشين خاي، والمسافة بين البلديتين في حدود خمسة وعشرين كيلومتراً فقط، فيمكن القول بأنهما بلديات. ثم انشغلت نيوشياولي وفينغ جين خوا ولاوشين وزوجته بتحليل الأمر، وكيف تصرفت سونغ تساي شيا في المئة ألف يوان التي حصلت عليها من عائلة نيوجيا، بعد خصم الثلاثة آلاف يوان التي حصلت عليها عائلة لاوشين؟ فاتفق الجميع مع ما كانت قد ذهبت إليه زوجة لاوشين بأنه من المؤكد أنها عادت بالمبلغ إلى مسقط رأسها، وأنها حتى إذا لم تكن عادت به إلى بيت أهلها، فإذا تعذر العثور عليها هي، سيبقى أمامهم بيت أهلها، وإذا تمكنوا من الوصول إلى أهلها، فإنهم سيكون بإمكانهم العثور عليها، وإذا تعذر ذلك، سيبقى أمامهم البيت الذي يمتلكه أهلها، والذي ستساوي قيمته مئة ألف يوان. ومن ثم عقدوا العزم على السفر إلى تشين خاي. واتفقت نيوشياولي مع زوجة لاوشين على أن تستقلا الحافلة من القرية إلى البلدة، ثم الحافلة من البلدة إلى المدينة، ثم القطار من المدينة إلى عاصمة مقاطعة xx، ثم الحافلة من عاصمة المقاطعة إلى مدينة تشين خاي، ثم الحافلة من تشين خاي إلى قرية ويجين، وأخيراً تنتقلان من ويجين إلى قرية يوتانغ.

وفي الساعة والنصف من صباح اليوم التالي، وصلت نيوشياولي إلى محطة الحافلات، وانتظرت حتى الثامنة ولم تظهر زوجة لاوشين، فبدأ يساورها القلق في زوجة لاوشين، وعند الثامنة والرابع، تحركت أول حافلة إلى المدينة، ولم تصل زوجة لاوشين بعد، فانتظرت حتى تمام التاسعة، دون أن تجد أثراً لزوجة لاوشين داخل أو خارج المحطة، فأخرجت نيوشياولي هاتفها المحمول لتتصل بفينغ جين خوا، وتطلب منه أن يركب دراجته ويسرع لتحطيم بيت لاوشين، وأن يلقي بلاوشين

وزوجته في النهر، إلا أنها ما إن طلبت الرقم على الهاتف، حتى رأت زوجة لاوشين تقترب منها وهي تترنح حاملة صُرّة كبيرة على ظهرها وحقيبية في يدها. فزال عنها كل التوتر والقلق وشعرت بالراحة، وقالت لمن تحادثه في الهاتف:

- لا بأس.

ودنت زوجة لاوشين من نيوشياولي، وقالت وهي تلهث:

- لم تتأخر الحافلة، أليس كذلك؟

- كيف لم تتأخر، لقد تحركت أول حافلة، ويجب أن ننتظر أكثر من نصف ساعة حتى تتحرك الثانية. ردت نيوشياولي غاضبة.

وفي تلك الأثناء، رأت نيوشياولي صبيًا صغيرًا خلف زوجة لاوشين، يتصبب وجهه من العرق، وكميات من المخاط تسيل على وجهه، ممسكًا بيده اليسرى لعبة المروحة الدوارة، بينما يمسك بيده اليمنى طرف ثوب زوجة لاوشين، وقد انشغل بالتأمل في نيوشياولي. فذهلت نيوشياولي، وسألت وهي تشير إليه:

- من هذا؟

- إنه ابني، فطالما أننا سنسافر إلى مسقط رأسي، فقد رأيت أن أصحابه معي لزيارة بيت جده، فلم يرَ جده وجدته منذ ثلاث سنوات.

فقالت نيوشياولي وهي لا تدري أتضحك أم تبكي:

- ولكن هدفنا هو البحث عن شخص وليس السياحة، فكيف يمكن اصطحاب طفل معنا؟

- اطمئني لن نعوقك في شيء. ردت زوجة لاوشين.

وهمت نيوشياولي أن ترد، فعاجلتها زوجة لاوشين موضحة:

- فطوله لم يصل إلى مئة وعشرين سم، فلا يحتاج لتذكرة قطار، ولن يصرف شيئاً من مصاريف انتقالنا.

ووجدت نيوشياولي نفسها من جديد في موقف لا تدري أتضحك أم تبكي، فحتى ولو لم ينفق الطفل شيئاً من الثلاثة آلاف يوان، فإنه سيعوق حركتهما، فقد خرجتا للبحث عن خصم، فكيف يمكن الاهتمام به في ظل أي تطور يحدث خلال عملية البحث؟ وتذكرت ابنة أخيها بانجيو التي كانت ترغب في ركوب القطار، وأنها هي التي منعتها، ولم تكن تتوقع أن زوجة لاوشين ستصطحب ابنها معها. وفضلاً عن عدم حرية الحركة، فإن الأمر يتعلق بمصاريف الرحلة، فإذا لم يكن الطفل بحاجة إلى تذكرة قطار، فإنه سيكون بحاجة إلى شراء الطعام والشراب طول الرحلة، فمن سيدفع هذه التكاليف؟ فهي على كل حال ستخضع من الثلاثة آلاف يوان. وكانت زوجة لاوشين قد حصلت على هذا المبلغ في بداية الأمر من سونغ تساي شيا كعمولة، أما الآن فهذا المبلغ يخص نيوشياولي. ويبدو أن زوجة لاوشين فطنت إلى ما تفكر فيه نيوشياولي، ففتحت حقيبة يدها وكشفت عما بداخله من الخبز الأبيض، وقالت:

- وقد حسبت لهذه الرحلة جيداً، يتطلب وصولنا إلى مدينة تشين خاي تغيير ست حافلات، وسوف تستغرق الرحلة خمسة أيام، وهذه الكمية من الخبز ستكفينا طول الرحلة.

ثم استلت رغيفاً من السلة، وقدمته لنيوشياولي قائلة:

- تذوقي بنفسك!

ومن جديد وجدت نيوشياولي نفسها في موقف لا تحسد عليه. وطالما أن الأمور وصلت لهذه الدرجة، فأخذت قطعة من الخبز وألقت بها في فمها. وكان الخبز لا يزال ساخناً بعض الشيء، وأحست بطعم الدقيق الشهي، وقد كان الخبز محشواً بشرائح البصل والسهمسم، وذا رائحة زكية.

- ما رأيك؟ سألتها زوجة لاوشين.

- لذيذ جداً. أهو من صنع يدك؟ قالت نيوشياولي.

فهزت زوجة لاوشين رأسها بالإيجاب وقالت:

- استيقظت منذ منتصف الليل لإعداده.

ثم قالت وهي تمسح على الصرة:

- كما أحضرت معي أكثر من عشرة رؤوس من البصل.

وأدركت نيوشياولي أن زوجة لاوشين امرأة ماهرة، فعلى الرغم من قصر قامتها، إلا أن لديها قدرة كبيرة على التحمل، بل إنها إنسانة جادة. وما إن رأى الصبي أمه ونيوشياولي تتجاذبان أطراف الحديث، حتى أطلق لنفسه العنان في اللعب بالمروحة الدوارة في المحطة، فراح يجري بها هنا وهناك وكأنه يقود دراجة نارية. وقالت نيوشياولي:

- كيف لم أره عندما زرتكم في البيت؟

فردت زوجة لاوشين:

- وهل يهدأ له بال في البيت! إنه يقضي يومه خارج المنزل في تسلق الأشجار ونبش أعشاش الغربان في جميع أرجاء القرية.

وفجأة تذكرت نيوشياولي أمرًا ما، فسألت زوجة لاوشين:

- وما اسمك؟

- يناديني الجميع بزوجة لاوشين.

- ليس لك اسم محدد؟

ففهمت زوجة لاوشين ما تقصده نيوشياولي، فردت بابتسامة خجولة:

- اسمي جوجيوخوا.

- وهو؟ سألت نيوشياولي وهي تشير إلى الصبي.

- أسماء والده (شويه وين)، إلا أن الجميع ينادونه بـ (القرد الصغير).

فضحكت نيوشياولي ضحكة تنفث بها عن نفسها، وراحت تنظر إلى (القرد الصغير) وهو يجري بجنون في جميع أرجاء المحطة كالقرد. وفجأة تذكرت نيوشياولي أمرًا ما، فسألت:

- وهل أحضرت المبلغ معك؟

فما إن سمعتها زوجة لاوشين تسأل عن المبلغ، حتى وضعت في عجلة الصرة وحقيبة يدها، وأخذت تفك حزامًا كانت تربطه حول سروالها، ثم دست يدها داخل السروال. فسألتها نيوشياولي مذهولة:

- ماذا تفعلين؟

- ثلاثة آلاف يوان ليست مبلغًا بسيطًا، ومن شدة خوفي على ضياعه، قمت بحياكة جيب داخل السروال ووضعت به داخله. ردت زوجة لاوشين.

فضحكت نيوشياولي، وقد أحست ثانية أن جوجيوخوا إنسانة جادة،

فمدت يدها تمنعها قائلة:

- طالما أن المبلغ بالداخل، فلا داعي لإخراجه، وسنأخذ منه حسب حاجتنا بين الحين والآخر.

فقالت زوجة لاوشين ويدها بداخل السروال:

-هل تثقين بي؟

- وهل يمكن أن تهربي مني؟ وإذا فعلتِ فهناك لاوشين، سنلقي به في النهر ثانية، بل ونقوم بتحطيم بيتكم. ردت نيوشياولي.

فضحكت جوجيوخوا، ثم رفعت لها إصبع الإبهام تعبيراً عن إعجابها بها قائلة:

- يا لك من امرأة ذكية يا أختي الصغيرة.

- ماذا تقصدين؟

- المسؤولية على عاتق من أخذ المبلغ.

فضحكت نيوشياولي، وعادت تؤكد لنفسها أن جوجيوخوا امرأة جادة.

وفي الحافلة المتوجهة إلى المدينة، راحت نيوشياولي تتابع تقدم الحافلة وهي تبتعد عن مصنع الملابس والمسيح، وفي أعماقها تلعن سونغ تساي شيا. فقبل هذا الموقف، لم تكن نيوشياولي سافرت حتى إلى عاصمة المقاطعة التي تنتمي إليها، أما في هذه الرحلة، فإنها ستسافر عبر أكثر من مقاطعة لمسافة أكثر من ألفي كيلومتر، وليست المشكلة في طول الطريق، وإنما ما يقلقها أنها لا تعلم شيئاً عن مقاطعة xx، بل إنها زاهبة إلى هناك للبحث عن خصم، ولا تعلم ماذا يمكن أن يحدث لها،

فبدأ يساورها الخوف، وراحت تندب حظها العاثر، فقد مات أبوها وهي صغيرة، وهربت أمها، وأخوها الأكبر ضعيف وجبان، فوجدت نفسها المسؤولة عن كل كبيرة وصغيرة في هذه الأسرة. وبينما هي شاردة في التفكير، دنت منها جوجيوخوا وقالت:

- يجب عليّ أن أشكرك يا أختي.

- ماذا تقصدين؟ سألت نيوشياولي وقد شعرت بالدهشة من كلامها.

- من حسن حظي أن هذا الموضوع سيبعدني عن لاوشين بضعة أيام.
ردت جوجيوخوا.

فأصاب هذا الكلام نيوشياولي بالدهشة والذهول، فتناست ما كان يشغلها وسألت:

- ألا تحبينه؟

فهزت جوجيوخوا رأسها بالإيجاب.

- ولكن كان يبدو عليكما أمس في مصنع الطوب أنكما زوجان متحابان؟ قالت نيوشياولي.

- أكرهه من أعماق قلبي.

- لماذا؟

فردت جوجيوخوا:

- رجل قصير قبيح الشكل، صورة من وو دا لانغ⁽²⁾، وهذا ما جعله يفشل في العثور على زوجة في مسقط رأسه.

فشعرت نيوشياولي برغبة في الضحك، ولكن منعها الخجل، فقالت:

- ولكن يبدو أنه رجل ماهر.

واستطردت جوجيوخوا:

- هذا بالإضافة إلى أنه لا يثق بي.

- ماذا تقصدين؟ سألت نيوشياولي.

- يضع يده على دخل الأسرة كله، ويعطيني أنا والقرد الصغير عشرين يواناً مصروفًا شهريًا، فماذا يكفي هذا المبلغ البسيط؟ لا تكفي شراء الفوط الصحية عندما تعاودني الدورة الشهرية. ألا ترين أنه يعاملني معاملة الحيوانات؟

فردت نيوشياولي متعجبة:

- هذا القزم، لم أكن أتخيل أنه قاسٍ إلى هذه الدرجة!

- وهل تعرفين السبب وراء قسوة قلبه؟ قالت جوجيوخوا.

- وما السبب؟ سألت نيوشياولي.

فنظرت جوجيوخوا إلى القرد الصغير في حضنها، والذي كان ينام

2- وو دا لانغ: من الشخصيات المعروفة في رواية "أبطال على شاطئ البحيرة" إحدى الروايات الكلاسيكية الأربعة في تاريخ الأدب الصيني لمؤلفها شه ناي يان، تقدمه الرواية في صورة رجل قصير قبيح الشكل، وكانوا ينعنونه "القزم قبيح الشكل"، وبالرغم من هذا كله تزوج من الجميلة بان جين ليان. (المترجم).

على رجلها، بما أنها لم تشتري له تذكرة، فبعد أن أنهك نفسه باللعب في المحطة، ما إن صعد الحافلة حتى أسلمه التعب إلى نوم عميق، ثم قربت فمها من أذن نيوشياولي وقالت لها:

- سأقول لك بعد أن عرفت أنك مخطوبة.

فسألته نيوشياولي باستغراب:

- ماذا تقصدين؟

فردت جوجيوخوا همساً:

- إنه ضعيف بالليل.

فلم تفهم نيوشياولي قصدها مباشرة، فكررت سؤالها:

- ماذا تقصدين؟

فردت جوجيوخوا موضحة:

- كلما كان الرجل ضعيفاً بالليل، فإنه يفقد رشده بالنهار.

ظلت نيوشياولي في مكانها مذهولة، وقد ظنت أن جوجيوخوا امرأة ثرثارة تذيع كل شيء للغرباء، وظنت لوهلة أنها إنسانة ودودة واجتماعية، وأنها رأت فيها صديقة لها خلال هذه الفترة القصيرة. فقالت نيوشياولي وهي تشير إلى القرد الصغير:

- وكيف جاء هذا إذا كان هو ضعيفاً؟

- دخلت به معي؟ ردت جوجيوخوا.

فتابعت نيوشياولي تسأل وقد فهمت ما تقصده جوجيوخوا:

- فلماذا كنتِ تستميتين لإنقاذه عندما أُلقي به أمس في النهر.

فضربت جوجيوخوا كفاً بكف وقالت:

- إذا لم أفعل ما فعلت، كان سيقوم فور مغادرتكم بإلقائي في النهر.

يبدو أن لكل مصيبته، ثم قالت نيوشياولي متعجبة:

- هذا ما لم أكن أتخيله.

فردت جوجيوخوا وقد ظنت أنها تقصد لاوشين:

- هذا ما يصدق عليه القول بأنك تعرف أحدهم ولا تعلم شيئاً عن

شخصيته.

وفجأة تذكرت نيوشياولي أمراً ما، فسألت جوجيوخوا:

- لدي سؤال عجزت أن أجد له إجابة خلال اليومين الماضيين.

- وما هو؟ سألت جوجيوخوا بدورها.

- عندما خدعتنا سونغ تساي وشيا وحصلت منا على مئة ألف يوان،

ذكرتم لي أن لاوسه من عائلة سه جيا تشيا كان يرغب في منحها مئة

وأربعين ألف يوان، فلماذا لم تختار أن تذهب لخداع لاوسه وخدعتنا

نحن؟ قالت نيوشياولي.

- نعم كان لاوسه قد وافق على منحها مئة وأربعين ألف يوان، لكن

على أن تحصل عليها على دفعات، وهو ما رفضته سونغ تساي وشيا.

فهزت نيوشياولي رأسها مؤكدة، وقد فهمت أن النصابة سونغ تساي

شيا كانت قد خططت لهذا الأمر جيداً.

-6-

وصلت نيوشياولي ومرافقها إلى محطة حافلات البلدة، ولم يتوقفوا هناك طويلاً حيث استقلوا مباشرة الحافلة المتوجهة إلى المدينة. وما إن سارت الحافلة مسافة خمسة كيلومترات خارج حدود البلدة، حتى صادفت أعمال صيانة بالطريق، فاصطفت الحافلات على طول الطريق في صف طويل. وقد جلس القرد الصغير على رجل أمه ينظر من النافذة، لحظات وعلا صوته بالصراخ يطلب الطعام، فأخرجت له أمه رغيفاً. فأكل القرد الصغير الرغيف ثم عاود في حضن أمه. مضت الحافلة تشق طريقها وهي تتوقف بين الحين والآخر، حتى وصلت أخيراً المدينة عند الغروب. ثم استقلوا إحدى حافلات النقل العام من محطة الحافلات إلى محطة القطار، ووجدوا أنوار محطة القطار مضيئة بشدة كأنهم في وضح النهار. وطلبت نيوشياولي من جوجيوخوا أن تخرج من جيب سروالها أربعمئة يوان، على أن تبقى جوجيوخوا في ميدان المحطة للعناية بأمعتهم، وأسرعت هي بدورها إلى شبك التذاكر. وهناك وجدت القطارات المتجهة إلى عاصمة مقاطعة xx تشمل: القطار فائق السرعة، القطار السريع، القطار المميز والقطار العادي، فاختارت القطار العادي توفيراً للمال. إلا أنه ما إن جاء دورها أمام الشباك، حتى أخبرها موظف الشباك أن تذاكر القطار العادي المتوجه اليوم إلى عاصمة مقاطعة xx نفدت، وأن هناك تذاكر متاحة في القطار العادي بموعد الغد، ولكنها تذاكر وقوف، وأنها إذا رغبت في حجز تذاكر الجلوس فعليها الانتظار لبعد غد. فقالت في نفسها إن الوقت لا ينتظر، ولتكن تذاكر الوقوف، وقامت على الفور بحجز تذكرتين وقوف في قطار الساعة العاشرة من

صباح اليوم التالي والمتوجه إلى عاصمة مقاطعة xx. وما إن خرجت من صالة التذاكر، ووصلت إلى جوجيوخوا، حتى قرصها الجوع. وتذكرت أنها كانت في عجلة طول الطريق، حيث استقلوا الحافلة من البلدة إلى المدينة، وصادفوا الزحام، حتى نسوا تناول الغداء في الظهر من شدة الاستعجال. فسألت نيوشياولي جوجيوخوا إذا ما كانت جائعة أم لا، فأخبرتها جوجيوخوا أنها هي أيضاً جائعة. حتى القرد الصغير انتهز الفرصة وقال إنه جائع. فقالت نيوشياولي:

- كيف تشعر بالجوع وقد أكلت الخبز في الطريق؟

اصطحبتا القرد الصغير إلى أمام درج الميدان، ثم وضعتا أمتعتهما وجلسوا على الدرج، واستلت جوجيوخوا من حقيباتها ثلاثة أرغفة وبصلة من الصرة، وقسمتها إلى ثلاثة أجزاء، وأمسك كل منهم برغيف وقطعة من البصل، وما إن بدأت نيوشياولي تقضم الرغيف حتى أحست بأنه لم يعد طرياً وذا رائحة طيبة كما كان في الصباح، بل بدا مثل الأستك المطاطي، وقد صعبَ عليها مضغه. ثم أخذت نيوشياولي تمسح المكان بناظريةا، فرأت على يمين المحطة صف الأكشاك التي تبيع الوجبات السريعة، وسمعت نداءات البائعين بأصواتهم المعهودة. فقالت وهي تشير إلى أكشاك الطعام:

- هيا بنا لتناول سلطانية من الحساء الساخن.

- وهل تعتقدي أن هذا الحساء مجاني؟ قالت جوجيوخوا.

فردت نيوشياولي:

- ما أصدق المثل القائل (الفقراء يصحبون أغنياء في السفر). وماذا

إذا أنهكنا أنفسنا ومرضنا في الطريق، عندها سننفق أكثر.

فرفعت جوجيوخوا إصبع الإبهام تعبيراً عن إعجابها بها قائلة:

- يعجبني ذكاؤك يا أختي.

- وكم يسرني مرافقتك في السفر. أضافت.

صحبت نيوشياولي جوجيوخوا والقرد الصغير إلى أمام أكشاك الوجبات السريعة. وقف ثلاثتهم أمام الأكشاك والتي وجدوا من بينها ما يبيع: القطائف المحشوة، معجنات جياوتزه، المعكرونة، الفطائر المحشوة، الحساء، الحساء الحار، حساء لحم الغنم وغيرها من الوجبات، داروا حول الأكشاك دورة كاملة، وركزوا على أطباق الحساء، استفسروا عن سعر كل نوع منها، حتى كانت الكلمة الأخيرة لنيوشياولي التي جلست أمام كشك بيع حساء لحم الغنم. وكان سعر السلطانية الواحدة ثلاثة يوانات، فأخرجت نيوشياولي المبلغ الذي تبقى معها من شراء التذاكر واشترت ثلاث سلطانيات. حملت نيوشياولي الحساء ساخناً، ثم وضعت به قليلاً من الخبز الذي ذاب في الحساء في الحال، وأمسكت بقطعة من البصل، دقائق وأنهت الحساء بما فيه من الخبز وقد تصببت عرقاً. وما إن نظرت إلى جوجيوخوا والقرد الصغير، حتى وجدتهما منمهمكين في تناول الحساء حتى تصببا عرقاً، ولاحظت أن القرد الصغير أبقى شيئاً قليلاً في قاع السلطانية، فأخذتها منه جوجيوخوا ورفعتهما إلى فمها لتنزلهما فارغة. وبعد تناول الطعام، أصبح شغلهم الشاغل تدبير مكان للنوم. فبعد أن كانت خططهم استقلال قطار الليلة، ليقضوا هذه الليلة بالقطار، تأجل سفرهم اليوم وبقوا في المحطة، ومن ثم فعلتهم التفكير في تدبير مكان للنوم. فقضاء هذه الليلة بأحد الفنادق يحتاج إلى إنفاق جزء من المبلغ، وإذا تراجعوا عن فكرة الفندق، فهل سينامون في الشارع؟ ويبدو أن جوجيوخوا قرأت ما يدور برأس نيوشياولي،

فقال على الفور:

- هيا بنا للنوم في صالة الانتظار داخل المحطة.

- وهل يسمحون لنا؟ سألت نيوشياولي.

- أذكر أنني عندما كنت عائدة من مقاطعة xx قبل سنوات، قضيت ليلتي داخل صالة الانتظار مع عدد من المحتالين. ردت جوجيوخوا، ثم تابعت:

- كما أن صالة الانتظار بها الماء الساخن الذي يقدم مجاناً.

فضحكت نيوشياولي. وقد بدا أن جوجيوخوا أكثر خبرة منها في شؤون السفر. فحملتا أمتعتهما، وتوجهتا بصحبة القرد الصغير إلى صالة الانتظار. ولكن من كان يعلم أن قواعد دخول صالة الانتظار تغيرت عما كانت عليه قبل عدة سنوات؛ فالصالة الآن متاحة فقط للركاب الذين بحوزتهم تذاكر سفر صالحة على قطارات نفس اليوم. فقلت جوجيوخوا محاولة أن تلتف الموقف:

- هذا ما لم أكن أتوقعه.

وما إن رأته نيوشياولي تقف مهمومة، حتى تابعت:

- ولا لوم على أحد في ذلك، فبإمكاننا قضاء ليلتنا بمحاذاة سور صالة الانتظار اتقاءً للبرد والرياح.

عندئذٍ رأته نيوشياولي عددًا من الركاب يفترشون الأرض بمحاذاة سور صالة الانتظار بشكل عشوائي. فدنا ثلاثتهم من السور وأخذوا يبحثون لهم عن موضع مناسب، وأخرجت جوجيوخوا من الصرة لحافاً مهترئاً، فشعرت نيوشياولي من جديد بالدهشة من تصرفات جوجيوخوا.

تكون الثلاثة معًا وقد ألقوا بالحاف فوق أجسادهم، في محاولة لأخذ بعض الراحة. وكان الوقت ربيعًا، وقد ساعد التصاقهم ببعض ببعض واستعانتهم بالحاف على الشعور بالدفء. ولما كانوا قد أنهكهم التعب طول اليوم، فقد استسلمت نيوشياولي للنوم سريعًا. ولا تدري كم من الوقت نامت، حتى استيقظت من الحلم على يد أحدهم تعبت بوجهها، فأفاقته مذعورة وقد ظنت أنها صادفت أحد الصعاليك، فقبضت على اليد التي تعبت بوجهها، إلا أنها ما إن رفعت رأسها لتحقق من صاحبها حتى اكتشفت أنها يد القرد الصغير. ولما كان القرد الصغير قد أخذ قسطًا كافيًا من النوم طول الطريق في الحافلة أمس، فقد بقي مستيقظًا الآن في منتصف الليل، وقد أخرج رأسه من تحت الغطاء وأخذ يعبت بوجه نيوشياولي وهو يتأمل في ملامحها. فقالت نيوشياولي ضاحكة:

- ماذا بك؟ أتعاكسني؟

عندئذ أفاقته جوجيوخوا، وما إن رأت هذا المشهد حتى ضحكت هي الأخرى. بينما تابع القرد الصغير يتأمل في وجه نيوشياولي، وفجأة طبع على جبينها قبلةً قائلاً:

- جميلة.

فضحكت نيوشياولي من جديد، وقالت:

- هل تعرف أنك طفل في الرابعة من عمرك؟

وقالت جوجيوخوا:

- ليس القرد الصغير فقط من يقول بأنك جميلة، فأنا أيضًا أراك جميلة.

فردت نيوشياولي بخجل:

- وأين هو هذا الجمال؟

- لا أستطيع تحديده، ولكن أشعر به، فجمالك مختلف عن غيرك من النساء.

- وما وجه الاختلاف؟

وفجأة تذكرت جوجيوخو شيئاً ما، فضربت كفاً بكف وقالت:

- العينان واسعتان، الفم واسع والأنف طويلة، فأنت تبدين كالأجنبيات.

ثم غلبهم النعاس، وسادهم صمت تامّ. وقبل انبلاج ضوء الصباح، استفاقت نيوشياولي من الحلم على أحدهم يلكزها لإيقاظها. فما إن فتحت عيناها تتحقق منه، حتى وجدتها عاملة النظافة بالمحطة، وكانت امرأة بدينة ترتدي كمامة، بينما كانت تلكز جميع الركاب الراقدين بمحاذاة السور بالمقشّة، وما إن يقوم أحدهم حتى تكنس مكانه وتكوم كومة من التراب، مما يزعج من بجواره فيستيقظ بسرعة. واستيقظ ثلاثتهم مع غيرهم من الراقدين بمحاذاة السور، حملوا أمتعتهم وساروا بعيداً عن السور والتراب، حتى وصلوا إلى وسط الميدان. وتناوبت نيوشياولي وجوجيوخو على مراقبة الأمتعة لتذهب كل منهما إلى دورة المياه الواقعة في شمال الميدان، ثم إلى الفسقية الواقعة في الجهة الشرقية للمضمضة وغسيل الوجه، ثم إلى أكشاك الطعام في الجهة الجنوبية من الميدان. وطلبت نيوشياولي ثلاث سلطانيات من حساء الدخن، وكانت السلطانية بيوان واحد، يقدم معها مخلل الفجل مجاناً. وأخرجت جوجيوخو بعضاً من الخبز، وتناول ثلاثتهم الخبز مع الفجل المخلل والحساء. وقد ارتاحت معدتهم بتناول الحساء الساخن. وبعد

تناول وجبة الإفطار، عادوا إلى درج المحطة للجلوس ومتابعة المارة. وما إن دقت ساعة المحطة تمام الساعة الثامنة صباحًا، حتى حملتا أمتعتهما والقرد الصغير وتوجهتا للاصطفاف أمام مدخل المحطة. وقد فضلنا الاصطفاف قبل الموعد بساعتين، طمعًا في أن تكونا في مقدمة الصفوف لأنهما تمتلكان تذكرتان من فئة تذاكر الوقوف، وأملًا في أن تحصلا على مقعد بمجرد نزول الركاب عند وصول القطار. ووقفنا في الصف لأكثر من ساعة إلى أن تم السماح بدخول المحطة عند الساعة التاسعة وأربعين دقيقة. وبعد فحص التذاكر، تزاممتا مع جموع الركاب بينما تسحبان القرد الصغير، ثم صعدتا الجسر المعلق، وعبرتا الجسر إلى الجهة المقابلة ثم واصلتا الجري على الرصيف، حتى نجحتا أخيرًا في حجز مكان في مقدمة الصف على رصيف انتظار القطار. كانت نيوشياولي وجوجيوخو تجريان وهما تلهثان، بينما لم يبدو على وجه القرد الصغير أمارات التعب، وكأنه لم يقطع معهما كل هذه المسافة. فقالت جوجيوخو هكذا هو لا يتوقف عن الجري في جميع أرجاء القرية، يتسلق الأشجار وينبش في أعشاش الغربان، وها قد وجد ضالته في هذه الرحلة. فضحكت نيوشياولي. ثم انتظروا عشر دقائق إلى أن لاح لهم القطار. وما إن رأَت نيوشياولي القطار وهو يدخل المحطة ثم يقف على الرصيف، حتى تأكدت من أن اصطفافهما كل هذا الوقت كان من دون فائدة. فبمجرد أن نظرت من النافذة، حتى وجدت جميع العربات مكدسة بالركاب، وبمجرد أن فُتحت الأبواب، اكتشفت أن عدد الركاب النازلين من القطار أقل من الصاعدين. وقد وجدوا أنفسهم بفعل تدافع الركاب في المنطقة التي تربط بين عربات القطار بعضها ببعض. فراحت نيوشياولي تتعجب من جموع الركاب الغفيرة والذين لا يتوقفون عن التدافع والتزاحم في كل الاتجاهات. وقالت

جوجيوخوا لحسن الحظ أننا وجدنا مكانًا في مقدمة الصفوف، وإلا فإننا ربما لم نتمكن حتى من ركوب القطار. ثم أخذت نيوشياولي تتابع حركة الركاب على الرصيف، فرأت أعدادًا كبيرة من الركاب لم تتمكن من ركوب القطار، وقد منعهم عمال القطار من الصعود حتى تحرك القطار مغادرًا المحطة. لحظات وغرقت نيوشياولي في التفكير في هذه الصورة المأساوية في ظل تزايد أعداد الفقراء، والذين تراهم يتراحمون على أرخص وسيلة مواصلات، وأحست بأن انتظارها في الصف منذ الصباح الباكر لم يضع هباءً. وتذكرت طلب بانجيو لها بمرافقتها في هذه الرحلة لركوب القطار، ولحسن الحظ أنها لم تصحبها معها، وإلا فماذا كانت ستفعل معها وسط هذا الزحام.

ومضى القطار يسير ويتوقف بين الحين والآخر، ولم يهدأ الزحام طول اليوم. ولحسن حظهم أن جوجيوخوا تحمل معها كمية من الخبز في حقيبتها، وإلا فإنهم لم يجدوا ما يأكلونه في القطار. وكان الزحام الشديد هو أكثر ما يزعجهم في بادئ الأمر، قبل أن يشعروا ببساطة الزحام أمام مشكلة الذهاب لقضاء الحاجة. فكانت تبقى إحداهما بصحبة القرد الصغير إلى جانب الأمتعة، بينما تعبر الأخرى بين جموع الركاب الغفيرة محاولة الوصول إلى دورة المياه، بينما تتولى جوجيوخوا مسؤولية القرد الصغير في الذهاب إلى دورة المياه، وبسبب الزحام الشديد وحاجة الجميع إلى دورة المياه، فقد ينتظر الراكب أو الراكبة نحو الساعة أمام دورة المياه وربما لا يأتي دوره للدخول. هكذا حتى وصل القطار أخيرًا بعد يومين إلى نهاية الخط محطة عاصمة مقاطعة xx. وما إن نزل ثلاثتهم من القطار وخرجوا من المحطة، حتى قصدوا دورة المياه. وبمجرد خروجها من دورة المياه، أخذت نيوشياولي تتحسس قدمها، فإذا بها تجدها متورمة، فنظرت إلى قدم جوجيوخوا

فاكتشفت أنها لم تصب بأي تورم، وكذلك قدم القرد الصغير والذي رأته يلعب بمروحته الدوارة في الميدان ولا يشكو من شيء، وقالت في نفسها إن السيدة وابنها ربما أنهما أكثر قدرة منها على التحمل. ولما كان الوقت عقب هطول أمطار، فقد هبت رياح باردة، فارتدت كل من نيوشياولي وجوجيوخوا قطعة ملابس إضافية، كما ساعدت جوجيوخوا القرد الصغير في ارتداء قطعة ملابس إضافية. وقضى ثلاثتهم ليلة جديدة بمحاذاة سور المحطة. وفي صباح اليوم التالي، استقلوا الحافلة إلى محطة حافلات عاصمة المقاطعة. واكتشفوا عدم وجود زحام على الحافلة المتجهة إلى مدينة تشين خان، بل إن عددًا كبيرًا من المقاعد خالية من الركاب، حتى إن القرد الصغير سعد من دون تذكرة بل وجلس على مقعد بين أمه ونيوشياولي، وتمتع ثلاثتهم بحرية الحركة في هذه الحافلة مقارنة بالزحام الشديد الذي عانوا منه في القطار بالأمس. عندئذ أدركت نيوشياولي معنى أن مدينة تشين خان مدينة نائية، بالإضافة إلى قلة عدد المسافرين إليها. وما إن تحركت الحافلة مبتعدة عن عاصمة المقاطعة، اكتشفت نيوشياولي الاختلاف الكبير بين ما تقع عليه عيناها من جبال وأنهار ومناظر طبيعية مقارنة بما تعرفه في مسقط رأسها الذي تبعد عنه الآن مسافة أكثر من ألفي كيلومتر، فبينما يتميز مسقط رأسها بالسهول المنبسطة، تشاهد الآن سلاسل الجبال الممتدة، فمضت الحافلة تجتاز عددًا من الكهوف المتلاحقة. وعندئذ شكى القرد الصغير من ارتفاع درجة حرارته. ولم يكن يشكو من شيء قبل قليل عندما كانوا في عاصمة المقاطعة، إلا أنه الآن ما إن غادرت الحافلة حدود العاصمة حتى شكى من ارتفاع درجة الحرارة. وخمنت نيوشياولي وجوجيوخوا أنه بدأ يعاني بمجرد صعود الحافلة، وأعزوا السبب إلى الحافلة، فبالرغم من الزحام الشديد الذي عانوا منه في القطار لحد التعرق الشديد، إلا

أن القرد الصغير كان بصحة جيدة وأخذ يزاحم معهم حتى دخل في النوم. وأنه لا غرابة لارتفاع درجة حرارة جسمه الآن بعد أن نام معظم الطريق، وما إن استيقظ ورأسه يتصبب عرقاً حتى تعرض لهبوب الرياح الباردة، بالإضافة إلى الإرهاق طول الطريق. ورأت جوجيوخو أنه إذا تم القطع بأن ارتفاع درجة حرارة جسده بدأت قبل أن ينزل من القطار، فكان يجب أن يشكو من ذلك مساء أمس، فكيف تأخر حتى الآن ليشكو من ذلك؟ وأنها ترى أن السبب يعود إلى هطول الأمطار في عاصمة المقاطعة أمس، وبرودة الأرض التي ناموا عليها في المحطة، بصرف النظر عن أنهم كانوا يلتحفون باللحاف القديم. وقد اتفقت نيوشياولي مع جوجيوخو في هذا التحليل لأسباب مرض القرد الصغير. وفي البداية شكا القرد الصغير من ارتفاع حرارة رأسه، قبل أن يشكو من ارتفاع حرارة جسمه عند الظهيرة. وصادف ذلك مرورهم بمدينة تدعى داتشينغ، فتحدثت نيوشياولي إلى جوجيوخو في أن ينزلوا في هذه المدينة لاصطحاب القرد الصغير إلى مشفى مدينة داتشينغ. فلم ترد جوجيوخو على نيوشياولي، في حين أنها صفت القرد الصغير على وجهه قائلة:

- اللعنة على أمك، إذا كنت أعلم بمرضك هذا، لما صحبتك معي.

فبكى القرد الصغير بصوت مرتفع. ومن جديد، وجدت نيوشياولي نفسها في موقف لا تدري أتضحك أم تبكي، وقالت بأن القرد الصغير لم يتعمد الشكوى من ارتفاع درجة حرارته، فهو لا يزال طفلاً في الرابعة، ثم وقفت وحملت الحقيبة ونزلت من الحافلة. ولكن جوجيوخو قالت بينما لم تتحرك من مكانها:

- لن نذهب إلى المشفى، ألا تعلمي أن هذا يحتاج إلى المال؟

فردت نيوشياولي:

- ولكن على أي حال لا يمكن التساهل في الحفاظ على حياته.

- إنه لم يذهب إلى المشفى منذ مولده، وسيكون بخير بمجرد الوصول إلى تشين خان.

فعدت نيوشياولي إلى مقعدها مضطربة. مرت أربع أو خمس ساعات، وقد انتصف النهار حتى وصلت الحافلة أخيراً إلى محطة حافلات مدينة تشين خان. وقد فتح القرد الصغير عينيه، فمسحت نيوشياولي على رأسه، فإذا به لم يعد يشكو من ارتفاع الحرارة. وما إن نزلوا من الحافلة حتى راح يجري هنا وهناك. فاستغربت نيوشياولي مما رأت ولم تدر أتضحك أم تبكي. ثم طلبت منها جوجيوخوا أن تبقى مع الأمتعة لتصحب هي القرد الصغير إلى دورة المياه. فهزت نيوشياولي رأسها بالموافقة، فسحبت جوجيوخوا القرد الصغير وتوجها إلى دورة المياه الواقعة في غرب الميدان. ولما كانت نيوشياولي تشعر بالعطش، فقد سحبت حقيبتها وحقيبة جوجيوخوا وتوجهت إلى كشك بجوارها، واشترت زجاجة مياه وتابعت الانتظار وهي تشرب الماء. ومرت نصف ساعة، ولم تعد جوجيوخوا والقرد الصغير، ثم مرت ساعة كاملة ولم يعودا، ثم مرت ساعتان دون أن يظهر لهما أثر. عندئذ بدا على نيوشياولي الذعر، فحملت حقيبتها وحقيبة جوجيوخوا وأسرعت نحو دورة المياه الواقعة في غرب الميدان. ودخلت دورات المياه المخصصة للسيدات، وجعلت تبحث عنها في واحدة تلو الأخرى دون أن تجد لهما أثراً. فخرجت من دورات المياه وقد أدركت بأنها أمام مصيبة جديدة، لقد هربت جوجيوخوا بصحبة القرد الصغير، هربت دون أن تحمل معها أمتعتها.

-7-

فتحت نيوشياولي حقيبة جوجيوخوا، فوجدت بداخلها ثلاث أو أربع أرغفة من الخبز، ثم فتحت الصرة، فوجدت بها منشفة وبعض الملابس المهترئة الخاصة بالقرد الصغير، بالإضافة إلى اللحاف المهترئ الذي تغطوا به معاً. وما إن وقعت عينها على هذه الأغراض، حتى شعرت نيوشياولي بداية ببعض الحيرة، فكيف تهرب منها بعد كل ما كان بينهما طول الرحلة، فقد مرت علاقتهما بمرحلة عدم المعرفة إلى المعرفة التامة، ومن التكتّم في الكلام إلى الحديث في جميع الأمور الشخصية، بل وقد جمعهما لحاف واحد. وبعد تفكير طويل أدركت نيوشياولي مكر جوجيوخوا. فقد سحرتها بكلامها المعسول طول الطريق، قبل أن تفر هاربة. ثم تذكرت نيوشياولي فجأة أن جوجيوخوا هربت تاركة لها أمتعتها، لكن مصاريف الانتقال لا تزال في جيب سروالها، وأنهم حافظوا على التقشف الشديد طول الرحلة لمسافة أكثر من ألفي كيلومتر من مسقط رأسها إلى مدينة تشين خان، وقد أنفقوا نحو ستمئة يوان فقط، وتبقى معها ألفان وأربعمئة يوان، وتذكرت ما كان من جوجيوخوا طول الطريق من التقشف في كل شيء، حتى إنها رفضت أن تذهب بالقرد الصغير إلى المشفى، وقد كانت تظن أن جوجيوخوا تفعل ذلك لأجلها، وأنها صادفت إنسانة كريمة ومخلصة، ولكنها اكتشفت الآن حقيقتها، وأنها فعلت ذلك كله لغرض شخصي. ومضت نيوشياولي تفكر في أنها غادرت بلدتها وقطعت مسافة أكثر من ألفي كيلومتر إلى مدينة تشين خان للبحث عن هاربة واحدة، ولكنها الآن ليس فقط لم تعثر على من جاءت تبحث عنها، بل فقدت أخرى. وأنها

تعرضت قبل عشرة أيام للنصب من قبل سونغ تساي شيا التي جاءت بها زوجة لأخيها، وها هي تتعرض للنصب من جديد على يد جوجيوخو في مقاطعة xx. وأدركت فجأة أن لاوشين كان محققاً في طريقة تعامله مع جوجيوخو، وأن العشرين يواناً التي كان يعطيها لها كمصروف شهري لم تكن لتساعدنا بأي حال على الهروب إلى تشين خان، بل إنه كان محققاً في قسوته المعتادة، وإنها دون هذه القسوة تتحول إلى نصابة، فلم تتمكن من الهرب وهي بجوار لاوشين، ولكنها فعلت الآن بعد أن خدعت نيوشياولي واستولت منها على ثلاثة آلاف يوان. ثم مضت نيوشياولي تفكر لماذا لم تهرب جوجيوخو منذ البداية وقد كانت تحمل الثلاثة آلاف يوان، ولماذا هربت عندما وصلت إلى تشين خان؟ ثم أدركت أن السبب في ذلك ربما يعود إلى معرفتها بتشين خان دون غيرها من المدن، بالإضافة إلى أن نيوشياولي غريبة في هذه المدينة، وهو ما يقولون عنه ظلم العارف للجاهل. إلا أنها لم تقف على السبب الذي دفع جوجيوخو للهروب، هل هو موضوع نيوشياولي مع سونغ تساي شيا أم أنها هربت فراراً من لاوشين؟ وهل هربت هروباً قصيراً أم طويلاً؟ فإذا كان هروبها بسبب موضوع نيوشياولي، فإنه سيكون هروباً قصيراً، أما إذا كانت هربت للتخلص نهائياً من لاوشين، فسيكون هروباً طويلاً، وإذا كان هروباً قصيراً فإن الأمر يتعلق بنيوشياولي فحسب، أما في حالة كونه هروباً طويلاً، فكيف ستواجه نيوشياولي لاوشين بعد عودتها إلى مسقط رأسها؟ ولكنها على أي حال قررت أن تبدأ بالبحث عن جوجيوخو قبل سونغ تساي شيا. وبما أن جوجيوخو كانت قد ذكرت لها في قرية شينجياجوانغ أن بيت والدها يقع في قرية مينغتشاو التابعة لبلدية سونغداي بمدينة تشين خاي، فحملت نيوشياولي أمتعتها واستأجرت دراجة نارية من أمام المحطة، وألقت بالأمتعة فوق الدراجة

النارية وجلست فوقها وطلبت من السائق التوجه إلى قرية مينغتشاو التابعة لبلدية سونغداي. وتعجبت نيوشياولي من غباء جوجيوخوا، فكيف تهرب إلى مسقط رأسها بعد أن أصبحت نيوشياولي تعلم عنوان أهلها بالتفصيل؟ وهكذا فإنها مهما حاولت فإنها لن تفلت من قبضتها. وراحت تقول في نفسها إنها حتى إذا لم تعثر عليها، فإنها بالتأكيد ستصل إلى بيت أهلها وبالتالي يسهل العثور عليها. ولما كانت مدينة تشين خان تتكون من سلسلة من الجبال المتصلة، فقد صعدت الدراجة النارية طريقاً جبلياً متعرجاً يعلو وينخفض، حتى كادت الدراجة أن تنقلب. وما إن شعرت نيوشياولي بأن الدراجة على وشك أن تنقلب، حتى اشتاطت غضباً من الخداع الذي تعرضت له على يد جوجيوخوا. وبدأت تخطط في أنها عندما تعثر على جوجيوخوا في بيت أهلها، فإن أول سؤال ستوجهه لها أنها منذ متى رأت فيها إنسانة غبية؟ وهو نفس السؤال الذي كانت تخطط لتوجيهه لسونغ تساي شيا عند العثور عليها، هذا قبل أن تمسك بشعر تلك المرأة القصيرة وتصفعها بقوة، وتسألها إذا ما كان لديها قلب، وإذا لم تجدها بالبيت ووجدتها عند النهر، فإنها ستلقي بها في النهر، ثم ستأخذ بالعصا وتضرب الماء، تماماً كما فعل فينغ جين خوا مع لاوشين قبل عدة أيام، وتطاردها إلى وسط النهر، إلا أن نيوشياولي وفينغ جين خوا كانا قد سمحا للاوشين في نهاية الأمر بالخروج من النهر، ولكنها لن تسمح لجوجيوخوا بالخروج وستطاردها حتى تموت غرقاً، وإذا لم تجدها عند النهر، فإنها ستسكب زجاجة الكبريتيك التي تمسك بها على رأس ووجه جوجيوخوا، حتى يتساقط لحم وجهها كالدّم. ثم تذكرت نيوشياولي فجأة القرد الصغير، تذكرت عندما كان يعبث بوجهها في محطة القطار في مسقط رأسها، وقال إنها ”جميلة“، وتساءلت في نفسها ترى هل هو شريك جوجيوخوا في

خداها؟ وإذا كان كل ما فعله هذا الطفل صاحب الأربع سنوات خلال الرحلة مجرد تمثيلية، فإنه سينشأ مجرمًا لا محالة، ثم قالت بأن هذا الطفل بالتأكيد لم يكن يعلم شيئًا عن هذه المؤامرة، وأن جوجيوخوا هي المدبرة لهذه المكيدة. وتذكرت فجأة أنها كانت تعلم منذ بداية الرحلة أن جوجيوخوا كانت تحمل الثلاثة آلاف يوان، وأنها هي نفسها خرجت من بيتها تحمل خمسمئة يوان، وعندما تحسست جيب سترتها الداخلية تأكدت من أن المبلغ لا يزال في مكانه، ولكن جوجيوخوا هربت بالمبلغ الأكبر، ومضت تتذكر ما حدث في محطة الحافلات في مسقط رأسها قبل ثلاثة أيام، عندما أخرجت جوجيوخوا المبلغ من جيب سروالها وقدمته لها، ولما كانت نيوشياولي آنذاك لم تصل لمرحلة الشك في جوجيوخوا، فقد شعرت بأن جيب سروال جوجيوخوا هو المكان الآمن للاحتفاظ بالمبلغ، فطلبت منها أن تُبقي المبلغ في حوزتها، وأنها إذا كانت استردت المبلغ منها لم تكن لتجد نفسها الآن في هذا الموقف السلبي. ثم أدركت فجأة أن قيام جوجيوخوا باصطحاب القرد الصغير معها إلى مسقط رأسها لا يعود إلى الهروب الصغير بسبب موضوع نيوشياولي، ولكن يبدو أن هروب الأم وابنها هروب نهائي من قبضة لاوشين، وأنهما لن يعودا إلى قرية شينجياجوانغ ثانية، وتذكرت ما قالته جوجيوخوا من أن القرد الصغير ليس من صلب لاوشين، وهكذا يبدو أن اصطحابها للقرد الصغير معها إلى مقاطعة xx جزء من المؤامرة. ولكن تُرى ما هو السبب في هروبها الطويل؟ وتذكرت نيوشياولي ما ذكرته لها جوجيوخوا في الطريق حول كرهها للاوشين، حيث قالت بأنها تكره معاملته القاسية وكذلك أنه رجل ضعيف بالليل، وأن هذا الضعف بالليل هو السبب الرئيس وراء قسوته في النهار. وقد قادها كلام جوجيوخوا هذا إلى التفكير في هروب سونغ تساي شيا، وهل كان

سبب هروبها هي أيضًا أن أخاها نيوشياوشه ضعيف بالليل؟ فهي تعلم أن أخيها قصير القامة مثله مثل لاوشين، وهذا ما جعله يفشل في العثور على زوجة له من بنات مسقط رأسه، حتى بحثت له هي عن زوجة من مقاطعة أخرى. وتذكرت مراقبتها له ولعروسه ليلة الدخلة، وأنها لم تسمع صوتًا داخل الغرف حتى منتصف الليل، وهو ما جعلها تشعر بشيء من القلق، حتى ارتاحت عندما شاهدت الابتسامة على وجه أخيها عند تناول طعام الإفطار في صباح اليوم التالي للزفاف، ومضت تفكر في تلك الابتسامة وهل كانت تعبيرًا عن قوته كرجل أم عن بلاهته؟ وإذا كانت تعبيرًا عن قوته، فما مدى هذه القوة؟ وقد حملها التفكير في أمر لاوشين وأخيها نيوشياوشه إلى التفكير في فينغ جين خوا. وفكرت في أنها بعد أن تهدأ الأمور بينها وبين فينغ جين خوا، فإنه يجب أن يستغلا الوقت والمكان المناسب ويطلعا معًا مختارات من رواية "أبطال على شاطئ البحيرة" أحب الكتب إليهما، وأن يختارا الفصل الذي يتحدث عن بانجين ليان، وأن يستغلا استمتاعهما بالرواية ويغرقا في ممارسة الحب ساعة كاملة. وأن قوة فينغ جين خوا في هذا الجانب أحد الأسباب التي جعلت نيوشياولي تقبل به. وتذكرت ما قاله فينغ جين ليان آنذاك حول شخصية وودالانغ برواية "أبطال على شاطئ البحيرة" وأنه قصير القامة ضعيف بالليل، وهو ما تسبب في بروز شخصية شي مين تشينغ. وهل ضعف أخيها نيوشياوشه بالليل مثله مثل لاوشين هو السبب في هروب سونغ تساي شيا؟ وهل إذا ما كان أخوها رجلًا قويًا بالليل لم تكن لتقطع هذه المسافة إلى مقاطعة xx، ولما كان عليها البحث عن سونغ تساي شيا وجوجيوخوا؟ ومضت تفكر في أن سونغ تساي شيا مجرد امرأة نصابة، وأنها قبلت بالزواج من أخيها منذ البداية للنصب عليهم، وأنها كانت ستهرب عاجلاً أم آجلاً بصرف النظر عن قوة أو ضعف

نيوشياوشه بالليل. وأن المال هو السبب الرئيس في هروب سونغ تساي شيا، إذًا ما هو السبب في هروب جوجيوخو والقرد الصغير بالرغم من سيطرة لاوشين على مدخرات الأسرة؟ تُرى هل كان هروبهما للتخلص من لاوشين أم هناك سر آخر وراء هروبهما؟ وهكذا مضت نيوشياولي تفكر طول الطريق وأطلقت العنان لخيالها.

وسارت الدراجة النارية من تشين خان إلى سونغداي مسافة خمسة عشر كيلومترًا، ثم سبعة إلى ثمانية كيلومترات من سونغ داي إلى قرية مينغتشاو، حتى وصلوا مينغتشاو أخيرًا عند الغروب. وما إن سألت نيوشياولي عن جوجيوخو، حتى عرفت بأنه لا يوجد أحد في هذه القرية يحمل هذا الاسم، بل ولا توجد عائلة تحمل هذا الاسم، وعرفت أن ألقاب العائلات في هذه القرية تتنوع بين جانغ، خونغ، فان، باي وجيو، ولكن لا يوجد لقب جو. فأدركت نيوشياولي أنها تعرضت لعملية نصب، أو أن جميع ما قالته لها جوجيوخو كان كذبًا، وأنها لم تخدع نيوشياولي فحسب، بل خدعت لاوشين، خدعته ثلاثة أعوام كاملة، وأنه لا يعرف شيئًا عن ذلك حتى الآن. فوقفت نيوشياولي على رأس أحد شوارع القرية وهي لا تعرف ماذا ستفعل. فطالما أنه لا يوجد أحد في القرية يحمل اسم جوجيوخو، ففي أي قرية ستجد من يحمل هذا الاسم؟ وإذا كانت جوجيوخو حقًا من مدينة تشين خان، فإنها مدينة كبيرة، وأنها لا تعرف أحدًا فيها، فأين ستبحث عن جوجيوخو؟ وبما أن جوجيوخو كذبت على لاوشين ثلاثة أعوام كاملة، فإن نيوشياولي بدأت تشك في كونها من مدينة تشين خان، وإذا لم تكن من تشين خان، فمن أي البلاد ستكون؟ ويبدو من لهجتها أنها من أهل هذه المقاطعة، ولكن هذه المقاطعة بها عشرات الملايين من السكان، وعدد كبير جدًا من القرى، فأين ستبحث عنها؟ وبينما هي غارقة في أحزانها، سألهما السائق الذي

أقلها إلى قرية مينغ تشاو:

- وما العمل الآن؟

فرفعت نيوشياولي رأسها، وقد غلّف الليل بيوت القرية بالظلام، فقالت في نفسها طالما أنه لا يوجد أحد في هذه القرية يحمل اسم جوجيوخوا، فلا فائدة من البقاء هنا، ويجب أن تعود إلى المدينة وتفكر في الخطوة المقبلة، فقالت للسائق:

- هيا بنا إلى المدينة.

- ولكن العودة ليست سهلة. قال السائق.

- ماذا تقصد، وهل سنبقي هنا؟ قالت مندهشة.

- لا لن نبقي هنا، ولكن العودة ليست سهلة. رد السائق.

- ماذا تقصد؟ سألت نيوشياولي من جديد.

- أماننا طريق جبلي، والسير ليلاً به خطورة على حياتنا. يرد.

- فلتسر ببطء. قالت نيوشياولي.

- لا فرق بين السير بسرعة أو ببطء.

- ماذا تقصد؟ سألت نيوشياولي.

- السير بالليل يختلف عن السير في وضح النهار، فالأمر يحتاج لأجرة إضافية. أجاب السائق.

ففهمت نيوشياولي قصده، وأنه يريد استغلالها، ولما كانا قد اتفقا على مبلغ ثمانين يواناً كأجرة للذهاب والعودة ثانية إلى مدينة تشين

خان، فسألته نيوشياولي:

- وكَم تريد أن أضيف لك؟

- ثمانين يوانًا. قال السائق.

فذهلت نيوشياولي، ثمانين يوانًا جديدة، إذا المجموع مئة وستون يوانًا؟ ولم يكن هذا الرقم يمثل مشكلة لها قبل اليوم، ولكنها تحتكم الآن على خمسمئة يوان فقط، وتريد أن تعتمد عليها في البحث عن جوجيوخو وسونغ تساي شيا، وبالتالي فإن مبلغ مئة وستين يوانًا مبلغ كبير بالنسبة لظروفها حاليًا، فقالت:

- ألا ترى أن هذا استغلال؟ سأضيف لك عشرين يوانًا فقط.

- إذا سأتركك هنا.

”إذا تركتني هنا، سأعود بمفردي.“ ردت نيوشياولي.

فقال السائق غاضبًا:

- إذا أعطيني أجرة إقلاقك إلى هنا.

- كنا قد اتفقنا على ثمانين يوانًا للذهاب والعودة، والآن حقت أربعون يوانًا فقط.

ثم أخرجت أربعين يوانًا وألقت بها إلى السائق. فأخذها السائق غاضبًا، ثم ألقى لها بأمتعتها وفر مسرعًا. حملت نيوشياولي أمتعتها وسارت بمفردها في اتجاه النزول من الجبل. وما إن سارت مسافة كيلومتر، ووصلت إلى أحد المنحدرات، حتى رأت السائق يقف هناك تحت الجبل يدخل سيجارة. فلم تعره نيوشياولي اهتمامًا ومضت في طريقها. فلحق

بها السائق بعد أن ركب دراجته، وقال:

- ستين يواناً، ما رأيك؟

- قلت لك عشرين يواناً فقط.

- أربعين يواناً، ما رأيك؟ يقول.

فلم تعره نيوشياولي اهتماماً.

فقال السائق وهو يبصق غاضباً: - يا لك من امرأة بخيلة.

فلم تعره نيوشياولي اهتماماً. ثم تابعت طريقها لمسافة نصف كيلومتر، عندئذ رضخ لها السائق، وقال وهو يضرب كفّاً بكف:

- الرجل الشهم لا يجادل مع امرأة، هيا اركبي.

وتابع وهو يغمغم:

- إذا فلتعطيني عشرين يواناً بالإضافة إلى أربعين يواناً أجرة النهار، ليكون الإجمالي ستين يواناً.

وتابع:

- وعلى كل حال هذه الستون يواناً أفضل من العودة من دون ركاب.

عندئذ أحست نيوشياولي بأن هذا السائق صادق. فألقت بأمّعتها على الدراجة النارية، ثم جلست فوقها. وأدار السائق الدراجة واندفع في اتجاه النزول من الجبل بسرعة أكثر من السرعة التي كان يسير عليها بالنهار، وبطريقة أرعبت نيوشياولي.

ووصل السائق مدينة تشين خان بعد الساعة الثانية عشرة في منتصف

الليل. نزلت نيوشياولي وأعطت للسائق الستين يوانًا المتفق عليها، ثم حملت أمتعتها وهي لا تدري أين ستذهب في هذه الساعة المتأخرة. وقد بدا كل شيء في هذه المدينة غريبًا بالنسبة لها، باستثناء محطة الحافلات، والتي كانت أول مكان داسته قدمها صباح اليوم قادمة من عاصمة المقاطعة. فحملت أمتعتها متوجهة إلى محطة الحافلات. وما إن وصلت المحطة، حتى وجدت صالة الانتظار قد أغلقت منذ وقت مبكر. فجأة أحست بالجوع، فتذكرت أنها لم تأكل شيئًا منذ الصباح. وأنها دفعت للسائق مئة يوان وتبقى معها أربعمئة يوان فقط، هي في حاجة ماسة لها، فكيف تستطيع أن تدخل أي مطعم لشراء بعض الطعام؟ وتذكرت فجأة الحقيبة التي تركتها لها جوجيوخوا، وأنها لا يزال بها بعض الخبز، فجلست على درج المحطة وأخرجت رغيفًا من الحقيبة، ثم بصلة من الصرة التي تركتها جوجيوخوا، حتى إنها لم تشعر بصعوبة في مضغ الخبز اليابس لإحساسها الشديد بالجوع. فجلست تأكل وهي تفكر في ذلك المشهد عندما كانت تأكل الخبز مع جوجيوخوا في محطة القطار في مسقط رأسها. وتذكرت عندما تناول ثلاثتهم سلطانية حساء لحم الغنم. أما الآن فقد اكتفت بالخبز، ثم قصدت حنفية المياه في الجهة الشرقية من المحطة وشربت حتى ارتوت من الماء. ثم حملت أمتعتها وبدأت رحلة البحث عن مكان للنوم، فهي لا تستطيع الإقامة في فندق، ونظرت في المباني المواجهة للمحطة، فرأت متجرًا يعمل أربعًا وعشرين ساعة، إلا أنها فكرت في نفسها أن المحطة تظل أكثر أمانًا، فقصدت سور محطة الحافلات كما فعلت قبلها في محطة القطار، والتحفت بالالحاف البالي الذي تركته جوجيوخوا في الصرة. ومرت من أمامها سيدة من جامعي الأشياء القديمة. وما إن تخطتها السيدة، حتى شعرت نيوشياولي أن وجه السيدة مألوف بالنسبة لها، فأخذت تدقق النظر فيها، فإذا بها تشبه في قامتها

وملامحها أمها التي هربت قبل ثماني سنوات. فلم تسمع شيئاً عن أمها منذ أن رحلت عنهم قبل ثماني سنوات، وهناك من قال بأنه رآها في أماكن السهر بمدينة شيآن، فكيف جاءت إلى هنا؟ فارتعش جسد نيوشياولي، ثم أزاحت اللحاف وراحت تطرد السيدة بعيداً عنها، ثم استدارت ودققت النظر فيها ثانية، فاكتشفت أنها ليست أمها. وما إن انتبهت السيدة إلى حركة نيوشياولي، حتى أخذت تنظر إليها مذهولة. وعادت نيوشياولي إلى مكانها وشدت اللحاف فوقها ورقدت تحت سور المحطة. وأخذت تعض أصابع الندم على ما صدر منها عندما كانت في الرابعة عشرة من عمرها، فما كان ينبغي لها أن تطرد أمها وهي حية ترزق. فحتى لو كانت أمها امرأة فاجرة، فهي على كل حال أم. وهل المهم في كونها فاجرة أم لا؟ وإذا لم ترحل أمها، لكانت تحملت عنها كل هذه الأعباء الملقاة على عاتقها الآن، ولما كانت وجدت نفسها بعد ثماني سنوات ملقاة وحيدة في محطة حافلات مدينة تشين خان على مسافة أكثر من ألفي كيلومتر من مسقط رأسها. ومضت تفكر حتى دمعت عيناها، وأخذت تسب نفسها باكية:

- اللعنة على أمك يا نيوشياولي!

ما إن رقدت نيوشياولي وقد أعياها التعب عدة أيام، حتى غطت في النوم حتى الصباح. وحين استيقظت شعرت بألم شديد في معدتها، ظنت في بداية الأمر أنه ألم الدورة الشهرية، قبل أن تسمع صوتاً لمعدتها، ثم رغبة شديدة في الذهاب إلى دورة المياه، فأدركت أنها أصيبت بالإسهال، وفي عجالة لملمت أغراضها، وأسرعت إلى دورة المياه العمومية في الجهة الغربية من الميدان. وتذكرت أن هذا المكان هو الذي شهد هروب جوجيوخوا بعد ظهر أمس. وما إن وصلت دورة المياه، حتى قامت بوضع أغراضها أعلى حوض غسل الأيدي، وفي عجالة خلعت سروالها وجلست تقضي حاجتها. وما إن استراحت بعض الشيء بعد قضاء حاجتها حتى تذكرت أمرين، النوم العميق تحت سور المحطة بعد تعب وإرهاق عدة أيام، والبرد الشديد الذي واجهته في المنطقة الجبلية، فبالرغم من أنها تغطت باللحاف الذي تركته جوجيوخوا، إلا أن الأرض من تحتها كانت باردة، حتى أصيبت بالبرد كما تعرض القرد الصغير لارتفاع درجة الحرارة في الطريق. ثانياً: أن رغبتها الشديدة في توفير المال مساء أمس، واكتفاءها بتناول رغيف من الخبز وبصلة، والاكتفاء بشرب الماء من الحنفية أصاب معدتها بالبرد. وأنها لم تكن لتشعر بهذا كله إذا تناولت سلطانية من الحساء الساخن. وبدأ يعاودها الندم على أنها فضلت توفير ذلك القدر اليسير من المال وهي على سفر، وأن تقصيرها سيؤثر على صحتها بالسلب. ومضت تقول في نفسها إنها تفهم جيداً ما قالته حول "الفقراء أغنياء في السفر"، ولكنها تمتلك أربعمئة يوان فقط، ويجب أن تعتمد على هذا المبلغ البسيط للبحث عن

شخصين، وأنها لا تعرف أحداً أو شيئاً في مدينة تشين خان، وبالتالي يجب أن تكون حريصة في الإنفاق. وما إن أفرغت معدتها حتى شعرت بكثير من الراحة. ثم خرجت من دورة المياه، وفي عجلة قامت بوضع اللحاف داخل الصرة، وتوجهت إلى الصيدلية لشراء دواء لتوقف الإسهال، فسألت الصيدلي عن الدواء المناسب، ثم اشترت علبة حبوب البربرين بأربعة يوانات، ثم طلبت من الصيدلي كوباً من الماء وتناولت أربعة حبوب من البربرين. وما إن خرجت من الصيدلية حتى قرصها بالجوع، وبما أنها لم تعد قادرة على تناول الخبز الجاف، فقد قصدت أحد أكشاك الوجبات السريعة في الجهة الجنوبية من ميدان المحطة، واشترت سلطانية من كرات اللحم المطبوخ بثلاثة يوانات. وقد شعرت بتحسن كبير بمجرد تناول سلطانية اللحم الساخن. وعندئذ شعرت بصفاء ذهني، فبدأت في ترتيب أفكارها للبحث عن الأشخاص الذين تستهدفهم في هذه الرحلة. ثم أدركت أنها ارتكبت بالأمس خطأ كبيراً كمن يضع العربة أمام الحصان، فما هو السبب الذي جاء بها من مسقط رأسها إلى هذه المقاطعة؟ إنه البحث عن سونغ تساي شيا؟ ولماذا تبحث عن سونغ تساي شيا؟ لتسترد المال الذي سرقت، إلا أنها ليس فقط لم تعثر على سونغ تساي شيا، وإنما أضاعت جوجيوخوا، وفي ذروة غضبها أمس، تراجعت فجأة عن البحث عن سونغ تساي شيا، وشغلت نفسها بالبحث عن جوجيوخوا، واكتشفت أن كل ما قالته جوجيوخوا عن بيت أهلها كان كذباً، فعادت من البحث عنها بخفي حنين، فمضت تفكر في أنها إذا قارنت بين جوجيوخوا وسونغ تساي شيا، فإن سونغ هي الأهم بالنسبة لها، ذلك لأن جوجيوخوا سرقت منها ألفين وأربعمئة يوان فقط، بينما استولت سونغ تساي شيا على مئة ألف يوان، أليس ما فعلته من البحث عن جوجيوخوا والتوقف عن البحث عن سونغ تساي شيا كمن

يهتم بصغائر الأمور على حساب كبيرها؟ وبالطبع انتابها القلق الشديد أمس عند هروب جوجيوخوا، ولا تدري ماذا ستقول للاوشين عند عودتها إلى مسقط رأسها، ولكن طالما أن الأمور تطورت إلى هذه الدرجة، فإنها يجب أن تتنازل عن لاوشين وتهتم بما يخصها. فقررت أن تنحي أمر جوجيوخوا جانباً، وتكرس وقتها للبحث عن سونغ تساي شيا. ولما كانت نيوشياولي قد رأت هوية سونغ تساي شيا الشخصية، فقد كانت تعرف أن بيت أهلها في قرية يوتانغ التابعة لبلدية ويجين بمدينة تشين خاي، وهذا ما ذكرته أيضاً جوجيوخوا. فاستفسرت من بائع كرات اللحم عن قرية يوتانغ التابعة لبلدية ويجين، فعرفت أنها تبعد نحو عشرين كيلومتراً عن المدينة، فهي أقرب بمسافة خمسة كيلومترات عن قرية سونغ داي التي كذبت عليها جوجيوخوا وقالت إنها مسقط رأسها، ومن ثم فإنها طالما عازمت على البحث عن سونغ، فإنها لن تتراجع عن هدفها في الوصول إليها، فغادرت كشك كرات اللحم، وأوقفت دراجة نارية وانفقت مع السائق على سبعين يواناً أجرة الذهاب والعودة، ثم ألقّت بأغراضها فوق الدراجة وجلست فوقها، وبدأت رحلتها إلى قرية يوتانغ التابعة لبلدية ويجين.

وبالرغم من أن الطريق من مدينة تشين خان إلى قرية يوتانغ التابعة لبلدية ويجين كان طريقاً جبلياً، إلا أن الطريق كان قد تم رصفه منذ وقت قريب، فكانت الدراجة تسير وكأنها تسير على طريق مستو، حتى وصلت نيوشياولي إلى القرية بعد ساعتين فقط، فوجدتها قرية صغيرة تسكنها نحو مئة أسرة فقط، ولكنها ما إن سألت عن سونغ تساي شيا، حتى عرفت أنه لا يوجد أحد في القرية بهذا الاسم، وبالرغم من أن هناك بالقرية من يحمل لقب سونغ، إلا أن جميع من وجدتهم يحملون هذا اللقب لا تربطهم علاقة بسونغ تساي شيا. عندئذ أدركت نيوشياولي

أن سونغ تساي شيا قد خدعتها كما فعلت جوجيوخوا. وفي بادئ الأمر كانت نيوشياولي تشعر بأن جوجيوخوا قد كذبت عليها في عنوان أهلها، فهل يمكن أن تصدق في ذلك سونغ تساي شيا؟ وبما أنها كانت قد رأت هويتها الشخصية، فإنها كانت متأكدة من أن العنوان سيكون صحيحًا، ولكنها اكتشفت الآن أنه حتى الهوية الشخصية مزورة. وبالرغم من أنها وقعت في الفخ من جديد، إلا أن نيوشياولي مضت تفكر في أنه إذا كان الإنسان على دراية بهذه البلدية والقرية، وأنه استطاع أن يكذب على الآخرين بعنوان مفصل ينتمي لهذه البلدية وهذه القرية، فمن المؤكد أنه ليس بغريب على هذه القرية، فالغريب لا يمكن أن يحيك هذه الخدعة، بل ولا يمكن أن يقوم بتأليف أسماء هذه الأماكن النائبة، وطالما أنها على دراية بهذه القرية، فمن المؤكد أن بيت أهلها يقع بالقرب من هذا المكان، فإذا لم يكن بهذه القرية، فقد يكون في قرية أخرى من القرى التابعة لنفس البلدية. فقررت نيوشياولي أن تواصل البحث في هذه البلدية، فركبت الدراجة النارية وتوجهت إلى مقر حكومة بلدية ويجين. وما إن وصلت حتى قصدت قسم شرطة البلدية، فاستقبلها الشرطي المناوب الذي كان يجلس خلف طاولة. فقصت عليه نيوشياولي قصة خداع سونغ تساي شيا لهم كاملة، وطلبت منه أن يساعدها في البحث عنها في هذه القرية. ولكن لم تكن نيوشياولي تتخيل أن يفاجأها الشرطي برده قائلًا:

- هل تعلمين أن هذا الزواج غير قانوني؟

ترددت نيوشياولي قليلاً قبل أن ترد:

- أعلم ذلك.

- والقانون لا يحمي الزواج غير القانوني؟ قال الشرطي.

- نعم أعلم ذلك.

فتابع الشرطي:

- من الناحية القانونية نجد أن إقامتها في بيتكم لمدة خمسة أيام بمثابة احتجاز لها، وأن هذا الاحتجاز مخالف للقانون، فهل تعلمين ذلك؟ وأنها إذا أبلغت الشرطة، فإن علينا نجدتها، وأن هروبها من بيتكم يعني أنها نجت بنفسها، فكيف تطلبين مني أن أبحث لك عنها؟ هل ترغبون في احتجازها لمدة أطول؟ أليس هذا مخالفة متعمدة للقانون؟

فردت نيوشياولي وهي مذهولة:

- لقد خدعتنا في مئة ألف يوان يا أخي، وهذا نصب، أليس النصب جريمة يُعاقب عليها القانون؟

هز الشرطي رأسه بالإيجاب قائلاً:

- نعم النصب جريمة، ولكن هل لديك دليل على ذلك؟ وقولك إنها أخذت منكم مئة ألف يوان، هل حررت لكم إيصالاً بالمبلغ؟ أرجو تقديم الإيصال.

ولم تكن نيوشياولي تمتلك إيصالاً من سونغ تساي شيا، وكان كل ما يشغلها آنذاك أن تصبح سونغ تساي شيا بمجرد استلام المبلغ زوجة لأخيها نيوشياوشه، ومن كان يعلم أنها ستهرب منهم، وإذا كانت تعلم ذلك لكانت طلبت منها تحرير إيصال باستلام المبلغ، فارتعشت نيوشياولي وكأنها أصيبت بالشلل، ثم قالت:

- لقد قطعت آلاف الكيلومترات حتى أصل إلى هنا يا أخي.

- القانون لا يههم المسافات، يهتم بالحقائق والأدلة فقط.

- ولكن مئة ألف يوان مبلغ كبير بالنسبة لنا يا أخي.

- ولكنك لا تملكين الدليل على ذلك، فكيف تريدني أن أصدقك؟ يقول.

- أتوسل إليك يا أخي.

عندئذ لم يعرها الشرطي الشاب اهتمامًا، وأخفض رأسه وانشغل باللعب في هاتفه. فخرجت نيوشياولي من قسم الشرطة، وأخذت تنظر إلى جموع الغادين والرائحين وهي لا تدري أين ستكون وجهتها القادمة. وصدق من قال إن الأزمات تولد الهمم، حيث أخرجت من جيبها مبلغًا من المال ودفعت للسائق أجرته، ثم توجهت إلى أسفل شجرة عسل مقابل قسم الشرطة، وألقت بأمتعتها تحت الشجرة وجلست وهي تحرق في قسم الشرطة. ثم تذكرت فجأة معدتها، والإسهال الذي تعرضت له في الصباح، وأنها كانت تشعر بالقلق لأن يعاودها الإسهال في الطريق، ولكن من يدرى أنها ليس فقط لم تتعرض للإسهال ولكن نسيت الأمر برمته، وأدركت فعالية الدواء الذي تناولته، فشعرت بالاطمئنان. وعند الظهر، خرج الشرطي الشاب الذي كان يناوب في فترة الصباح. فانتظرت نيوشياولي حتى ابتعد عن قسم الشرطة، ثم دخلت القسم. فوجدت شرطياً في منتصف العمر يجلس خلف الطاولة يمسك بعلبة طعام، ويتناول ما بداخلها وهو يتصفح هاتفه. فتقدمت منه نيوشياولي وقالت:

- أريد منك مساعدة بسيطة يا أخي.

فرفع الشرطي رأسه وقال: ماذا بك؟

- جئت من مدينة شنجن لحضور حفل زفاف إحدى صديقاتي، ولسوء حظي تعرضت لسرقة حقيبتتي وهاتفي في الحافلة، وأعرف أنها من

أهل هذه البلدة، ولكن للأسف نسيت من أي قرية، فهل يمكن مساعدتي في الاستفسار عنها؟ قالت نيوشياولي.

- بإمكانك الاتصال بهاتفها من أحد التليفونات العمومية. يرد الشرطي.

- جميع الأسماء والأرقام كانت مسجلة في هاتفي، فكيف أتذكر رقمها؟ فقال الشرطي وهي يطالع نيوشياولي:

- وما علاقتك بها؟

- كالأختين، كنا نعمل معاً في شنجن، ولم أكن لأزعجك إذا لم يكن الأمر بهذه الأهمية، ولكنه حفل زفافها.

فوضع الشرطي علبة الطعام وسألها:

- وما اسمها؟

- سونغ تساي شيا. تقول نيوشياولي.

فرماها الشرطي بنظرة ثم أدار الكرسي تجاه جهاز الحاسب، وبدأ في البحث عن الاسم. بعد خمس دقائق، أخبر نيوشياولي أن البيانات المسجلة في سجلات الإقامة تشير إلى أن هناك خمسة أشخاص يسمون بـ“سونغ تساي شيا” في بلدية ويجين، وهم على التوالي في قرى خوالي، تيانبينغ، شيوجيابا، يوخه وشاتزبوا. فأخرجت نيوشياولي من حقيبتها قلماً في عجلة وطلبت من الشرطي ورقة وسجلت أسماء القرى الخمس. ثم شكرت الشرطي وغادرت قسم الشرطة.

واستأجرت نيوشياولي دراجة نارية وقامت بجولة على القرى الخمس،

استغرقت نصف يوم كامل. وخلال جولتها في القرى الخمس، وجدت ثلاثة أشخاص يسمون بسونغ تساي شيا، ولكن لم تجد من بينهم سونغ تساي شيا التي تبحث عنها، وكان من بينهم عجوز فوق الثمانين، واثنان خرجتا للعمل في مدينة أخرى، وقد استطاعت نيوشياولي الوصول إلى بيتها وطالعت صورتها وتحققت من أنه ليس من بينهما سونغ تساي شيا التي تبحث عنها. وتأكدت من أن سونغ تساي شيا كذبت عليها في ذكر اسم البلدية التي تنتمي إليها، كما كذبت عليها في قولها بأنها من قرية يوتانغ، وقد اكتشفت أنها ليست من هذه القرية. فيبدو أن كذبتها تجاوز بكثير ما يمكن أن تفكر فيه نيوشياولي. ولكن من خلال معرفتها بأسماء الأماكن في هذه البلدية، فإنها إذا لم تكن من هذه البلدية، فقد تكون من بلدية قريبة منها. فسألت نيوشياولي وعرفت أن مدينة تشين خان بها اثنتا عشرة بلدية. وها هي قد سألت عنها في واحدة، ويتبقى أمامها إحدى عشرة بلدية، فقررت أن تواصل البحث في جميع البلديات المتبقية، وفي كل الأحوال قد يستغرق منها ذلك خمسة عشر يومًا حتى تتمكن من الوصول إلى سونغ تساي شيا ولو أخرجتها من باطن الأرض. فوصلت إلى البلدية المجاورة، وكررت تجربتها في البلدية الأولى، حيث بدأت بقسم الشرطة، وذكرت للشرطي أنها جاءت لحضور حفل زفاف سونغ تساي شيا، فأخبرها الشرطي أن هناك ثمانية نساء يسمون بهذا الاسم، ولكنها لم تجد من بينهم سونغ تساي شيا التي تبحث عنها. واكتشفت آنذاك أنه قد تبقى معها عشرون يوانًا فقط. فاتصلت بفينغ جين خوا في مسقط رأسها، وطلبت منه أن يحول لحسابها البنكي ثلاثة آلاف يوان. وما إن سمع فينغ جين خوا صوتها حتى سألها إذا ما كانت قد توصلت لسونغ تساي شيا أم لا، وأخبرها بأن لاوشين جاء للسؤال عنها وقال إنه لم يتلقَّ أي اتصال من

جوجيوخو والقرد الصغير منذ أن سافرا معها إلى مقاطعة xx، وأنه حاول الاتصال بهاتف جوجيوخو ووجده مغلقاً، ويسأل عن السبب في عدم التواصل معه، كما سألها فينغ جين خوا هل أنفقت الثلاثة آلاف يوان التي كانت بحوزة جوجيوخو في أسبوع واحد؟ ولماذا تطلب منه أن يحول لها مبلغاً إضافياً؟ وكان من الصعب أن تجيبه نيوشياولي على كل هذه الأسئلة، أو أنها لم تكن ترغب في أن يعرف فينغ جين خوا أو لاوشين شيئاً عما حدث؛ لأنهما إذا علما بما حدث معها فإن ذلك سيزيد الطين بلة، كما أنها لم ترغب في أن يعلم فينغ جين خوا شيئاً عن أنه عندما هربت منها جوجيوخو والقرد الصغير، كان قد تبقى معها خمسمئة يوان فقط، وأنها الآن اتصلت به لأنها بحاجة شديدة إلى لمال، فردت غاضبة:

- وهل تعتقد أن البحث عن شخص أمر سهل؟

وتابعت:

- ولتقم بتحويل المبلغ الذي أطلبه منك، ولا داعي لكل هذا الهراء.

وأغلقت هاتفها. ولم يكن بمقدور فينغ جين خوا أن يرفض طلبها، وفي مساء اليوم نفسه، قام بتحويل ثلاثة آلاف يوان لحساب نيوشياولي البنكي. ولدواعي الأمان، لم تقم نيوشياولي بسحب المبلغ كاملاً من ماكينة الصرافة، وإنما اكتفت بسحب خمسمئة يوان فقط، على أن تسحب مبلغاً جديداً بعد صرفها. وبمجرد حصولها على المال، لم تتوان نيوشياولي لحظة في مواصلة البحث في جميع البلديات والقرى. وبالرغم من امتلاكها المال الكافي، إلا أنها عازمت على مواصلة البحث عن هدفها بنفس العزيمة، وعدم الإسراف في الإنفاق. ولكنها لن تقتصد في ما يتعلق بالطعام والشراب، بعد أن اتعظت من الإسهال الذي أصابها

المرّة السابفة، وكانت تخشى أن تمرض فتتفق مبلغًا أكبر في زيارة الطبيب، بل إن ذلك سيعوق رحلتها في البحث عن هدفها، فكانت تحافظ على تناول ثلاث وجبات يوميًا، وألا تخلو وجبة من الحساء الساخن. وقد ساعدت إقامتها اليومية في محطة الحافلات على أن تعرفت على أصحاب الأكتشاك في الميدان المواجه للمحطة. فكانوا يسألونها عن خروجها في الصباح الباكر وعودتها في المساء، وسبب إقامتها في المحطة، هكذا حتى أخبرتهم نيوشياولي بمعاناتها في البحث عن سونغ تساي شيا وجوجيوخوا. فعبر الباعة والمارة عن تعاطفهم معها، وراحوا يكيلون السباب لسونغ تساي شيا وجوجيوخوا، وأنهما أساءا لأهل قريتهما. ولكن التعاطف وحده لن يفيد نيوشياولي، ولا يمكن أن يحل محل المال الذي تحتاج إليه، فكلما مر عليها يوم ولم تصل لهدفها، فإنها كانت تواصل الإنفاق، فكانت تنفق يوميًا على الطعام والشراب وأجرة الدراجة نحو سبعين أو ثمانين يوانًا، وفي بعض الأحيان عندما تكون المسافة أطول تتجاوز المئة يوان. وهكذا فقد أنفقت الخمسمئة يوان التي سحبتها قبل ثلاثة أيام في لمح البصر، وكان عليها أن تذهب للبنك لسحب مبلغ جديد. وفي سبيل توفير بعض المال، كانت تستيقظ مبكرًا بمجرد ظهور أول ضوء، وتتحرك من المحطة حتى لا تضطر إلى العودة متأخرة في المساء ويطالبها السائق بأجرة إضافية. وكانت القرى التي تستهدفها تقع على مسافات متباينة، وبعد أن حسبت المسافات التي عليها أن تقطعها، عرفت أنه بإمكانها زيارة ست قرى يوميًا. هكذا حتى مرت ثلاثة أيام جديدة في لمح البصر. وفي ذلك اليوم وبعد أن زارت ست قرى، نظرت إلى هاتفها فوجدتها الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر، طلبت من السائق التحرك إلى قرية تسمى "إي داوليانغ". وكان بتلك القرية امرأتان تحملان اسم سونغ تساي شيا. وقد قابلت إحدهن

وشاهدت صورة للأخرى، ولم تجد بينهما سونغ شيا التي تبحث عنها. وما إن أنهت مهمتها في هذه القرية حتى حلَّ الظلام. وكانت تخشى أن يطالبها السائق بأجرة إضافية في طريق العودة إلى المدينة، ولكن السائق لم يتحدث معها في شيء وسلك بها طريق العودة إلى المدينة. ولاحظت وجود شامة كبيرة داكنة في الجهة اليسرى من وجهه، ومن خلال قراءتها لرواية "أبطال البحيرة"، أطلقت عليه نيوشياولي في نفسها اسم الوحش يانغ جه. وراحت تفكر وهي على الدراجة أن هذا الوحش يانغ جه بالرغم من وجهه القبيح، إلا أنه يمتلك قلبًا طيبًا، فهو على كل حال بطل جبل ليانغ شان، ومضت تفكر حتى اجتازت الدراجة أحد الكهوف، بينما واصل يانغ جه السير لأسفل، وبدأ ينحرف إلى أحد الطرق الفرعية بين الحقول. فسألته نيوشياولي مندهشة:

- أين تذهب يا أخي؟

وما إن أنهت سؤالها حتى غطتهما المحاصيل الواقعة على جانبي الطريق. فأدركت نيوشياولي أن الموقف يُنبئ بالخطورة، فقفزت بسرعة من فوق الدراجة. بينما أطفأ يانغ جه المحرك، وقفز هو أيضًا من فوق الدراجة. فسألته نيوشياولي:

- ماذا تفعل يا أخي؟

فرد يانغ جه وهو يطالع وجهها:

- أختي الصغيرة، لقد قضينا اليوم كاملاً معًا، وهناك أمر ما أريد أن نناقشه معًا.

- وما هو؟ قالت نيوشياولي.

- إنني أحبك. قال يانغ جه.

- لا داعي للمزاح يا أخي. ردت نيوشياولي.

”لا أريد منك أجرة اليوم على أن تمكيني من نفسك“.

- هذا لا يصح يا أخي، فزوجي ينتظرنني الآن في المدينة.

فاندفع يانغ جه نحوها قائلاً:

- ونحن في هذه المنطقة الجبلية لأحد يرانا لمسافة عشرة كيلومترات،

فأين هو زوجك؟

ثم واصل اندفاعه نحوها حتى طرحها في الحقل، وخلع سرواله وهمّ

أن ينزع سروال نيوشياولي. فاعترضته نيوشياولي قائلة:

- هل تعلم يا أخي أن ما تفعله هذا مخالف للقانون؟

- وأين هو القانون في هذه البقعة النائية؟

فقالت نيوشياولي وهي تجاهد في إبعاده عنها:

- ولكن يفضل أن تُوَجَّل هذه الرغبة.

- لماذا؟

- اليوم يصادف نزول الدورة الشهرية.

- دعيني أتأكد بنفسني.

ومد يده تجاه سروالها، فأخرجت نيوشياولي هاتفها في عجلة،

وقالت:

- لتعلم أنني سجلت كل شيء هنا.

فقال يانغ جه وقد تراجع عن مد يده داخل سروالها:

- ماذا تقصدين؟

- قمت صباح اليوم بإرسال صورتك وصورة دراجتك إلى هاتف زوجي، خشية أن أتعرض لأي حادث عرضي، فإذا أصابني أي مكروه، فمن المؤكد أنه سيقوم بإبلاغ الشرطة.

ثم فتحت شاشة الهاتف، وجعلته يرى صورته وهو يدخل فوق الدراجة، وقد بدا وجهه واضحًا في الصورة وكذلك رقم لوحة دراجته. وكانت قد استفادت من تجربتها في السفر بالدراجات النارية على مدار الأيام السبعة أو الثمانية الأخيرة، وقد تعرفت من خلال المساومة في الأجرة على أنماط مختلفة من السائقين، حتى كانت تنتهز فرصة انشغال السائق بشيء ما وتقوم بتصويره هو ودراجته، وبالطبع لم تكن قد أرسلت الصورة إلى فينغ جين خوا وإلا فقد تزيد الطين بلة، كل ما في الأمر أنها أرسلتها إلى رقم آخر لها لا تستعمله، وذلك بهدف حماية نفسها من أي مشاكل محتملة. وما إن طالع يانغ جه صورته ورقم لوحة دراجته في شاشة هاتف نيوشياولي، حتى انهارت عزمته، ففز من أعلى نيوشياولي ورفع سرواله في عجالة، وقال وهو يبصق على الأرض غاضبًا:

- يا له من حظ سيئ!

وتابع يسب نيوشياولي: يا لك من امرأة وقحة!

ووسط ثورة غضبه، قام بإلقاء أغراض نيوشياولي على الأرض، ثم

أدار محرك دراجته وفر مسرعًا، حتى إنه لم يأخذ منها أجرة يوم كامل. فتنفست نيوشياولي الصعداء، نهضت من وسط الحقل ونفضت عن جسدها التراب، وجمعت أغراضها وسلكت طريق العودة إلى مدينة تشين خان سيرًا على الأقدام. وكانت المنطقة الجبلية التي تركها فيها تبعد عن المدينة مسافة أكثر من خمسة وعشرين كيلومترًا. فأخذت تمشي وقد نال منها التعب، وسمعت صياح الديكة في القرى التي تمر بالقرب منها، وما إن وصلت المدينة حتى سقطت على الأرض من شدة التعب، ثم غرقت في البكاء.

وبعد خمسة عشر يومًا، كانت قد تمكنت من زيارة اثنتي عشرة بلدية في مدينة تشين خان. وخلال مرورها على أقسام الشرطة بتلك البلديات، أقامت لسونغ تساي شيا اثني عشر حفل زفاف. وخلال هذه الفترة التقت بأكثر من مئة سونغ تساي شيا، كان من بينهم الشابة والعجوز، كما التقت رجلًا يدعى سونغ تساي شيا، ولكنها لم تجد بين كل تلك الأسماء المرأة التي تبحث عنها. حتى بدأت تفكر في سبب عدم توصلها لسونغ تساي شيا، هل هو عدم دقتها في البحث، أم عدم دقة المعلومات التي حصلت عليها من أقسام الشرطة الاثني عشر، أم أن سونغ تساي شيا ليست من أهل هذه المدينة، ولكن إذا لم تكن من هذه المدينة، فمن أي مدينة تكون؟ وراحت نيوشياولي تحلل بنفسها هذه النقطة، وأنها من خلال معرفتها بأسماء الأماكن في هذه المدينة، فإنها إذا لم تكن من هذه المدينة فستكون من أي مدينة مجاورة، فاشترت خريطة وعرفت منها أن هناك أربع مدن مجاورة لمدينة تشين خان وهي: مدينة فانغخوا، مدينة ليوجييه، مدينة فوليان ومدينة سونغ بين. ولكن ترى ستكون من أي مدينة من بين هذه المدن الأربع؟ ووجدت نفسها مترددة في هل تواصل البحث عن هدفها في مدينة تشين خان،

أم تغير مسرح البحث وتبحث عنها في المدن الأربع المجاورة؟ وفرضاً أنها قررت البحث في المدن الأربع، فمن أي مدينة ستبدأ رحلة البحث عن سونغ تساي شيا؟ فخلال رحلة بحثها عن سونغ تساي شيا والتي استغرقت حتى الآن خمسة عشر يوماً، ذاقت كل أنواع العذاب والمعاناة، وتعرضت للخطر، حتى إنها بدأت تشعر الآن بالخوف من إعادة البحث عن سونغ شيا من جديد. وبإمكانها التوقف عن ذلك والعودة إلى حيث جاءت، حتى إنها صرفت أكثر من ألفي يوان من الثلاثة آلاف يوان التي حولها لها فينغ جين خوا قبل عشرة أيام، وتبقى معها ما يزيد على ثلاثمئة يوان فقط، فإذا قررت مواصلة البحث عن سونغ شيا، فإن عليها مهاتفة فينغ جين خوا لطلب المزيد من المال، وبالتالي تفتح على نفسها باباً جديداً لأسئلته واستفساراته التي لا تنتهي، ولكن قرار التوقف عن البحث والعودة إلى حيث جاءت يعني ضياع المئة ألف يوان التي استولت عليها سونغ تساي شيا، هذا بالإضافة إلى ثلاثة آلاف ومئة يوان صرفتها في البحث عن سونغ شيا، وبالتالي تصل إجمالي خسائرها مضافاً إليها الفائدة مئة واثنين وعشرين ألفاً وثلاثمئة يوان، وفضلاً عن خسارتها الكبيرة للمال فهناك خسائر وأحداث مزعجة أخرى، فكانت قد جاءت إلى هذه المقاطعة قبل خمسة عشر يوماً في وفد من ثلاثة أشخاص، وقد هربت منها جوجيوخوا والقرد الصغير، فكيف ستواجه لاوشين عند عودتها إلى قريتها؟ وقد انشغلت في الفترة الأخيرة بالبحث عن سونغ تساي شيا وتناست أمر جوجيوخوا والقرد الصغير، وما إن تذكرتهما الآن حتى شعرت بالانزعاج، وهو ما يعني أن عليها أن تبحث في هذه المقاطعة عن سونغ تساي شيا، بالإضافة إلى جوجيوخوا والقرد الصغير. فجلست نيوشياولي على درج ميدان محطة الحافلات بمدينة تشين خان تفكر في كل هذه المتاعب وهي تشعر بالانزعاج الشديد،

وقد عجزت عن التفكير في الخطوة القادمة. وما إن دخلت دورة المياه، حتى رأت فجأة صورتها في المرآة، وإذا بها تكتشف التهاب خديها بعد خمسة عشر يوماً قضتها في هذه المناطق الجبلية بمقاطعة xx. فخرجت من دورة المياه عائدة إلى الدرج، عندئذٍ جلست بجوارها سيدة ألقت عليها هذا السؤال:

”أنت من هذه المقاطعة؟“.

التفتت إليها نيوشياولي، فإذا بها تطالع امرأة ثلاثينية بشعر قصير، وقد تزينت بشكل لافت، فلما لم تكن نيوشياولي تعلم شيئاً عن هذه المرأة، فقد اكتفت بهز رأسها بالإيجاب دون رد. فتابعت المرأة الثلاثينية تسأل:

- تبحثين عن سونغ تساي شيا، أليس كذلك؟

ردت نيوشياولي مندهشة:

- وكيف عرفتِ يا أختي؟

فردت المرأة ضاحكة:

- الجميع هنا يعلمون بأمرك بعد إقامتك الطويلة بالمحطة.

فتنهدت نيوشياولي، وقالت:

- بحثت عنها خمسة عشر يوماً دون جدوى، ولا أعلم ماذا أفعل.

- أعرف مكانها. قالت المرأة.

فشعرت نيوشياولي بدهشة كبيرة، وأمسكت بالمرأة قائلة:

- وكيف ذلك، وأين هي الآن؟

- عادت إلى مقاطعة ××، وتزوجت من رجل آخر. قالت.

فلطمت نيوشياولي رأسها بكتا يديها، ووقفت مذهولة تفكر في نفسها أنها لهذا السبب لم تعثر عليها في تشين خان، وأنها تمضي الآن في خداع غيرها من الناس. ثم قالت متشككة:

- ولكن إذا فرضنا أنها عادت إلى مقاطعة ××، يبقى بيت أهلها في مدينة تشين خان، ولقد قضيت خمسة عشر يوماً في البحث عنها في تشين خان، فكيف لم أعثر حتى على أهلها؟

- إنها ليست من أهل تشين خان. ردت المرأة.

- إذاً فمن أي مدينة تكون؟ سألت نيوشياولي.

- من مدينة مجاورة لتشين خان.

فذهلت نيوشياولي، وراحت تفكر في نفسها من جديد أنها لهذا السبب لم تعثر عليها في مدينة تشين خان، بل إنها كانت قد شكت في حقيقة أنها من أهل هذه المدينة، وإنها قد تكون من مدينة مجاورة. إلا أن نيوشياولي لم تعد الآن مهتمة بالعثور على بيت أهل سونغ تساي شيا، وطالما أنها عرفت أن سونغ تزوجت في مقاطعة ××، فإن من الأفضل أن تسافر مباشرة إلى هناك للبحث عنها. وأنها كانت مهتمة مؤخراً بالبحث عن بيت أهلها لأنها عجزت في العثور عليها. فقالت نيوشياولي:

- وهل تعلمين القرية والمدينة التي تزوجت فيها بمقاطعة ××؟

- نعم.

فتشبث نيوشياولي بذراع المرأة قائلة:

- لتخبريني يا أختي بعنوانها لأذهب للبحث عنها.

وتابعت في عجلة:

- ولن أنسى لك جميلك هذا ما حييت.

ولم تتوقع أن ترد عليها المرأة ضاحكة:

- الأمر ليس بهذه السهولة.

فقال نيوشياولي مندهشة:

- ماذا تقصدين؟

- نحن الآن نعيش في عصر المعلومات، فهل يُعقل أن تقدم المعلومات

مجاًناً؟

فهمت نيوشياولي قصدها، بل ورأت أن كلامها معقول، فقالت:

- اطلبي ما تريدين، مئة، مئتين، وسأدفع لك فوراً.

- سمعت من بائع كرات اللحم أن سونغ تساي شيا نصبت عليكم في

مئة ألف يوان، وأنتِ تعرضين عليّ مئة ومئتين يوان، هل ترينني غبية؟

- فكم تريدين إذا؟

- حتى بائع الثوم والبصل يضيف هامش ربح عشرين بالمئة، وعشرين

بالمئة من أصل المبلغ مئة ألف يوان هو عشرون ألف يوان.

فقال نيوشياولي مذهولة:

- ألا ترين أن هذا استغلال؟

فقامت المرأة من مكانها وهمت بالمغادرة قائلة:

- لا عليك طالما لم نتفق، وبصرف النظر عن اتفاقنا من عدمه تبقى الصداقة بيننا.

فتشبثت بها نيوشياولي وقالت:

- دعينا نتفاوض يا أختي.

وتابعت تقول:

- عشرون ألف يوان مبلغ كبير يا أختي، ولا أملك هذا المبلغ، فهل يمكن تخفيضه قليلاً؟

- أخفض لك خمسة آلاف يوان، ولن أقبل بأقل من خمسة عشر ألفاً.

- ولكن خمسة عشر ألف يوان مبلغ كبير أيضاً، وأنا معي ما يزيد على ثلاثمئة يوان فقط.

- بإمكانك أن تطلبي من أهلك تحويل المبلغ على رقم بطاقتك البنكية، الأمر يسير جداً.

عندئذٍ بدأ يساور نيوشياولي الشك في أمر هذه المرأة، فسألتها:

- وكيف عرفت أن بيت أهل سونغ تساي شيا في المدينة المجاورة، وأنها تزوجت في مقاطعة xx؟

- تزوجت ابنة عمتي في المدينة المجاورة، ولحسن الحظ أنها في نفس قرية أهل سونغ تساي شيا، وقد عادت ابنة عمتي بالأمس إلى

مدينة تشين خان في زيارة عائلية. تقول.

فهمت نيوشياولي ما تقصد المرأة، فقالت بعد تفكير:

- ما رأيك أن نتفق على أن تخبريني بعنوان أهل سونغ تساي شيا، ولا داعي لأن تقدمي لي أي معلومات عن المقاطعة التي تزوجت بها، وأعتقد أن هذه معلومات غير مباشرة، على أن تقومي بتخفيض المبلغ المطلوب مني.

فردت المرأة ضاحكة:

- لا داعي للـف والدوران، أليس تقديم أي معلومة عن بيت أهلها يعني إرشادك إلى عنوانها هي؟

فردت نيوشياولي بلهجة بها بعض التعنت:

- إذا لم تخبريني بذلك، فسأذهب بنفسي وأبحث عنها في جميع القرى بالبلديات المجاورة، وهذا ما كنت أنوي فعله.

فقالت المرأة:

- يمكنني ذلك، إليك هذه المعلومة المجانية بيت أهل سونغ تساي شيا ليس في مدينة تشين خان، وإنما في بلدية مجاورة. كما تعلمين أن هناك عددًا من البلديات بالقرب من تشين خان، وسفرك إلى جميع القرى يتطلب تكاليف طعام وشراب وانتقال.. إلخ، وعليك أن تحسبي هذا كله، وبالتأكيد ستتجاوز تكاليف رحلتك في البحث عنها خمسة عشر ألف يوان.

وكانت نيوشياولي قد بحثت في خريطة تشين خان، وعرفت أن البلديات القريبة منها تشمل: بلدية فانغ خوا، ليوجييه، فوليان وبلدية سونغ بين.

كما حسبت بينها وبين نفسها أن فترة خمسة عشر يوماً قضتها في مدينة تشين خان كلفتها ثلاثة آلاف ومئة يوان، وأنها إذا سارت على نفس الوتيرة في البحث عن هدفها في البلديات الأربع المجاورة لتشين خان، بأن تقضي في كل بلدية خمسة عشر يوماً، فإن رحلتها ستستغرق شهرين كاملين، وبالتالي فإن تكاليف سفرها إلى البلديات الأربع مضافاً إليه تكاليف البحث سيتجاوز بالتأكيد خمسة عشر ألف يوان، فيبدو أن هذه المرأة سبقت نيوشياولي في التفكير في كل هذه التفاصيل، وبصرف النظر عن التكاليف المادية، تبقى المصاعب التي واجهتها في تشين خان على مدار خمسة عشر يوماً، ولا تعلم ما يمكن أن تتعرض له في شهرين، فمجرد التفكير في رحلة بحث جديدة تستغرق شهرين كاملين جعلها تشعر بالخوف الشديد، وبدأت تشعر بأن التعاون مع هذه المرأة سيكون أفضل بالنسبة لها من حيث التكاليف المادية والمدة الزمنية، وأنها هكذا ستذهب لتبحث مباشرة عن سونغ تساي شيا، دون الحاجة للبحث لمدة شهرين عن أهلها. ولكن خطر ببالها فجأة هذا السؤال:

- ولكن ماذا لو دفعت لكِ المبلغ وحصلت منكِ على عنوان سونغ تساي شيا، ولم أجدتها في مقاطعة xx، ألن يضيع هذا المبلغ الكبير هباءً؟

فردت المرأة:

- إذا كانت نيتك صادقة في التعاون معي، فبإمكاننا الاتفاق على خطة مناسبة، فما رأيك أن أرافقكِ إلى مقاطعة xx، حتى تعثري على سونغ تساي شيا وتحصلي على ما سرقتك منكِ، ثم تعطيني بعدها النسبة المتفق عليها؟

فراحت نيوشياولي تفكر في ما سمعت، وأنها هكذا لن تضحي بشيء

قبل بلوغ هدفها المنشود، فشعرت بعدالة هذا الاتفاق، بل إنه سيساعدها في العثور على سونغ تساي شيا في أقرب وقت، ويوفر عليها الإزعاج المحتمل من طلب تحويل بنكي جديد من فينغ جين خوا، فلقد كلفه جمع مبلغ ثلاثة آلاف يوان سؤال جميع أهل القرية، فماذا لو طلبت منه توفير خمسة عشر ألف يوان، فقد تقضي عليها ثرثته وأسئلته الكثيرة، فأخذت قرارها بنفسها، وقالت للمرأة الثلاثينية:

- ومتى السفر؟

فردت المرأة ضاحكة:

- هكذا أنا أحب إسعاد الآخرين، سأعود الآن إلى البيت لترتيب حقيبتني، على أن ننطلق بعد ظهر اليوم.

وبعد ظهر اليوم نفسه، استقلت نيوشياولي والمرأة الثلاثينية الحافلة المتوجهة من بلدية تشين خان إلى عاصمة المقاطعة. ووصلت الحافلة عند الغروب. وما إن خرجتا من محطة الحافلات حتى استقلتا النقل العمومي الداخلي إلى محطة القطار. ثم توجهتا إلى شباك التذاكر، ولحسن حظهما وجدتا تذاكر على القطار المتجه إلى المقاطعة التي تنويان السفر إليها، بل وقد تبقى على تحرك هذا القطار نصف ساعة فقط. فقامتا بشراء تذكرتين وهما تشعران بسعادة بالغة من هذه الصدفة التي هي خيرٌ من ألف ميعاد. وما إن دخلتا صالة الانتظار، حتى جاء القطار في موعده. ثم صعدتا القطار، فعثرتا بسهولة على مقعدين شاغرين، فراحتا تتعجبان من الحظ السعيد الذي لزمهما هذا اليوم. وقد ساعد استقلال نيوشياولي الحافلة السريعة، والنقل العمومي الداخلي ثم القطار على استعادة تلك الذكريات التي مرت بها قبل خمسة عشر يومًا. فقد مرت آنذاك بنفس التجربة عندما سافرت من مسقط رأسها إلى تشين خان برفقة ججيوخو والقرد الصغير. وقد كان هناك تشابه كبير بين وسائل الانتقال التي استقلتها، والمناظر التي مرت بها والأصوات التي سمعتها طول الطريق، فقد تغيرت الأشخاص، بحيث حلت هذه السيدة الثلاثينية محل جوجيوخو والقرد الصغير. حتى شعرت نيوشياولي بأن رحلتها قبل خمسة عشر يومًا وكأنها كانت بالأمس القريب، ومن جانب آخر بأنه قد مرت سنوات طويلة على تلك الأحداث الكثيرة التي مرت بها على مدار خمسة عشر يومًا. هذا قبل أن تتذكر فجأة أن ما يشغلها الآن هو البحث عن أشخاص بعينهم، وأن ليس

عليها البحث عن سونغ تساي شيا فحسب، وإنما هناك أيضًا جوجيوخوا والقرد الصغير، وأنها بسبب سفرها الآن بصحبة هذه المرأة إلى مقاطعة أخرى للبحث عن سونغ تساي شيا، فإنها ستتوقف الآن عن البحث عن جوجيوخوا والقرد الصغير. وأنه بالنسبة لها، فإن البحث عن سونغ تساي شيا الأهم في هذه المرحلة، وأن عليها التخلي مؤقتًا عن فكرة مواصلة البحث عن جوجيوخوا والقرد الصغير، وبالطبع فإن موقفها هذا جعلها تشعر ببعض الأسف تجاه لاوشين، ولكن على كل حال فإنها لا يمكن أن تقسم نفسها نصفين، وعليها الآن تحديد أولوياتها. وبما أنها أوشكت على بدء رحلة جديدة، فقد قامت نيوشياولي بإلقاء الحقيبة والصرة واللحاف البالي تلك الأغراض التي تركتها جوجيوخوا في محطة حافلات تشين خان. وما إن قلبت في الصرة حتى وجدت بها بصلة جافة منذ خمسة عشر يومًا، فألقت بها في سلة المهملات. ومن خلال حديثها مع هذه المرأة في الطريق، عرفت أن اسمها سوشوانغ، وأنها تنحدر من بلدية تشين خان، وأنها تعمل في تجارة الملابس، وأنها تنتقل بين مختلف المناطق داخل البلاد بحثًا عن الرزق، وأن سفرها هذه المرة إلى تلك المقاطعة ليس فقط لمساعدة نيوشياولي في البحث عن سونغ تساي شيا، وإنما لإنهاء صفقة تجارية، وأن مبلغ خمسة عشر ألف يوان الذي ستحصل عليه من مساعدة نيوشياولي، لن يكفي لتعويض تعطيل أعمالها خلال مدة الرحلة، وأنها فضلت السفر مع نيوشياولي وإنهاء صفقتها الخاصة كمن يضرب عصفورين بحجر واحد. وقد أحست نيوشياولي بصراحة سوشوانغ، وأنها لم تخف عنها شيئًا منذ البداية، ذلك لأن قولها بأنها ترمي إلى ضرب عصفورين بحجر واحد دليل على أنها صادقة في مرافقتها إلى تلك المقاطعة للبحث عن سونغ تساي شيا، ودون هذه الصراحة كانت ستشك في دوافع سوشوانغ هذا من

جانب، ومن جانب آخر أن سفرها معها إلى تلك المقاطعة ليس فقط لمساعدتها، وإنما لإنهاء أمر شخصي خاص بها، وبالتالي لن تكون عبئاً عليها، فالأصل أن سفر سوشوانغ مع نيوشياولي إلى تلك المقاطعة للبحث عن سونغ، فإنه يجب على نيوشياولي تحمل ثمن تذاكر الحافلة والقطار الخاصة بسوشوانغ، ولكن سوشوانغ اتفقت معها قبل السفر على أن تتحمل كل منهما مصاريف انتقالها، وهو ما جعل نيوشياولي تشعر آنذاك بشيء من الحرج، ولكنها قد اطمأنت الآن لموقف رفيقتها.

وقطع القطار المسافة في خمسة عشر ساعة، حتى وصلت نيوشياولي وسوشوانغ إلى تلك المقاطعة بعد ظهر اليوم التالي. وما إن وصلتنا عاصمة المقاطعة، حتى فكرت نيوشياولي في أنهما سيستقلان الحافلة إلى تلك البلدية التي تقيم بها سونغ تساي شيا، إلا أن سوشوانغ أخبرتها بأنها ستبقى في هذه المدينة لبعض الوقت لإنهاء صفقة تجارية. وكانت سوشوانغ قد أخبرتها في الطريق أنها لم تسافر معها خصيصاً لمساعدتها في البحث عن سونغ تساي شيا، وإنما لاستغلال هذه الفرصة في إنهاء صفقة تجارية، كما أنها تحملت تكاليف رحلتها من مقاطعة xx إلى هذه المقاطعة، وبالتالي فإن نيوشياولي لا تملك حثها على مواصلة الرحلة قبل إنهاء صفقتها التجارية. فلكل منهما هدفه من هذه الرحلة، ولكن يبقى أن هدف نيوشياولي أكثر استعجالاً من إنهاء الصفقة التجارية، ولكنهما على أي حال اتفقتا منذ بداية الرحلة، وأنها مضطرة لمرافقة سوشوانغ إلى حيث تتمكن من إنهاء صفقتها. وقد شعرت نيوشياولي بذكاء سوشوانغ لأن تصارحها منذ البداية بهدفها. واستدعت سوشوانغ سيارة أجرة، بينما اعتقدت نيوشياولي أن سوشوانغ ستذهب إلى أحد المصانع أو أسواق الملابس لإنهاء صفقتها، بما أنها تعمل في تجارة الملابس، ولكن من كان يدري أن السيارة سارت بهما

مسافة أربعين دقيقة إلى أن توقفت أمام مدخل أحد الفنادق. وما إن دخلنا الفندق، حتى توجهت سوشوانغ إلى الاستقبال لحجز غرفة، ثم طلبت من نيوشياولي بطاقتها الشخصية. فقالت نيوشياولي في عجلة: -لا داعي لأن تحجزي لي غرفة يا أختي سو، فأنا لا أستطيع الإقامة بهذا الفندق.

فردت سوشوانغ ضاحكة:

- سأحجز غرفة لشخصين، ولن تدفعي شيئاً، مطلوب منك تسجيل بياناتك فقط.

فأخرجت نيوشياولي بطاقتها الشخصية وأعطتها لسوشوانغ، وما إن أنهى موظف الاستقبال إجراءات التسجيل، حتى أعادت لها سوشوانغ البطاقة. ثم دخلنا الغرفة تحملان حقائبهما، فبدأت سوشوانغ بدخول الحمام للاستحمام. ثم خرجت من الحمام تلف رأسها وقالت لنيوشياولي: - هيا ادخلي أنت أيضاً للاستحمام، وستشعرين بكثير من الراحة.

فدخلت نيوشياولي الحمام، خلعت ملابسها بالكامل وبدأت الاستحمام. وقد كانت بحاجة إلى الاستحمام، فلم يلمس الماء جسدها منذ أن غادرت قريتها قبل خمسة عشر يوماً. فكانت خلال تلك المدة تنام يومياً في محطة القطار أو محطة الحافلات، وكانت تكتفي بغسل وجهها بالماء البارد من الحنفية العمومية، ولم يكن لديها إمكانية دخول الحمامات المخصصة للاستحمام. وما إن رفعت الذراع اليدوي حتى تدفق الماء الساخن بغزارة، ووقفت نيوشياولي تحت الماء المنهمر وأخذت نفساً عميقاً، وشعرت بأن الماء الساخن اخترق مسام جسدها. وما إن فركت جسدها حتى نزل منه بعض الطين بجوار حوض الاستحمام، فنظرت

إلى الباب وتأكدت من أنه مغلق بإحكام، فاطمأنت وواصلت فرك جسدها، ثم غسله بالماء وبسائل الاستحمام، ثم غسلت شعرها، حتى شعرت بأنها نحفت بضعة كيلوجرامات، واستحالت إلى امرأة أخرى غير التي كانت قبل دقائق. وقامت بتنظيف الحوض وأرضية الحمام، ثم خرجت وهي تلف رأسها بالمنشفة. وراحت تطالع نفسها في المرآة المثبتة أمام السرير، فإذا بها تطالع وجهًا مشرقًا. عندئذٍ لاحظت أن سوشوانغ تطالعها بنظرات فاحصة، فضحكت من شدة الخجل، وفي عجلة أخرجت من حقيبتها ملابس نظيفة وأسرعت إلى الحمام لارتدائها. وما إن انتهتا من التزين حتى حل الغروب. عندئذٍ أخبرتها سوشوانغ بأن أحد أصدقائها في هذه المدينة يدعوها لتناول العشاء، وطلبت من نيوشياولي أن ترافقها. ولم تكن نيوشياولي تهتم بأمر الطعام، وإنما كان يشغلها متى ستنتهي سوشوانغ من إنهاء صفقتها لترافقها في البحث عن سونغ تساي شيا. فأخبرتها سوشوانغ أنها ستذهب للعشاء من أجل إتمام الصفقة، وإنها ستنتهي الصفقة الليلة بعد تناول العشاء، على أن تواسلا رحلتها في الغد. فشعرت نيوشياولي بالاطمئنان، لكنها سألت سوشوانغ:

- بإمكانك أن تذهبي للعشاء بمفردك وأنا سأنتظرك بالفندق يا أختي.

- لماذا. ردت سوشوانغ:

- لأنك ستلتقي بصديقك لإنهاء صفقة تجارية، وسأشعر بالحرج

إذا جلست بينكما. ردت نيوشياولي.

- نحن نتاجر في الملابس وليس المخدرات، وليس هناك ما يمكن أن

نخفيه عن الآخرين.

فقال نيوشياولي بعد تردد:

- ولكن أنا امرأة قروية ولا أحسن الكلام، وأخشى أن يصدر مني كلام في غير محله فيسيء إليك.

فردت سوشوانغ وقد أضحكها ما سمعت:

- وهكذا تجار الملابس ليسوا من علية القوم.

ولما سمعت نيوشياولي هذا الرد من سوشوانغ، لم تجد ما تقوله لرفض الدعوة، فغادرت الفندق برفقة سوشوانغ. وأوقفت سوشوانغ سيارة أجرة للمرة الثانية. وبعد نصف ساعة، وصلت السيارة ضفة أحد الأنهار بعاصمة المقاطعة. وما إن وقفت السيارة أمام مدخل أحد المطاعم على الشاطئ، حتى نزلتا من السيارة، لتجدا في وجهيهما فتاتين استقبلتهما بصوت مسموع "أهلا أختي الكبيرة". فظنت نيوشياولي أن هاتين الفتاتين هما الأصدقاء الذين تحدثت عنهم سوشوانغ، وقد بدت الفتاتان في مطلع العشرينيات من عمرهما، كانتا في نفس عمر نيوشياولي تقريباً، إحداهما بشعر قصير والأخرى بشعر طويل على هيئة ذيل حصان، ترتديان ملابس بسيطة، ثم عرفتها سوشوانغ بالفتاتين قائلة إن صاحبة الشعر القصير تدعى وانغ جينغ خونغ، وصاحبة الشعر الطويل على هيئة ذيل حصان تدعى لي باي تشين، ثم عرفتهما بنيوشياولي، فأمسكتا بيد نيوشياولي وراحتا تتجاذبان معها أطراف الحديث، وقد كانتا ودودتين معها بشكل زاد اطمئنان نيوشياولي. ودخلت الصديقات الأربع إحدى الغرف الخاصة بالمطعم، وجدن الطاولة مرتبة بشكل جيد عليها وعاء نحاسي لطهي الطعام في الحال، وقد وضعت بجانبه أطباق من لحم الغنم، لحم البقر، الأسماك، أحشاء البقر، جين الصويا، الشعرية والخس وغيرها من الأطعمة. وسألت وانغ جينغ خونغ نيوشياولي عن

مسقط رأسها وعمرها وعملها، فأخبرتها نيوشياولي أنها تعمل بأحد مصانع الملابس في مسقط رأسها، فردت وانغ جين خونغ ولي باي تشين مندهشتين:

- إذا فنحن زميلات مهنة واحدة.

ثم جلسن جميعاً وبدأن في طهي الطعام، وسألت لي باي تشين نيوشياولي عن سبب مجيئها إلى هذه المقاطعة، فقصت عليهم نيوشياولي حكاية بحثها عن سونغ تساي شيا وجوجيوخوا والقرد الصغير، وبحثها عنهم في بلدية تشين خان بمقاطعة xx، وكيف تعرفت على سوشوانغ ومرافقتها لها إلى هذه المقاطعة، قصت عليهما حكايتها كاملة، حتى إن وانغ جين خونغ ولي باي تشين توقفتا عن تناول الطعام وتنهدتا متعجبتين. ثم واصلن تناول الطعام، وراحت وانغ جين خونغ ولي باي تشين تتجادبان مع سوشوانغ بعض الأخبار المحلية المشوقة. بينما أخذت نيوشياولي تستمع إليهن وهي تأكل. وكان الطعام حاراً بعض الشيء، حتى إن نيوشياولي أخذت تأكل حتى تصببت عرقاً. فقالت لها وانغ جينغ خونغ وهي تنظر إليها نظرات متفحصة:

- ما أجمل بشرتك الوردية.

فأشارت نيوشياولي إلى وجهها المحمر، وقالت في خجل:

- هذا من تأثير أشعة الشمس.

وتابعت:

- وأين هو الجمال؟ أنتما الأجل.

- لا عليك من أشعة الشمس، كل هذا سيختفي بمجرد عدم التعرض

لها ثانية. قالت لي باي تشين.

وأضافت وانغ جينغ خونغ:

- لجمالِكِ سحر خاص يختلف عن الأخریات.

- وما هو وجه الاختلاف؟ ردت نيوشياولي.

ثم قالتا في صوت واحد:

- إنكِ تبدین كالأجنيبات.

عندئذٍ شاركتهم سوشوانغ الحديث ضاحكة:

- هذا ما اكتشفته عندما رأيتها للمرة الأولى، إنها لا تشبهنا نحن الصينيات.

وتذكرت نيوشياولي فجأة عندما كانت تنام في القطار المتجه من مسقط رأسها إلى مقاطعة ×× قبل خمسة عشر يوماً من الآن، تذكرت أن جوجيوخوا كانت قد قالت نفس الكلام بعدما رأت القرد الصغير يعبث بوجه نيوشياولي. وفي تلك الأثناء، دخل الغرفة رجل في منتصف العمر، بوجه طويل كوجه الحمار، أصلع، قدمته سوشوانغ لنيوشياولي على أنه المدير فو صاحب مصنع ملابس. فحياها المدير فو بابتسامة، ثم خلع معطفه وجلس إلى طاولة الطعام. ودخلت وانغ جينغ خونغ ولي باي تشين في اشتباك لفظي مع المدير فو، وبدأتا تسخران من وجهه الطويل وصلعته، وحاول المدير فو أن يرد عليهما، إلا أنه قبل أن ينطق بكلمة واحدة، عاجلته بجولة جديدة من السخرية، فوجد المدير نفسه عاجزاً عن الدفاع عن نفسه أو مجاراتهما، فاختر الصمت. وما إن رأت نيوشياولي المدير فو على هذه الحال، حتى ضحكت في نفسها،

وراحت تقارن بينه وبين مدير مصنع الملابس في مسقط رأسها، الذي لن تجرؤ واحدة من العاملات على السخرية منه. وقالت في نفسها إن هذا المدير فو يبدو أنه رجل هادئ الطباع. وبعد أن تناول المدير فو شيئاً من الطعام، استأذنت سوشوانغ وقالت إنها ستخرج للحديث مع المدير فو في أمر الصفقة، فوضع المدير فو عصا الطعام وغادر معها الغرفة. وبعد عشر دقائق، عادت سوشوانغ بمفردها تحمل كيساً ورقياً، فقالت وانغ جينغ خونغ:

- وأين المدير فو؟

- لم يتحمل مضايقتكما، ففر هارباً. ردت سوشوانغ.

فقهقهت وانغ جينغ خونغ ولي باي تشين. ثم جاء النادل ووضع المعكرونة في الوعاء، فعدن جميعاً إلى أماكنهن حول الطاولة وبدأن في تناول المعكرونة. عندئذ استقبلت لي باي تشين مكالمة تليفونية، وما إن أنهت المكالمة حتى قالت بأن عليها المغادرة الآن لأمر ما. وطلبت منها وانغ جينغ خونغ أن تغادر معها. ثم سألت سوشوانغ نيوشياولي إذا ما كانت انتهت من تناول الطعام، فردت عليها نيوشياولي بالإيجاب، فغادرن كلٌّ إلى وجهته. وفي طريق عودتهما إلى الفندق، سألت نيوشياولي سوشوانغ إذا ما كانت أنهت صفقتها، فردت عليها الأخيرة بالإيجاب، فطمأنت نيوشياولي. وما إن وصلتا غرفتهما بالفندق، حتى نظفتا أسنانهما، ثم اضطجعتا على السرير، وسألت نيوشياولي سوشوانغ عن موعد استيقاظهما صباح الغد لمواصلة البحث عن سونغ تساي شيا، فقالت سوشوانغ:

- في الحقيقة أرى أنه لا داعي للسفر للبحث عن سونغ تساي شيا.

فقال نيوشياولي وهي تشعر بدهشة كبيرة:

- وكيف ذلك، ومن سيعيد لي المئة ألف يوان؟

وتابعت:

- كما أن ذلك يعني أنك لن تحصيلي على خمسة عشر ألف يوان.

- حتى لو عثرنا عليها، فليس من المؤكد أنها ستعيد لك المبلغ؟ قالت سوشوانغ.

وأضافت:

- حتى لو عثرنا عليها، فإنه ليس من المؤكد أيضاً أن أحصل على نسبتي في هذه الصفقة.

- ولماذا؟ سألت نيوشياولي.

- دعيني أسألك هل سونغ تساي شيا فقيرة أم غنية؟

- بصرف النظر عن فقرها أو غناها، فلا يجب أن تخدع الآخرين. ردت نيوشياولي.

فقال سوشوانغ:

- أنا لا أقصد ذلك، كل ما أريد قوله إن المرأة التي تبيع جسدها بالتأكد فقيرة، وهو ما لا يمكن أن تفعله بنات الأغنياء، وبما أنها تنحدر من أسرة فقيرة، فإن أهلها بالتأكيد قد بلغ بهم الفقر مبلغه، وما إن وقع هذا المبلغ بأيديهم حتى أنفقوه كاملاً وأصبحوا لا يدرون عنه شيئاً، كحجر سقط في الماء فأحدث صوتاً ثم غاص واختفى.

فقال نيوشياولي بلهجة باكية:

- معنى هذا أن جهدي في البحث عنها في تشين خان لمدة خمسة عشر يومًا ضاع هباءً؟ وكذلك مجيئي معكِ إلى هنا؟

فردت سوشوانغ:

- ولهذا أقول لك إنه لا داعي للبحث عنها.

- لم يكن هذا رأيك عندما كنا في تشين خان.

- هذا ما توصلت إليه بعد تفكير عميق طول الطريق.

- وماذا أفعل الآن، هل سأعود إلى قريتي صفر اليدين؟ قالت نيوشياولي.

فردت سوشوانغ:

- هذا ما فكرت فيه كثيرًا، حتى وجدت لك حلًا بديلاً.

- وما هو؟ سألت نيوشياولي.

- العمل مع وانغ جينغ خونغ ولي باي تشين. أجابت سوشوانغ.

- تقصدين عاملة بمصنع الملابس؟ وكم سأتقاضى في الشهر؟ لقد عملت بأحد مصانع الملابس في قريتي مقابل راتب شهري ألف وثمانمائة يوان، فكم أحتاج لجمع المبلغ الذي سرقته سونغ تساي شيا؟ مئة ألف يوان.

- ولكنهما ليستا عاملتين بمصنع الملابس، هذا ما يفصحان عنه للغرباء فحسب.

ثم سحبت سوشوانغ الكيس الورقي من فوق طاولة بجانب السرير. وكانت نيوشياولي قد رأت هذا الكيس من قبل عندما عادت به سوشوانغ إلى غرفة الطعام بعد خروجها لمناقشة صفقتها مع المدير فو. ثم أخرجت سوشوانغ كمية من النقود ووضعتها فوق السرير قائلة:

- هذه مئة ألف يوان، أجر عشر ليالٍ فقط.

فاندهشت نيوشياولي، ولم تفهم مغزى ما سمعته. ولكنها فطنت فجأة إلى مغزى كلام سوشوانغ، فقفزت من فوق السرير قائلة:

- ماذا تقصدين، هل تطلبين مني أن أعمل عاهرة؟

فردت سوشوانغ وهي تزم شفيتها:

- وهل تكسب العاهرة عشرة آلاف يوان في الليلة الواحدة؟ العاهرة هنا تعمل مقابل أربعمئة يوان في الليلة.

فقالت نيوشياولي غير فاهمة:

- إذاً ماذا تريدني أن أعمل؟

- سيدة محترمة مثل وانغ جينغ خونغ ولي باي تشين.

- وما هو المطلوب مني كسيدة محترمة؟ تساءلت نيوشياولي.

- الراحة طول النهار، ثم تنامي مع أحدهم بالليل. ردت سوشوانغ.

فسألت نيوشياولي وهي غير فاهمة:

- أليس هذا ما تقوم به العاهرة؟

- أصحاب المكانة الرفيعة لا يبحثون عن العاهرات؛ لأن في هذا

خطرًا عليهم وعلى صحتهم، وإنما يرغبون في المحترمات فقط. ردت سوشوانغ.

فسألته نيوشياولي:

- من تقصدين بأصحاب المكانة الرفيعة؟

- أصحاب النفوذ والمال. ردت سوشوانغ.

وأحست نيوشياولي أن هذه المئة ألف يوان التي عرضتها عليها سوشوانغ، هي ما عادت به سوشوانغ عقب خروجها مع المدير فو من غرفة الطعام. فتابعت تسأل:

- من أمثال المدير فو؟ إنه مجرد صاحب مصنع ملابس، أليس كذلك؟

فردت سوشوانغ:

- ولكنه ليس صاحب مصنع ملابس، هذا ما يقوله للغرباء فقط.

فقالت نيوشياولي مندهشة:

- وماذا يعمل إذاً؟

- إنه مطور عقاري، لا تنظري إلى ملامحه المرعبة، فهو رجل ثري يمتلك ما يزيد على عشرة مليارات يوان، وعدداً كبيراً من العمائر في هذه المدينة.

فسألته نيوشياولي:

- وتريديني أن أنام معه؟

- هو نفسه لا يرغب في ذلك، هو من دفع المبلغ فقط، لكنه يساعد

أحدهم في البحث عن سيدة محترمة. ردت سوشوانغ.

- يساعد من؟ سألت نيوشياولي.

- من هو أكثر منه نفوذًا ومالًا.

- ومن هذا الذي أكثر منه نفوذًا ومالًا؟ تابعت نيوشياولي تسأل.

- هو كمطور عقاري يحتاج للأرض لبناء العمار، فمن الذي يملك الأرض؟ المسؤولون، كما أن بناء العمارات يحتاج للمال، ومن أكثر منه مالًا؟ البنوك.

فهمت نيوشياولي قصدها، وفجأة تذكرت أمرًا ما، فسألت:

- يبدو أنك كنت تعرفين كل شيء منذ البداية، بل وقد خططت لكل شيء منذ أن كنا في تشين خان، أليس كذلك؟ كنت تخدعيني بقولك إننا جئنا إلى هذه المدينة للبحث عن سونغ تساي شيا؟

فهزت سوشوانغ رأسها بالموافقة.

فقالته نيوشياولي غاضبة:

- وكيف طاعك قلبك على خداعي وأنا على تلك الحالة من القلق للبحث عن سونغ تساي شيا؟ ولماذا لم تصارحيني منذ البداية؟

- كان علينا أن نأتي إلى هنا، حتى يرونك بأعينهم، فليس كل النساء تصلحن كـ“سيدات محترمات”؟ ردت سوشوانغ.

فقالته نيوشياولي وقد وجدت نفسها في موقف لا تحسد عليه:

- وما الذي أعجبكم في؟

- المدير فو هو أيضًا يرى أن جمالك يختلف عن الأخريات، وأنتك مثل الأجنبيات.

فتابعت نيوشياولي تسأل:

- ومنذ متى تعمل معكم وانغ جينغ خونغ ولي باي تشين؟

هزت سوشوانغ رأسها قائلة:

- منذ خمسة أشهر فقط، وقد جمعت كل منهما في حدود سبعين إلى مئة ألف يوان.

رقدت نيوشياولي على السرير، واختارت الصمت. ومضت تفكر لماذا كل هذا اللف والدوران. أليس ما ستقوم به السيدة المحترمة هو بيع جسدها؟ وأن مجيئها إلى مقاطعة xx للبحث عن سونغ تساي شيا، وأن سونغ شيا هذه سيدة باعت جسدها، كل ما في الأمر أنها اختارت طريق النصب في الزواج لبيع جسدها، ولم تكن تتخيل أنها بمجيئها إلى هذه المقاطعة ستجد مَنْ يطلب منها بيع جسدها، فرحلة البحث عن سونغ تساي شيا كانت بسبب خدعة، ولم تكن تتخيل أن تقع في نفس الخدعة بمجيئها إلى هنا برفقة سوشوانغ. فقامت نيوشياولي فجأة من فوق السرير وقالت:

- لا لن أقع في الفخ، وسأعود إلى تشين خان لمواصلة البحث عن سونغ تساي شيا.

فهزت سوشوانغ رأسها بالموافقة، وقالت:

- بإمكانك ذلك، ولن يجبرك أحد على فعل شيء، كل ما في الأمر أن أختك تطرح أمامك حلاً آخر فحسب.

ثم قالت وهي تشير إلى المبلغ فوق الطاولة بجانب السرير:

- والمال سيسهل عليكِ البحث عن هدفك.

فقالت نيوشياولي:

-عليكم تعويضي عن هذا التأخير لعدة أيام.

فمدت سوشوانغ يدها وأمسكت بعشرة آلاف يوان من فوق الطاولة، ثم سحبت منها خمسة آلاف، وقالت:

- رحلتك من تشين خان إلى هنا استغرقت أربعة أيام، هذا تعويض بواقع ألف يوان عن كل يوم، بالإضافة إلى ألف يوان مصاريف انتقال، أيرضيكِ هذا؟

ولم تأخذ نيوشياولي المبلغ، وإنما استرخت على السرير. وقد شعرت لوهلة أن سوشوانغ استحالت إلى إنسانة أخرى، فبعد الصراحة التي رأتها منها طول الطريق، اكتشفت أنها إنسانة في غاية العمق، وبعد أن تحملت كل منهما أجرتها، وقد جلست معها سوشوانغ على مقعد عادي في القطار، وتناولتا الوجبات الجاهزة، وكانت تظنها مجرد تاجرة ملابس صغيرة، وأنها قبلت بمرافقتها إلى هنا للبحث عن سونغ تساي شيا من أجل الحصول على خمسة عشر ألف يوان كنسبة في المبلغ، ولتضرب عصفورين بحجر واحد، وهذا ما أكد لها أنها مجرد تاجرة صغيرة، ولم تكن تتخيل أنها على هذه العلاقة بأصحاب النفوذ والمال، وبمعنى آخر أنها من أصحاب المال، فالغني يدعي الفقر خوفاً على نفسه، وهذا ما شكت فيه نيوشياولي في الطريق. ثم شعرت برغبة شديدة في أن تثور على سوشوانغ، ولكنها لاحظت أن سوشوانغ أعادت المبلغ إلى الطاولة ولم تجبرها على أخذه، فلم تقبل نيوشياولي بالعمل

”سيدة محترمة“، وسوف تعود صباح الغد إلى تشين خان بعد أن تأخذ خمسة آلاف يوان، لمواصلة البحث عن سونغ تساي شيا، فقد جاءت وستعود في عجلة، وستحصل على خمسة آلاف يوان كتعويض مقابل هذه الرحلة القصيرة التي استغرقت أربعة أيام، وهو ما يعادل أجر شهرين في مصنع الملابس الذي كانت تعمل به في قريتها، وعندما احتاجت للمال قبل أيام في تشين خان، طلبت من فينغ جين خوا أن يحول لها ثلاثة آلاف يوان، وهو ما جعلها تستمع لسيل من الاستفسارات منه، وحصولها على الخمسة آلاف يوان، سيضمن لها عدم مضايقة فينغ جين خوا وأسئلته الكثيرة، وأن هذه الأيام الأربعة لن تؤثر على رحلة بحثها عن سونغ تساي شيا التي استغرقت منها أكثر من خمسة عشر يومًا، ومضت تفكر حتى هدأت ثورتها. فقبولها أو رفضها لعرض سوشوانغ يتوقف على كلمة واحدة منها، ولا داعي للمماطلة، حتى شعرت من جديد أن سوشوانغ إنسانة صريحة.

وبمجرد أن أنهت حديثها مع نيوشياولي، أطفأت سوشوانغ الأباجرة ودخلت في النوم بسرعة، مصدرة صوت شخير هادئ، بينما راحت نيوشياولي تنقلب في السرير، وقد خاصم النوم جفنيها. ومضت تفكر في أنها ستعود غدًا إلى تشين خان، ولكن ماذا بعد العودة؟ هكذا حتى عاودها الحزن وامتلاً قلبها بالخوف. وتذكرت ما قالته سوشوانغ من أن بيت أهل سونغ تساي شيا يقع بإحدى البلديات المجاورة لتشين خان، ولكن يبدو لها الآن أن كل ما قالته سوشوانغ كان كذبًا، فأين اختفت سونغ تساي شيا، يبدو أنها ستعود للبحث عنها في جميع القرى المجاورة قرية قرية. ولكن هل ستواصل البحث عنها في تشين خان كمن يبحث عن إبرة في كومة قش، أم ستنتقل للبحث عنها في البلديات الأربع المجاورة؟ حتى لو قررت البحث عنها في البلديات المجاورة، فمن

أي بلدية ستبدأ رحلة البحث؟ حتى إنها لا تعلم ماذا ينتظرها بعد الذي مر بها خلال الخمسة عشر يوماً الماضية في البحث عنها حتى نال منها التعب والإنهاك، وتعرضت للكثير من المخاطر، وحتى إذا واصلت البحث عنها لمدة شهرين قادمين، فإنها غير متأكدة من العثور عليها، وهكذا مضت تفكر حتى ساورها الخوف. ثم فكرت في صحة كلام سوشوانغ في أنها حتى لو تجاوزت كل الصعاب وعثرت على أهل سونغ تساي شيا ثم توصلت إلى سونغ نفسها، فليس من المؤكد أنهم سيعيدون لها المئة ألف يوان، فكما قالت سوشوانغ إن بنات الأغنياء لن يقدمن على بيع أجسادهن، وإن الفقراء الذين بلغ بهم الفقر مبلغه، ما إن يقع المال في أيديهم، سينفقونه في ما لا يدرون، حتى ولو كانت لا تمتلك هي وعائلتها المال الكافي، فمن المؤكد أن لديهم بيتاً وأويهم، ولكنها تذكرت ما قاله الشرطي الشاب بنقطة شرطة ويجين ببلدية تشين خان، هل لديك دليل على أن سونغ تساي شيا أخذت منكم مئة ألف يوان؟ وهل لديك إيصال بالمبلغ؟ فمن دون الأدلة الكافية لن تحسلي على شيء حتى لو تقدمت ببلاغ رسمي. وهكذا يبدو أن جهدها كله سيذهب هباءً، ثم مضت تفكر في مشهد دعوة العشاء عندما كانت تجلس حول مائدة اللحم المطبوخ، وفي ذكاء وانغ جينغ خونغ ولي باي تشين، كيف قبلتا النوم مع الغرباء بعد أن أقنعتا أنفسهما بخدعة السيدة المحترمة؟ وأنهما فتاتان في غاية الجمال، كيف ضحتا بجمالهما؟ ثم تذكرت فجأة أنها هي شخصياً قد فكرت في مثل هذه التضحيات، وكان ذلك في مسقط رأسها. فكانت نيوشياولي قد ساومت توشياوروي صاحب شركة الصرافة، ساومته على أن تمكنه من نفسها عشر مرات مقابل التنازل عن المبلغ الذي اقترضته منه مضافاً إليه نسبة الفائدة بإجمالي تسعة وتسعين ألفاً ومئتي يوان، الأمر الذي رفضه توشياوروي معللاً بأن أجر الفتاة في المسبح الذي

يديره لا يتعدى مئتي يوان في المرة الواحدة، وأن ما تطلبه نيوشياولي يعادل تسعة آلاف وتسعمئة وعشرين يواناً في المرة الواحدة، وهو أجر مبالغ فيه. وتذكرت أنه إذا كان توشياوروي قبل عرضها آنذاك، ربما كانت سلمته نفسها. وأن عرض سوشوانغ الحالي عشرة آلاف يوان في المرة الواحدة أجر مناسب جداً من الناحية التجارية، بل إنه أفضل بكثير من العرض الذي قدمته لتوشياوروي. أضف إلى ذلك أنها كانت ستفعل ذلك مع توشياوروي في قربتها، وإنه حتى لو لم يعلم أحد بهذا الأمر، فقد يذيع توشياوروي نفسه الخبر في لحظة من لحظات سكره، أما الآن فهي على مسافة آلاف الكيلومترات من مسقط رأسها، ولن يعلم أحد عنها شيئاً إذا أقدمت على نفس الفعل. وهكذا راحت تفكر حتى خاصمها النوم طول الليل. وما إن انبلج ضوء الصباح، حتى استيقظت سوشوانغ، فرأت نيوشياولي تتقلب على سريرها، فقالت وهي تنظر في ساعة يدها:

- ألم تقولي يا شياولي بأنك ستعودين إلى تشين خان؟ أذكر أن هناك قطاراً إلى عاصمة مقاطعة xx يتحرك في الثامنة وعشرين دقيقة، فيجب أن تتحركي فوراً للحاق به.

فردت نيوشياولي وقد أخذت قرارها:

- لن أعود يا أختي.

- ماذا تقصدين. سألت سوشوانغ.

- سأعمل بنصيحتك. ردت نيوشياولي.

فقالت سوشوانغ وهي تصفق بيديها:

- كنت أعلم أنك زكية، وإنك عاجلاً أم آجلاً ستقتنعين بالنصيحة.
- ولكن يبقى هناك سؤال أريد أن أعرف منك الإجابة عنه. قالت نيوشياولي.
- ما هو؟

- لماذا لا تبحثون عن العاهرات وما أكثرهن وتطلبون منهن التظاهر بأنهن سيدات محترمات؟
- سأوضح لك كل شيء في حال وافقتِ، فليست صفة السيدات المحترمات هو كل ما نطلبه.
- ماذا تقصدين؟ سألت نيوشياولي.

- إن أصحاب النفوذ والمال لا يرغبون في هؤلاء المحترمات، فما أكثرهن، لكن هناك نوع من النساء يجذبهم بشكل خاص. ردت سوشوانغ.

- أي نوع تقصدين؟ سألت نيوشياولي.

- العذارى.

فذهلت نيوشياولي، ثم قالت وهي تشير بيدها:

- لقد أخطأت يا أختي، فأنا لست عذراء.

فلم تعد نيوشياولي عذراء منذ بدأت علاقتها بفينغ جين خوا وهي في السادسة عشرة، والآن هي في الحادية والعشرين وقد مر أكثر من ست سنوات على ممارسة هذه العلاقة مع فينغ جين خوا. فقالت نيوشياولي موضحة:

- ولا يمكن أن أخدعك في هذا الأمر يا أختي، وإذا أنا فعلت، سيفتضح أمري على السرير.

وكانت نيوشياولي تقصد أن العذراء سينزل منها الدم على السرير. ففهمت سوشوانغ قصدها، ولكنها ردت بلا مبالاة:

- حتى إذا لم تكوني عذراء، سأجعلك كذلك.

فقالت نيوشياولي مندهشة:

- وكيف ذلك؟ وهل يحتاج الأمر لعملية جراحية؟

فضحكت سوشوانغ وقالت:

-عمليات ترقيع غشاء البكارة تحتاج للراحة لأكثر من شهر، ونحن ليس أمامنا متسعًا من الوقت.

- إذا كيف سأصبح عذراء؟ سألت نيوشياولي.

فأخبرتها سوشوانغ أن هذا الأمر يمكن القول بأنه معقد وبسيط في الوقت نفسه، فهي عادة تطلب من الواحدة منهن أن تأتي بدم ثعبان المستنقعات من السوق، وتضعه داخل إسفنجة بواسطة إبرة، ثم تضعها بداخل جسدها قبل العلاقة مع أحدهم. فذهلت نيوشياولي وقالت:

- أليس هذا بالكذب؟

فردت سوشوانغ:

- سيكون كذبًا إذا اكتشف أحدهم أمرك، وإذا لم يحدث فسيعتقد بأن

كل شيء حقيقي، أليس كذلك؟

فراحت نيوشياولي تفكر في أن سوشوانغ على حق في ما قالت، ثم واصلت تسألها:

- وكيف أجعله لا يكتشف أمري؟

- أن تقومي بتشتيت انتباهه. ردت سوشوانغ.

- ماذا تقصدين؟

- تردين كلمة 'مؤلم'.

ففهمت نيوشياولي قصدها، وتذكرت أن هذا هو ما تقوله العذراء في أول لقاء.

وتذكرت نيوشياولي فجأة نقاشها مع توشياوري أمام المسبح، وعندما أخبرها توشياوروي بأنه سيقبل بالتنازل عن نسبة الفائدة في حال إذا كانت عذراء، وبما أنها لم تكن كذلك، فإنها لم تتفاوض معه في هذه النقطة، وأنها إذا كانت تعلم أنذاك بدم ثعبان المستنقعات لخدعته به، وبالتالي لم تكن بحاجة للسفر إلى مقاطعة xx، ومنها إلى هذه المقاطعة. ثم مضت تفكر في أن توشياوروي قال ذلك متعمداً؛ لأنه كان على علم بعلاقتها بفينغ جين خوا وأنها لم تكن عذراء. وأنها فشلت في أن تكون عذراء في بلدها، فجاءت إلى هنا لتتصنع ذلك. ثم خطر ببالها أمر ما، فسألت سوشوانغ:

- طالما سأتظاهر بأنني عذراء، فلماذا لا تأتون بعاهرة لتفعل ذلك؟

- أصحاب النفوذ والمال أناس عركتهم الحياة، وبإمكان الواحد منهم أن يعرف من النظرة الأولى إذا كانت إحداهن محترمة من عدمه.

- وكيف يعرف الواحد منهم أنني محترمة؟ سألت نيوشياولي.

فقالَت سوشوانغ وهي تشير إلى وجه نيوشياولي:

- انظري إلى وجهك المحمر، وكأنك أتيت للتو من الريف.

فلم تدرِ نيوشياولي أتضحك أم تبكي، فهذا الوجه المحمر الذي تتحدث عنه من تأثير خمسة عشر يومًا قضتها في البحث عن سونغ تساي شيا بمقاطعة ××، حتى إنها في بداية الأمر شعرت بالقلق من تغير لون وجهها، ولم تتخيل أن يوافق الآن رغبة هؤلاء. وأضافت سوشوانغ:

- عذراء، ومثل الأجنيات، إذا فأنت لا تقدرين بثمن.

ففهمت نيوشياولي قصدها، ولكنها تابعت تسأل:

- وهل يستخدم أحدهم الواقي عند ممارسة العلاقة؟

- وإذا كان سيستخدمه فما الجدوى من البحث عن العذاري؟ إنهم ينشدون المتعة. ردت سوشوانغ.

فقالَت نيوشياولي وقد انتابها القلق:

- وماذا لو حدث حمل؟

فأخرجت سوشوانغ من حقيبتها حبة دواء، وقالت:

- تناولي هذه بعد العلاقة.

فقالَت نيوشياولي وقد زاد شعورها بالقلق:

- طالما لا يستخدم أحدهم الواقي، ماذا لو أصبت بأي مرض؟

فأخرجت سوشوانغ من حقيبتها حبة دواء جديدة، وقالت:

- وتناولي هذه أيضًا بعد العلاقة.

فهمت نيوشياولي قصدها، وتابعت تقول:

- دعينا نتفق من البداية يا أختي، سأفعل ذلك عشر مرات فقط بما يكفي المبلغ الذي سرقتة سونغ تساي شيا، ثم أعود مباشرة إلى مسقط رأسي.

عشر مرات، هو نفس العدد الذي عرضته نيوشياولي على توشياوروي أمام المسبح في مسقط رأسها.

- إذا رغبت في العودة، سنودعك بكل سرور، وإذا فضلت البقاء معنا سنرحب بك، ثم إذا رغبت في العودة سنودعك بنفس الشعور، فالحرية في التعاون معنا مبدئي في التعامل مع صديقاتي هنا.

ثم واصلت:

- هذا العمل محل منافسة شديدة، وأنا لست متأكدة ما إذا كان بإمكانك التمتع بهذه الفرصة إذا رغبت في العمل معنا لمدة أطول أم لا.

فضحكت نيوشياولي بخجل.

وفي مساء اليوم التالي، استقبلت نيوشياولي أول زبائنها. وبما أنها المرة الأولى، فقد كانت متوترة للغاية. وبالرغم من ارتباطها بفينغ جين خوا منذ ست سنوات، مارست معه خلالها هذه العلاقة مرات عديدة، إلا أن الإحساس بممارستها مع خطيبها يختلف تمامًا عن ممارستها مع رجل غريب. إذ وجدت نفسها تشعر بأنها لا تعرف شيئاً عن حجم ذلك الغريب وإذا ما كان بديناً أم نحيفاً، لا تعرف طباعه وعاداته عند ممارسة العلاقة، ولا تعرف شيئاً عن حجم قضيبه، فليس لديها أدنى استعداد لتلك اللحظة. كما أن تظاهرها بأنها عذراء يجعلها تشعر بالتوتر والقلق أكثر من خوفها من لقاء ذلك الغريب. وبالرغم من الحيلتين اللتين علمتها إياهما سوشوانغ للتظاهر بأنها عذراء، إلا أن هذا مجرد كلام سمعته ولم تجربته بنفسها، ولا تعلم ماذا سيكون منها عند اللحظة الحاسمة. وبعد ظهر ذلك اليوم، بدأت سوشوانغ تعلمها كيف تتحدث إلى زبائنها، ثم طلبت منها خلع سروالها وأن ترقد على السرير، وبدأت تعلمها كيف تضع الإسفنجة الممتلئة بدم ثعبان المستنقعات. ففتحت نيوشياولي ساقيها حتى تمكنت سوشوانغ من وضع الإسفنجة، وعلمتها طريقة نزعها ثلاث مرات، ثم سألت نيوشياولي:

-هل بإمكانك استخدامها الآن؟

- دعيني أجرب. ترد نيوشياولي.

تركت لها سوشوانغ الفرصة لتتدرب بنفسها. حتى أتقنت نيوشياولي هذه الحيلة بعد أكثر من عشر محاولات. وقبل أن تغادر الغرفة، جمعت

سوشوانغ قطع الإسفنج الملطخة بالدم ووضعتها في كيس بلاستيكي وأعطتها لنيوشياولي قائلة:

- قبل البدء في ممارسة العلاقة تعلي بأنك ترغبين في الذهاب إلى الحمام، وهناك ضعيفا خلسة.

فوضعت نيوشياولي الكيس البلاستيكي في حقيبتها، ثم هزت رأسها بالموافقة.

ولم تطلب سوشوانغ من نيوشياولي شيئاً في ما يتعلق بالمكياج، ولم تطلب منها فستاناً مكشوف الصدر والظهر، أو حتى ارتداء ملابس عصرية تناسب ذوق المدينة، وقد اكتفت نيوشياولي بغسل ملابسها التي جاءت بها إلى هذه المدينة، وانتظرت حتى تجف لترتيديها. وأخبرتها سوشوانغ أن السيدات المحترمات يجب أن يلتزمن بالمظهر المعروف عنهن، وقد شعرت نيوشياولي بأن هذه الطريقة ستكون أسهل بالنسبة لها، فضلاً عن ذلك فإنها لن تجد صعوبة في ارتداء ملابس غير التي اعتادت عليها، وبالتالي سيبدو الأمر طبيعياً، وأنها إذا وضعت المكياج وارتدت الفستان المكشوف ستشعر بالحرّج الشديد.

وفي تمام الخامسة بعد ظهر اليوم نفسه، وقفت أمام باب الفندق سيارة خاصة لاستقبال نيوشياولي. فظنت نيوشياولي أن السيارة تخص المدير فو. وما إن استقلت السيارة حتى فكرت في أنها في طريقها إلى فندق آخر فئة الفنادق الممتازة، أو إلى بيت أحدهم لتلتقي بزبونها الأول، لكن السيارة لم تذهب إلى أي فندق أو أحد الأحياء السكنية، وإنما أقلتها إلى خارج حدود المدينة. وكان السائق الشاب يرتدي نظارة شمسية، وقد لزم الصمت طول الطريق مكتفياً بالتركيز في قيادة السيارة. ولما رآته نيوشياولي بتلك الصرامة، لم تجرؤ على أن تسأله عن وجهتهما.

وما إن بلغا ضواحي المدينة، حتى انطلقت السيارة في طريق جبلي متعرج. فبدأت نيوشياولي تشعر بالعزلة وهي ترى السيارة تبتعد عن المدينة، ومن أمامها جبال وأودية خالية تمامًا من البشر، فراودها شعور بأنها بيعت إلى أحدهم. وقد جعلها هذا الشعور تتذكر فجأة سونغ تساي شيا، وكأنها تفهم الآن شعورها عندما جاءت من مسقط رأسها بمقاطعة ×× إلى بيت لاوشين، ومكثت عندهم تنتظر بيعها لأحدهم في قرية شينجياجوانغ، لتجد نفسها الآن تشعر بالتعاطف تجاه عدوتها سونغ تساي شيا.

واجتازت السيارة أحد الجبال، ثم انطلقت في طريق فرعي باتجاه أحد الأودية. ثم عبرت أحد الجسور، لتتضح أمامهم الرؤية فجأة، ثم استقبلهما شلال يمر بالأسفل منه جدول، فواصلت السيارة السير في طريق متعرج أسفل الجبل. ثم انطلقت في طريق أسفلتي بمحاذاة الجدول في اتجاه وادٍ عميق، عندئذٍ تفتحت أعينهما على مساحات كبيرة من أزهار الخوخ تغطي سفح الجبل. وما إن اجتازت السيارة هذا المنحدر، حتى استقبلتهما منطقة مستوية شاسعة، تتوسطها إحدى الدور الرباعية الكلاسيكية. ثم توقفت السيارة أمام هذه البناية، وأوعز السائق لنيوشياولي بالنزول. وما إن نزلت، حتى استقبلتها سيدة في منتصف العمر، وأوعزت لها بأن تتبعتها دون أن تنطق بكلمة واحدة. ورأت على جانبي المدخل أسدين هائلين من الحجر، وبجانب الباب لافتة نحاسية مكتوب عليها "ب 18"، بينما لم تفهم نيوشياولي معناها. فقادتتها السيدة التي في منتصف العمر إلى الداخل، فعبرت أكثر من باحة واسعة متصلة كتلك الأفنية التي كانت تزين بيوت الإقطاعيين في الماضي. هكذا حتى وصلت أخيرًا إلى الباحة الخامسة، فدخلت السيدة بها إلى جناح رئيس بهذه الباحة. وما إن دخلت الجناح حتى وقع نظرها

على بيانو، ومن خلفه حوض كبير مليء بأسمك ملونة تسبح على السطح، كما رأت في جوانب المكان عددًا من الزهريات الضخمة من الخزف الصيني، بينما كانت الأرائك الموضوعة من الخشب الأحمر، وعلى أذرع المقاعد نقش تنين أسطوري. أوعزت لها السيدة بالجلوس فوق الأريكة في صالة الاستقبال، قبل أن تخرج وتتركها بمفردها. فراحت نيوشياولي تمعن النظر في ما حولها من محتويات لم ترها من قبل. ومضت تفكر في الفارق الكبير بين ممارسة هذا الفعل في هذا المكان وممارسته في محال العاهرات في مسقط رأسها. وبعد دقائق، دفعت السيدة الباب ودخلت حاملة صينية طعام، وما إن وضعت الصينية فوق الطاولة، حتى أوعزت لنيوشياولي بالجلوس إلى الطاولة. فدنّت نيوشياولي من الصينية، لتجد فوقها سلطانية معكرونة بحساء الدجاج وخمسة أطباق رئيسة، اثنين من الأطعمة الساخنة واثنين من الأطعمة الباردة، وهي طبق من الخيار المخلل، طبق من شرائح لحم البقر، طبق من السلطعون المقلي مع الخس وطبق من السمك المسلوق، ولاحظت أن الأطباق الساخنة والمعكرونة كانت ساخنة بشكل يوحي أنها أعدت قبل قليل. وأوعزت لها السيدة بتناول الطعام ثم خرجت. وكانت نيوشياولي قضت يومها في توتر شديد حتى إنها لم تكمل وجبتي الإفطار والغداء بشكل جيد، وقد بدأ يقرصها الجوع الشديد بعد الرحلة الطويلة التي قطعتها إلى هنا، ولم تكن تفكر في الطعام إذا لم تجده أمامها، ولكنها ما إن رآته حتى زاد شعورها بالجوع، فجلست على الفور وبدأت في تناول الطعام. إلا أنها ما إن أمسكت بأعواد الطعام حتى لم تجد الشهية لتناول الطعام، فقط ألقّت بقليل من المعكرونة في جوفها ثم أعادت أعواد الطعام إلى مكانها على الصينية. وبعد عشر دقائق، عادت السيدة لتجمع الأطباق وحملت الصينية وغادرت من جديد. فأحست نيوشياولي

فجأة بالرغبة في الذهاب إلى الحمام، ولكنها لا تعرف مكانه، كما أنها لا تجرؤ على البحث عنه دون استئذان. وفي تلك الأثناء عادت السيدة وأوعزت لنيوشياولي بالنهوض، وقادتها إلى الداخل، فدفعت أحد الأبواب، فإذا به باب غرفة النوم. ثم دفعت أحد الأبواب، فإذا به باب الحمام، فوجدت مساحته واسعة في مساحة غرفتين. ثم أوعزت لها السيدة بأن تغسل أسنانها وتستحم، فهزت نيوشياولي رأسها بالموافقة، ثم خرجت السيدة من جديد. فانتظرت نيوشياولي خروجها من الغرفة، ثم أحكمت إغلاق باب الحمام في عجلة، ووضعت حقيبتها وجلست إلى قاعدة الحمام لقضاء حاجتها، وما إن انتهت من ذلك حتى بدأت في تنفيذ ما أوعزت به إليها السيدة، فأمسكت بفرشاة الأسنان ووضعت عليها قليلاً من المعجون وغسلت أسنانها، ثم خلعت ملابسها كاملة وبدأت تستحم. وبينما هي تستحم، راحت تفكر في فخامة المكان والإجراءات التي مرت بها وصولاً إلى هذه اللحظة، وفكرت في أن هذه الليلة لن تكون سهلة بالنسبة لها، وأن زبونها بالتأكيد رجل قوي البنية، وأنه سينقض عليها ويفتك بها كما يفعل الذئب بالحمل الوديع، وأنها ستتألم كثيراً الليلة، وقد تجد صعوبة في الاستيقاظ صباح الغد. ولكن على كل حال فإن الرجل دفع عشرة آلاف يوان مقابل هذه الليلة، وله الحق في أن يحصل على خدمة تناسب قيمة المبلغ الذي دفعه، وأن كلاهما جاء إلى هذا المكان برغبته الكاملة. وما إن فكرت في هذا كله حتى احتضنت جسدها العاري وهي ترتعش. وما إن أنهت حمامها وارتدت ملابسها، حتى خرجت من الحمام لتفاجأ برجل يجلس على مقعد بجانب السرير. وقد جعلها ظهوره المفاجئ تشعر بالرعب الشديد. ودققت النظر فيه، فإذا بها أمام رجل فوق الخمسين، ذي بشرة صافية وشعر مصفف بعناية، يضع نظارة ذهبية الإطار. فلظنت نيوشياولي أنه أحد القائمين على هذا

المكان، ولكن ما إن اقترب منها وبدأ يخلع عنها ملابسها، حتى تأكدت نيوشياولي أنه الزبون الذي ينتظرها الليلة. بدأ الزبون بخلع ملابس نيوشياولي دون أي مقدمات، حتى أخذت هي ترتجف، قبل أن يبدو عليها التوتر من شدة الخوف أكثر من عذراء في ليلتها الأولى، ثم تصبب جسدها عرقاً. فتوقف الزبون عن العبث عن خلع ملابسها وقال باسمًا:

- يبدو من هذا التوتر أنها حقًا ليلتك الأولى؟

فهزت نيوشياولي رأسها بالإيجاب قائلة:

- حقًا يا عمي إنها ليلتي الأولى.

وأحست أنها أخطأت في مناجاته، وكانت سوشوانغ قد نبهتها إلى ذلك، وأخبرتها بأنها يجب أن تنادي الزبون بـ "أخي" بصرف النظر عن سنه، فقالت في عجالة مصححة:

- حقًا يا أخي إنها ليلتي الأولى.

وتذكرت فجأة أن الزبون جاءها فجأة، ولم تجد فرصة لوضع دم ثعبان المستنقعات، فقالت في عجالة:

- أخي، هذا التوتر يجعلني أشعر برغبة شديدة في الذهاب إلى الحمام.

فهز الزبون رأسه وقال ضاحكًا:

- اذهبي.

عادت نيوشياولي إلى الحمام، وأخذت حقيبتها واختبأت بجوار قاعدة الحمام، ثم وضعت الإسفنجة داخل جسدها، وتأكدت من أنها وضعتها بإحكام، ثم ضغطت متمعدة على قاعدة الحمام حتى تحدث المياه صوتًا

مسموعًا. وما إن خرجت من الحمام حتى وجدته راقداً على السرير، ثم أوعز لها بأن ترقد إلى جواره. ففعلت. وكانت تعتقد بأنه سيبدأ في العلاقة مباشرة دون مقدمات، ولم تتخيل أنه أمسك بيدها وأخذ يتجاذب معها أطراف الحديث قائلاً:

- من أي المناطق أنتِ؟

فردت كما علمتها سوشوانغ قائلة:

- إحدى المناطق الجبلية.

وقد أخبرتها سوشوانغ بأن معظم المحترمت يأتين من المناطق الجبلية، ولكن نيوشياولي جاءت من منطقة سهول. فقال الزبون:

- أي منطقة جبلية؟

فردت كما علمتها سوشوانغ أيضاً والابتسامة تملو وجهها:

- معذرة يا أخي لن أستطيع الإجابة عن هذا السؤال، حتى لا أفضح أهلي.

فبدأ أن الزبون فهم قصدها، فقال وهو يداعب وجهها المحمر:

- يبدو أنها منطقة مرتفعة عن سطح البحر، حتى تأثرت بشرتك إلى هذا الحد.

فتنهدت نيوشياولي. فيما تابع الزبون يسألها:

- وكم عمرك؟

فردت كما علمتها سوشوانغ، فقالت وقد أنقصت من عمرها الحقيقي

أربع سنوات:

-عشرون عامًا.

-عشرون عامًا، ولماذا أنتِ عذراء حتى الآن؟ قال الزبون.

فردت كما علمتها سوشوانغ:

- أنتمي لأسرة فقيرة، لديّ الكثير من الأخوات، وكنت منشغلة بمساعدة والديّ ولم أجد الوقت المناسب لكي أرتبط بأحدهم.

فذهل الرجل قبل أن يقول وهو ينظر إليها:

- هذا مبرر غير مقنع، فبالرغم من الفقر المدقع الذي كانت عليه عائلة يانغ باي لاو⁽³⁾ لدرجة أنه تناول عن ابنته مقابل الدين، إلا أنه لم يقف أمام علاقة شي إر بداتشون.

وتابع:

- كما أن الكثير من عاهرات المدينة ينحدرون من المناطق الجبلية، والفقر ذاته هو الذي كان سببًا في فقدهن لعذريتهن منذ سن مبكرة.

فذهلت نيوشياولي ولم تعرف بما ترد عليه هذه المرة، فقد علمتها سوشوانغ الرد على السؤال لماذا هي "عذراء" حتى الآن، ولم تتوقع أن يواجهها الزبون بكل هذه الأسئلة. وشعرت بأن عقلها فارغ تمامًا، بينما كان هو ينتظر إجابتها على سؤاله. فردت وهي مضطربة:

3- هذا الاقتباس من العمل الأوبرالي الصيني المعروف "الفتاة ذات الشعر الأبيض"، أحد أهم الأعمال الأدبية التي ظهرت خلال الأربعينيات من القرن العشرين قبل تأسيس جمهورية الصين الشعبية، وتعكس فساد وظلم الطبقة الإقطاعية ومعاناة المواطن الصيني العادي في المجتمع القديم، وبطش الإقطاعي خوانغ شه رن واستيلاءه على الجميلة شي إر مقابل الدين الذي عجز والدها الفلاح البسيط يانغ باي لاو عن تسديده. (المترجم)

- لأنني أخاف من ممارسة هذه العلاقة.

فعاجلها الرجل بالسؤال:

- ولماذا تخافين؟

فصمت نيوشياولي. وبما أنها تجاوزت الإجابات التي حددتها لها سوشوانغ سلفاً، فلم تجد أمامها إلا الاعتماد على نفسها في تأليف الإجابات المناسبة. وشعرت بأنه من السهل قولها أنها تخاف من ممارسة العلاقة، لكن بدأت تشعر بصعوبة تقديم السبب المقنع على ذلك. وما إن رآها الزبون تتلعثم في الرد، حتى بدأ يساوره الشك في كلامها. حتى هداها تفكيرها إلى رد مقنع. فتذكرت فجأة حكاية أمها مع الطباخ جانغ لاي فو. فقالت:

- تريدني أن أقول الحقيقة.

- نعم. يقول.

- عندما كنت تلميذة في المرحلة المتوسطة رأيت أمي مع أحدهم عاريين يمارسان هذه العلاقة، فهالني المنظر وتقيأت، ومنذ ذلك اليوم أشعر بأنها علاقة مقززة. ترد.

فأصيب الرجل بدهشة مما سمع، فلم يكن يتوقع أن يسمع مثل هذا الرد، وربما كان عدم توقعه هو السبب في أنه بدا وكأنه صدقها، حيث سألتها:

- وهل علم والدك بالأمر؟

والحقيقة أن والدها كان قد توفي عند وقوع الحادثة، ولكن هذه النقطة في غاية التعقيد؛ لأنها إذا أجابت عليها ستفتح على نفسها الباب

لأسئلة كثيرة، فاكتفت بهز رأسها بالنفي، تعبيراً عن أن والدهم لم يعلم بالأمر، وهو ما يعني أنها جعلته في عداد الأحياء. بينما قال الرجل وهو يشير إلى السرير ثم إلى نفسه:

- وما الذي حملك على هذا طالما أنك تخافين؟

فهمت نيوشياولي أنه يقصد ما الذي حملها على بيع جسدها طالما أنها تخاف من هذه العلاقة. ومن جديد وجدت نفسها في حيرة من تأليف الإجابة المناسبة، وأنها على كل حال لا يمكن أن تقص عليه حكايتها مع سونغ تساي شيا، ثم جوجيوخوا والقرد الصغير، وأخيراً سوشوانغ، وكيف أنها جاءت من مسقط رأسها إلى مقاطعة ××، وانتقالها من مقاطعة ×× إلى هنا، فهل تخبره بالحقيقة كاملة. ولكن هذه الحقيقة بالرغم من سهولتها إلا أنها ستفتح عليها الكثير من التساؤلات، وفجأة تذكرت السبب الذي ساقته سونغ تساي شيا عندما خدعتهم بالزواج من أخيها، وهو مرض أبيها، فقالت:

- أبي مصاب بالفشل الكلوي، ويحتاج لغسيل الكلى مرة في الأسبوع، ونحن بحاجة ماسة للمال.

وبما أن أحييت والدها، فوجدت نفسها مضطرة للاستعانة به مرة ثانية. بينما أصيب الزبون بالدهشة، فقال وكأنه صدقها:

- ألهذا السبب، يا لها من تضحية عظيمة.

وتابع:

- دعينا من الحديث في هذه المواضيع المحزنة.

ثم قال وهو يتفحص نيوشياولي:

- يقولون إن جمالكِ يختلف عن جمال الأخريات، أنتِ حقاً كذلك.

وأضاف:

- فأنتِ حقاً تبدين كالأجنبيات.

ولم تعرف نيوشياولي مَنْ يقصد بقوله "يقولون"، فخمنت في نفسها أنه يقصد المدير فو وسوشوانغ، فلم تعرف بماذا ترد عليه، فاككتت بهز رأسها بالموافقة، ولكنها انتبهت فجأة أن هز الرأس بهذه الطريقة يعني التأكيد على كلام الطرف الآخر، وهو ما يعني أنها تتني على نفسها، فابتسمت ابتسامة خجولة. وهكذا استمر الحديث بينهما على طريقة واحدة هو يسأل وهي ترد، ولم يحدث أن بادرت هي بالسؤال، فكيف يمكنها ذلك وقد كانت تجيبه عن كل سؤال وهي في غاية القلق؟ كما أن عدم الاستفسار عن أي شيء يخص الزبون من توجيهات سوشوانغ لها. وبعد الحديث في كل هذه الأمور الشخصية، عاد يخلع عنها ملابسها. وفي هذه المرة جردها من ملابسها كاملة. ثم أخذ يلتهم بعينيه جسدها العاري، حتى شعرت نيوشياولي بالخجل فجعلت تضع يديها حول كتفيها، سحب يديها برفق وواصل النظر إلى الجسد العاري، وكانت نيوشياولي تتمتع بجسد أبيض غض، أصبح أكثر جمالاً وتوردًا بعد أن استحمت، كانت تتمتع بجسد يميل إلى الامتلاء، وقوام متناسق، صدر كبير وأرداف متناسقة وخصر نحيل وساقين طويلتين، فهز الرجل رأسه تعبيراً عن الرضا، ثم خلع عنه نظارته وملابسه كاملة، فظنت نيوشياولي أنه سيهجم عليها دون مقدمات كالذئب الجائع. ولكن مَنْ يدري أنه كان في غاية اللطف، ولم يقصد هدفه مباشرة، فبدأ بملامسة جسدها، وأخذ يلعب حلمة ثدييها. فقالت في نفسها ياله من رجل صبور. وتذكرت أن فينغ جين خوا لم يكن يتحلى بكل هذا الصبر، وإنما كان

يرمي إلى هدفه مباشرة دون مقدمات. وبعد أن انتهى من لعق حلمة ثديها، انتقل إلى فمها، فجعل يداعب لسانها، قبل أن يدخل لسانه في فمها. ظل هكذا حتى شعرت بالاستمتاع، ثم انتقل نفس الشعور إليه. عندئذٍ صعد فوقها، فانتابها القلق فسرت في جسدها رعشة. واستمر هو يداعبها قبل أن يدخل عضوه في فرجها، وبعد خمس دقائق أخرجه، وما إن نظرا إليه فإذا به أصابه ذلك السائل الأحمر، فهز الزبون رأسه تعبيراً عن الرضا، واطمأنت نيوشياولي. ثم أدخله مرة ثانية، ولكنها كانت أشد قوة من الأولى، وقد بدا كالثور الهائج، فشعرت باستثارة ثم بلذة، إلا أنها لم تكن تجرؤ على التعبير عن هذا الشعور أمامه. وراحت تفكر في قوة هذا الرجل الذي لم تهدأ ثورته لأكثر من ساعة كاملة، وراحت تقارن بينه وبين فينغ جين خوا الشاب في العشرينيات مقابل هذا الرجل الذي يبدو أنه تجاوز الخمسين. وبدأت تشعر بالألم في الجزء الأسفل من جسدها، ثم زاد الألم بنفس درجة شعورها عند ممارسة العلاقة لأول مرة وفض غشاء بكارتها من قبل فينغ جين خوا. ولكنها كانت مضطرة أن تتحمل. وأخيراً بدأت تسمع تنهداته، قبل أن يصيح بصوت مسموع:

- حبيبتي!

وأطلق داخلها سيلاً وكأنه مدفع رشاش. ثم استلقى فوقها، وبعد خمس دقائق أخرج عضوه منها وعليه آثار السائل الأحمر. ثم قبلها قبلة ونزل من فوقها قاصداً الحمام. وما إن عاد من الحمام، حتى ظنت نيوشياولي أنه سيبقى بالغرفة لبعض الوقت، ولكنه رآته يبدأ في ارتداء ملابس، ثم قال لها وهو يرتدي ملابسه:

- سأغادر الآن لانشغالي بأمور أخرى، ولك أن تستريح بعض الوقت.

ثم أدخل يده في جيبه، وأخرج رزمة من النقود، وكانت النقود غير

مرتبة حتى إنه لم ينظر إليها وإلى عددها، ووضعها على طاولة السرير
قائلاً:

- سيدفع لك أحدهم الأجرة المتفق عليها بعد قليل، أما هذه فهدية
إضافية مني.

وأضاف:

- معذرة لم أحمل معي الكثير من النقود.

وتابع:

- أمنياتي لوالدك بالشفاء العاجل.

فتأثرت نيوشياولي بسماع هذه الكلمات؛ لأن كل ما ذكرته عن والدها
كان كذباً، بينما اعتبره الرجل حقيقة. بل إن كل ما قالته خلال حديثهما
معاً كان كذباً، ولكنه صدقها في جميع ما قالت. ثم تذكرت فجأة أنها لم
تُصح وهي على السرير بقولها ”مؤلم“، ولكن الرجل لم يكتشف شيئاً.
وكانت تظن أنه سيجعلها تتألم بشدة على السرير، ولكن من يدرى
أنه كان لطيفاً معها من بداية اللقاء، وأنه ناداها في اللحظة الحاسمة
بـ”حبيبتي“، بل وأهداها مبلغاً إضافياً قبيل مغادرته. فنزلت من على
السرير وأخذت تساعد في غلق أزرار قميصه. فسألها الزبون:

- ما اسمك؟

فترددت بعض الشيء، ولم تعرف إذا ما كان عليها أن تخبره باسمها.
فتابع الزبون:

-لا عليكِ إذا كنتِ لا ترغيبين في ذلك، كما حدث في سؤالي عن مسقط
رأسك.

وبسبب تأثرها بكلامه قبل قليل، فلم ترغب في أن ترد بنفس الطريقة التي ردت بها على سؤاله عن مسقط رأسها بقولها ”إحدى المناطق الجبلية“، ولكن سوشوانغ أوصتها بعدم الإفصاح عن اسمها للزبون، وفجأة هداها تفكيرها إلى اسم ما، فقالت:

- اسمي سونغ تساي شيا.

فقال وهو يحتضن جسدها العاري:

- شكرًا لك يا تساي شيا، وإلى اللقاء.

ثم دفع الباب وغادر الغرفة.

وما إن غادر الزبون، حتى أسرع نيوشياولي إلى الحمام. أغلقت الباب بإحكام وأخرجت الإسفنجة الملوخة بالدم، فلاحظت أنها لا تزال تنزل منها قطرات دم، وأن الدم الذي كان بها قد اختلط بدمها هي، وظلت ممسكة بالإسفنجة بعض الوقت وهي مذهولة، وفجأة تذكرت شيئاً ما، فألقت بالإسفنجة وفتحت حقيبتها وأخرجت منها شريطين من الدواء، أخذت من كل شريط حبة واحدة، ثم مدت يدها وأخذت بزجاجة مياه معدنية مع فوق طاولة الحمام، وفتحت زجاجة المياه، إلا أنها ما إن همت بتناول الحبة الأولى حتى رأت شاشة هاتفها مضيئة داخل الحقيبة، وكانت سوشوانغ قد أوصتها عند مغادرة الفندق بعد ظهر اليوم بأن تجعل الهاتف في وضع الصامت، وما إن أمسكت بالهاتف حتى وجدت اتصالاً من فينغ جين خوا، فنظرت نظرة سريعة إلى سجل المكالمات فوجدته قد اتصل بها ست مرات متتالية. فوضعت الدواء وزجاجة المياه المعدنية، وردت على الاتصال. فجاءها صوت فينغ جين خوا غاضباً:

- أين أنت الآن؟ ولماذا لا تردين على الهاتف؟

- أبحث عن سونغ شيا، ولم أهتم بالرد على الهاتف.
- وهل عثرتَ عليها؟ يسأل فينغ جين خوا.
- أخيراً عثرت عليها اليوم بعد رحلة بحث استمرت خمسة عشر يوماً.
ترد.

فجاءها رد فينغ جين خوا متأثراً بسماع هذا الخبر:

- هذا ما كنت أتوقعه، وهل ستحصلين منها على المبلغ؟
- نناقش هذا الموضوع الآن. ردت نيوشياولي.

فقال فينغ جين خوا:

- هذا خبر سار جداً، ويجب أن أذهب لأخبر أخاك وبانجيو.
- ثم أغلق الهاتف. ولم تشعر نيوشياولي بأنها كذبت على فينغ جين خوا، فهي لم تعثر على سونغ تساي شيا طيلة الخمسة عشر يوماً الفائتة، وأخيراً عثرت عليها اليوم، بل وقالت للزبون إنها هي سونغ تساي شيا.

الفصل الثاني: لي آن بانغ

-1-

كان لي آن بانغ وجويوتشن صديقين مقربين قبل خمسة وعشرين عاماً. وبينما كان لي آن بانغ يشغل حينها منصب السكرتير الحزبي ببلدية ×× بمدينة ×× بمقاطعة ××، كان صديقه جويوتشن يشغل نفس المنصب بإحدى البلديات المجاورة. كانا يجتمعان على دعوات العشاء خلال اجتماعات سكرتارية البلديات على مستوى المدينة، وكان جويوتشن دائماً ما يسخر من لي آن بانغ. إذ كان لي آن بانغ ينحدر من الريف، وبعد التحاقه بالجامعة بدأ يترقى إلى أن وصل إلى منصبه الحالي، فقال جويوتشن وهو يشير إلى أصناف الطعام فوق الطاولة: وماذا ذقت أنت منذ صغرك أيها القروي؟ هيا تناول المزيد من هذه الأصناف. فرد لي آن بانغ السخرية بمثلها، فقال وهو يدخن سيجارة قاصداً جويوتشن، أما هو فقد كان منذ صغره من أبناء المسؤولين،

فكان والده عمدة إحدى البلديات، وقد ذاق جميع أصناف الطعام في مطاعم تلك البلدية. فهو أيضاً ينحدر من الريف، وقد تعرف في المرحلة المتوسطة على زميلة كانت ابنة لعمدة إحدى البلديات، وهذه كانت بدايته. فضج الملتفون حول الطاولة بالضحك. وكانت البلدية التي يعمل بها جويوتشن تشتهر بإنتاج فاكهة البوملي، وكلما حل عيد منتصف الخريف⁽⁴⁾، كان جويوتشن يرسل بعدد من الشاحنات المحملة بالبوملي إلى صديقه، فيوجهه لي أن بانغ بتقسيم نصف الكمية بين الموظفين في مختلف الدوائر بالبلدية، وتوزيع النصف الآخر على دور المسنين. فيما كانت البلدية التي يعمل بها لي أن بانغ تشتهر بإنتاج الكرفس، وكان لي أن بانغ في موسم حصاد الكرفس من كل عام، يرسل لبلدية جويوتشن عدداً من الشاحنات المحملة بالكرفس. وكانت البلديتان متجاورتين، وفي الماضي كانت كثيراً ما تحدث النزاعات بين القرى الواقعة على حدود البلديتين، بل وشهد أحد الأعوام سقوط قتيلين، الأمر الذي تعاملت معه حكومة المقاطعة بتوجيه إنذارات شديدة اللهجة لسكان المنطقة. ومنذ تولى كل من لي أن بانغ وجويوتشن منصبيهما، نجحا بالتعاون مع المسؤولين على مستوى القرى والنجوع وكذلك الأهالي، في ترسيم الحدود بين القرى الواقعة على حدود البلديتين، مع تعويض الأطراف المتضررة، وتمكنا من إنزال عقوبة السجن على بعض الأطراف المتزعمة لإشعال النزاعات. وفي عيد الربيع من كل عام، كان كل منهما يخرج على رأس وفد من أبناء بلديته لزيارة البلدية المجاورة وتقديم الهدايا من الخنازير والأغنام، فلم تحدث أي نزاعات بين البلديتين خلال العامين الفائتين. وفي الماضي، لم تكن

4- عيد منتصف الخريف: أحد الأعياد التقليدية الرئيسية في الصين، يصادف يوم الخامس عشر من الشهر القمري الثامن حسب التقويم القمري الصيني، وهو مناسبة مهمة للاستمتاع بجمال القمر وتناول كعك البدر الذي يشتهر به هذا العيد. (المترجم)

هناك حالات زواج متبادل بين أهالي البلديتين، في حين تغير هذا الوضع بعد عامين من توليهما المسؤولية، وانتشرت حالات الزواج المتبادل بين البلديتين. فإلى أي مدى وصلت العلاقة بين الصديقين في ما بعد؟ ذات يوم وجهت حكومة المقاطعة بإنشاء طريق سريع يمر من البلدية التي يتأسسها لي آن بانغ، وكانت هناك الكثير من الحيل للفوز بإنشاء هذا الطريق، حتى قدم أحدهم حقيبتين كبيرتين ممتلئتين بالمال للي آن بانغ طمعاً في الفوز بمناقصة إنشاء الطريق السريع. ولما لم يستطع آن لي بانغ أن يتوصل بمفرده إلى قرار بشأن الحقيبتين، فقد استقل سيارته عند الساعة الثانية فجراً متوجهاً إلى صديقه جويوتشن، وجلس الصديقان بمكتب جويوتشن يناقشان الأمر إلى أن ظهر ضوء الصباح. أما جويوتشن فكان معروفاً عنه ولعه بالنساء، فكان له في كل منطقة يعمل بها عدد منهن. وفي العام الثاني من عمله بهذه البلدية، تسبب في حمل إحدى الموظفات بمكتب سكرتير البلدية. فقصد جويوتشن صديقه لي آن بانغ لمناقشة هذه المشكلة، حتى توصل في النهاية إلى إرسال الفتاة إلى بلدية صديقه لي آن بانغ، على أن يتولى لي آن بانغ أمرها، فأجرى لها عملية إجهاض سرية بمشفى البلدية، ثم أرسلها إلى إحدى المزارع الحكومية النائبة لمدة شهر حتى تتعافى كلية، وانتظر حتى تعافت تماماً واستردت جمالها وأعادها إلى بلدية صديقه. وتولى الصديقان منصب سكرتير بلدية لمدة أربع سنوات، قبل أن يحصلوا في الوقت نفسه على الترقية لمنصب نائب رئيس مدينة. وعندما حانت لحظة مغادرة كل منهما لبلديته، ودعهم الأهالي بالهتاف "المسؤول النظيف"، كما التفوا حول سيارة كل منهما وتعالن أصوات البكاء حزناً على فراقهما، ولم يحدث أن تتجمع أهالي بلدية ما لتوديع رئيس بلدية أخرى على مستوى هذه المدينة، أو على مستوى المقاطعة أو حتى على

مستوى الصين كاملة، وقد نشرت صحيفة المقاطعة هذا الخبر في صدر صفحتها الأولى، وتناقله الأهالي لفترة كواحد من الأخبار السارة التي لا تنسى. وبعد ترقيهما إلى منصب نائب رئيس مدينة، كان مكتبهما يقع بالدور الثاني في مبنى حكومة المدينة، فكانا يلتقيان بصفة يومية، ويتحدثان في كل شيء٦.

فمتى بدأ الخلاف بينهما؟ كان ذلك بعد ثلاث سنوات من ترقيهما إلى منصب نائب رئيس مدينة. ففي شهر مايو من ذلك العام، حدثت حركة تعديلات كبيرة للمسؤولين كافة على مستوى المقاطعة، وأشارت التنبؤات الأولية إلى أن رئيس هذه المدينة سينتقل إلى مدينة أخرى للعمل كسكرتير حزبي لتلك المدينة، وأن النائب الدائم لرئيس المدينة سيترقى لمنصب رئيس المدينة، على أن يتم الاختيار من بين لي أن بانغ وجويوتشن لتولي منصب النائب الدائم لرئيس المدينة. وخلال فترة المتابعة التي حددتها حكومة المقاطعة للمسؤولين بهذه المدينة، وفي مساء أحد الأيام، استدعى رئيس المدينة لي أن بانغ إلى مكتبه، وأخبره بأنه سمع أن أحدهم ذهب خلال اليومين الماضيين إلى حكومة المقاطعة، وتحدث عن قبول لي أن بانغ رشوة مليوني يوان خلال فترة عمله رئيس بلدية xx مقابل الحصول على عطاء إنشاء طريق سريع، ثم سأله عن حقيقة الأمر. فما إن سمع لي أن بانغ هذا الكلام، حتى أحس بأن رأسه يكاد ينفجر. وهذا ليس فقط لأن الرقم الذي سمعه ليس صحيحًا، وإنما لأنه تحدث في هذا الموضوع آنذاك مع شخص واحد فقط، وهو جويوتشن. وبما أنهما يتنافسان الآن على منصب النائب الدائم لرئيس المدينة، فمن غيره سيتحدث في هذا الموضوع؟ كما أن قبول رشوة مليوني يوان ليس فقط سيمنعه من الترقى إلى منصب النائب الدائم لرئيس المدينة، بل إنها كفيلة بأن تزج به في السجن، فعلى

مدار عملهما معًا لمدة سبع أو ثماني سنوات، كانا صديقين حميمين، ولم يكن يتوقع أن يضمّر له صديقه كل هذا الشر. فلم يكتف لي أن بانغ بنفي هذا الكلام عنه، وإنما أفشى ما كان من جويوتشن مع نساء المناطق التي عمل بها. فقال لي أن بانغ بلهجة جادة:

- على من تحدث في أمر المليونى يوان تقديم الدليل على كلامه، وإذا لم يفعل فسيكون ذلك محض افتراء.

وأضاف:

- وإذا عجز هو عن تقديم الدليل، فبإمكاني تقديم الدليل على كلامي، فلديّ تقرير المشفى الذي أجرى عملية الإجهاض.

فغضب رئيس المدينة، وقال بأن تبادل الاتهامات بينهما فيه ضرر كبير لكليهما، وأن ذلك لن يؤثر على عدم ترقي أي منهما فحسب، بل سيكون له تأثير على ترقيه هو شخصيًا، فهل يمكن نفي المسؤولية عن رئيس مدينة يواجه اثنان من نوابه مثل هذه المشاكل؟ وسيكون الطرف الثالث هو الراجح بكل تأكيد، وستفوز مدينة أخرى من مدن هذه المقاطعة بفرص الترقي. وكان هدفه من استدعاء لي أن بانغ حثه على عدم تصديق كل ما يسمعه، كما أنه سيستدعي جويوتشن، ويطلب منه تجاهل هذه الوسوس، وإلا فإنه سيزيد الطين بلة، أما ما يتعلق بالجهات المعنية على مستوى المحافظة، فإنه سيتواصل معهم بنفسه. وقد ساعد تدخل رئيس المدينة في إخماد هذه العاصفة، فلم تؤثر هذه الشائعات على ترقي رئيس المدينة، كما لم تؤثر على ترقي لي أن بانغ وجويوتشن، فتولى لي أن بانغ منصب النائب الدائم لرئيس المدينة، بينما شغل جويوتشن نفس المنصب في مدينة أخرى وذلك وفق رغبة محددة سلفًا من الجهات المعنية على مستوى المحافظة. إلا أن هذه

العاصفة كانت سبباً لأن يدخل الحقد قلبيهما. وخلال الثمانية عشر عاماً التالية، سارت فرص ترقّي لي آن بانغ بشكل جيد وسلس، فبعد عامين من تولي منصب النائب الدائم لرئيس المدينة ترقّي إلى رئيس مدينة، وبعد ثلاثة أعوام إلى سكرتير المدينة، وقد ساعدته موهبته وقدراته والفرصة التي جاءت بعد خمس سنوات بحدوث حركة تعديلات على مستوى المقاطعة، فشارك في الانتخابات كمرشح لمنصب نائب محافظ المقاطعة، وبالرغم من ترشحه الرسمي في هذه الانتخابات، إلا أن اللجنة المنظمة استدعته وتحدثت معه حول كونه مجرد مرشح احتياطي، وأن اللجنة لديها مرشح آخر لهذا المنصب، وأنه غير مسموح له بتنظيم أي أنشطة لجمع الأصوات لصالحه، فالتزم لي آن بانغ بتوجيهات اللجنة ولم ينظم أي أنشطة تدعم ترشحه لهذا المنصب، ولم يسع لجمع الأصوات، ولكن كان للقدر رأي آخر، ففي اليوم السابق لبدء التصويت في هذه الانتخابات، ذهب أحدهم إلى بكين وقدم بلاغاً مباشراً ضد المرشح الآخر على منصب نائب محافظ المقاطعة، وذكر أنه خلال توليه منصب السكرتير الحزبي بإحدى المدن، تربح من منصبه وقبل رشوة بما يزيد على عشرين مليون يوان، ولم يكتفِ صاحب البلاغ بذكر اسمه فحسب، بل قدم الأدلة على صحة كلامه، فأولت الحكومة المركزية القضية اهتماماً بالغاً، وعبرت عن غضبها الشديد تجاه السكرتير الحزبي بالمقاطعة، فكيف يمكن له بعد اتهامه بقضية فساد كبرى كهذه الترشح لمنصب نائب محافظ المقاطعة؟ وهكذا فاز لي آن بانغ بمنصب نائب المحافظ بكل سهولة، وما إن أمضى خمس سنوات في منصب نائب المحافظ، حتى تمت ترقيته إلى منصب النائب الدائم للمحافظ. وعلى العكس من لي آن بانغ، فقد كان الطريق أمام جويوتشن مليئاً بالعثرات، فقد أمضى في منصب النائب الدائم لرئيس المدينة المجاورة مدة سبع سنوات، ثم

خمس سنوات في منصب رئيس المدينة ومثلها في منصب سكرتير المدينة، قبل أن ينتقل العام الماضي أخيراً إلى المقاطعة ليشغل منصب نائب مدير مكتب نواب الشعب على مستوى المقاطعة، وبالرغم من أن هذا المنصب بدرجة نائب محافظ، إلا أن صاحبه يتمتع بمسمى الوظيفة دون السلطات، حتى إن سلطاته الفعلية أقل من سلطات السكرتير الحزبي على مستوى المدينة. وفي المقابل كان صاحب منصب نائب المحافظ يتمتع بالمنصب والسلطات وذا كلمة مسموعة على مستوى المقاطعة، ومقارنة بما كانا عليه قبل ثمانية عشرة عاماً، فقد بلغ أحدهما عنان السماء بينما لم يبرح الآخر مكانه على الأرض، وبالرغم من أن لي أن بانغ كان يعلم أن الشماتة ليست من خصال أمثاله، إلا أنه ما إن علم بما وصل إليه حال جويوتشن حتى شعر في نفسه بأنه قد شفى غليله. بل وكان يردد في بعض الأحيان:

- الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان.

- ما أعدل الجهات العليا!

ولكن حدثت بعض التغيرات مؤخراً، والتي لم يكن لجويوتشن دور فيها. فعمل أحدهم بمكتب نواب الشعب يعني أنه سيبقى في منصبه حتى آخر حياته. في الوقت الذي شهدت فيه حياة لي أن بانغ الكثير من التغيرات الإيجابية، فكان أحد بلدياته من نفس البلدية التي ينحدر منها يعمل سكرتيراً بمكتب أحد القادة بكيين، وبالرغم من كونه سكرتيراً شاباً في الثلاثين من عمره، إلا أنه كان يتمتع بهذا المنصب في أحد المكاتب المهمة، وكان لي أن بانغ يهتم بعلاقته به اهتماماً كبيراً، فيما أنهما ينحدران من نفس البلدية، فقد يكون لوجوده في هذا المكان دوره لمساعدة بعض أقاربه. وبالرغم من إقامة هذا السكرتير الدائمة في

بكين، إلا أن أخته الكبرى وأخاه الأصغر كانا لا يزالان يقيمان بمسقط رأسيهما، وقد قام لي آن بانغ بزيارتهما بنفسه، ورتب لمن يحتاج منهما فرصة عمل ووجه بترقيته، ولم يخبر السكرتير بشيء مما قام به، إلا أن السكرتير عرف بالأمر من أخته وأخيه، وشعر بأن لي آن بانغ شخص لديه بُعد نظر وأنه جدير بالصدقة، وكان كلما علم بحركة تغيرات على مستوى الحكومة المركزية، يقوم بإبلاغ لي آن بانغ بالأمر من خلال الهاتف الأحمر⁽⁵⁾. وبالرغم من أنها مجرد تغيرات بسيطة، إلا أنها كانت بالنسبة للي آن بانغ ذات أهمية كبيرة في ترتيبه للخطوات القادمة في حياته العملية. فقبل خمسة عشر يومًا، أخبره السكرتير بأن سكرتير الحزب بهذه المقاطعة سوف ينتقل إلى منصب جديد بالحكومة المركزية، وبالتالي فإن محافظ المقاطعة سيترقى لمنصب سكرتير الحزب بذات المقاطعة، وأن الجهات العليا تدرس الآن الأسماء المرشحة لمنصب المحافظ، وأن هناك ثلاثة أسماء في دائرة الاهتمام، من بينهم لي آن بانغ نفسه. فما إن سمع لي آن بانغ بالخبر حتى زادت سرعة نبضات قلبه على مئة نبضة في الدقيقة الواحدة. فراح يعبر عن شكره لقيادات الحكومة المركزية على الرؤية الثاقبة واختياره ضمن قائمة المرشحين للمنصب، ومن جانب آخر كان يساوره قلق شديد لكونه أحد الثلاثة المرشحين، وبالتالي فإن فرصته في الفوز لا تتخطى ثلاثين بالمئة، ولا يعلم مَنْ ستختار القيادات لهذا المنصب. ثم حدثت المفاجأة التي لم يكن لي آن بانغ يتوقعها، فقد أخبره السكرتير الشاب أمس أن القيادة المركزية تخطط لاتخاذ قرارات عاجلة وصارمة في هذا الشأن، وأنها سوف ترسل بعد عشرة أيام فريق تحقيق لزيارة المقاطعة،

5- الهاتف الأحمر: هاتف أرضي يوجد بشكل رئيس بمكاتب قادة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، عادة من ينقلون من خلاله المعلومات السرية والمهمة. (المترجم).

وسيقوم الفريق بعمل التحقيقات اللازمة حول المرشحين الثلاثة، وسوف تؤثر نتائج هذه التحقيقات بشكل مباشر على قرار اللجنة المركزية، وسيترأس الفريق السيد ××× والذي يشغل منصب نائب وزير بإحدى الوزارات المركزية. وسأله هل تعلم من يكون السيد ×××؟ إنه أحد زملاء جويوتشن في الجامعة قبل خمسة وثلاثين عاماً. وبالرغم من الحالة المزرية التي وصل لها جويوتشن، إلا أن زميله هذا يشغل الآن هذا المنصب المهم بإحدى اللجان المركزية ببيكين. وهو نفس الشخص الذي كان اسمه يتردد على لسان جويوتشن عندما كانا يشغلان منصب سكرتير حزبي على مستوى البلدية قبل خمسة وعشرين عاماً، وكان السيد ××× آنذاك يشغل منصب عضو كبير بإحدى اللجان المركزية، ويعمل سكرتيراً بمكتب أحد القيادات المهمة مثل بلديات لي آن بانغ الشاب. وقد أخبره جويوتشن آنذاك أنه يفكر في تحديد موعد للسفر معه إلى بكين لزيارة السيد ××× الذي سيدعوها لزيارة جونغ ناني خاي⁽⁶⁾. وأخبره بأن العلاقة بينهما لم تكن مجرد زمالة أربع سنوات في الجامعة، بل كانت تجمعهما غرفة واحدة في السكن الجامعي. وهكذا لم يكن لي آن بانغ يتوقع أن تشاء الأقدار ويكون مصيره بيد زميل جويوتشن، وتظهر لجويوتشن فجأة هذه الأهمية في حياته. فبعد أن كان جويوتشن قد انتهى من سنوات بالنسبة للي آن بانغ، لم يكن يتوقع أن يبعث من جديد مستعيناً بروح زميله. فإذا لم يكن الأمر يتعلق بترشحه لمنصب محافظ المقاطعة، لكان كل منهما مضى في طريقه، فمستقبل لي آن بانغ الآن رهن النتائج التي سيتوصل إليها فريق التحقيق، وربما تكون هذه النتائج أول خطوة في طريق فوزه بالمنصب،

6- جونغ نان خاي: يقع في قلب العاصمة الصينية بكين أمام المدينة المحرمة، وهو المقر الرئيس للحزب الشيوعي الصيني ومجلس الدولة الصيني، والمجلس الوطني لنواب الشعب الصيني، واللجنة الدائمة للمجلس الاستشاري السياسي وغيرها من الجهات العليا في الصين. (المترجم)

ومن غير المؤكد أن يفوز به في حالة اجتياز تحقيقات الفريق، فقد يكون للجنة المركزية اعتبارات أخرى، أما إذا لم تجتز التحقيقات فلن تكون أمامك فرصة أمام اللجنة، بل إن نتائج التحقيقات التي ستتم حول المرشحين بهذه المقاطعة ستكون تحت رهن كلمة من ××× زميل جويوتشن، وهل يُعقل أن يزور السيد ××× المقاطعة دون أن يلتقي بزميله جويوتشن؟ وقد قيل إن ترقية جويوتشن العام الماضي من منصب السكرتير الحزبي بإحدى المدن إلى مدير مكتب نواب الشعب بالمقاطعة كانت بتوصية من ×××، وبالرغم من أن هذا المنصب دون سلطات وأنه سيخدم فيه حتى آخر حياته، إلا أنه يظل من قيادات المدينة بنسبة 95%، وأنه لن يبقى في نفس المكان عند بلوغه سن التقاعد، فإما أن يجد له مكاناً كمدير أو نائب مدير مكتب لإحدى لجان نواب الشعب أو اللجنة الاستشارية على مستوى المقاطعة، أو أنه يعضد مكانه في هذه المدينة قبيل التقاعد، وهل يمكن ألا يستفسر ××× من جويوتشن عند لقائه عن أحوال لي آن بانغ؟ وبما أن العلاقة بين لي آن بانغ وجويوتشن قد وصلت إلى ما وصلت إليه من العداء منذ ثمانية عشر عاماً، فهل يتوقع أن يذكره بأي خير؟ ولا داعي لأن يذكره بالخير، ترى هل سيتحدث عنه بكل شر؟ وما مدى الشر الذي سيخصه به؟ فقد اتهمه في ذلك العام بقبول رشوة مليوني يوان من أجل الترشح لمنصب النائب الدائم لرئيس المدينة، وكان يخطط للزج به في السجن، وبما أن الأمر الآن يتعلق بمنصب محافظ المقاطعة، ترى هل سيتهمه برشوة عشرين مليون يوان، ويسعى للحكم عليه بالسجن مدى الحياة؟ وبالنظر إلى ما واجهه جويوتشن من تعثر في مسار حياته العملية، فإنه قد يكون الآن لا يخشى على شيء أكثر مما كان عليه قبل ثمانية عشر عاماً، ومن ثم فإن ترشح لي آن بانغ للمنصب الآن قد أصبح في قبضة

جويوتشن. بل إن ما يزعجه بشكل أكبر أنه لا يجروء على التقدم بشكوى ضده. وبعد التجربة التي تعرض لها مع جويوتشن قبل ثمانية عشرة عامًا، لم يعد للي آن بانغ صديق حميم في حياته. فماذا يفعل في هذه اللحظة المصيرية في حياته؟ فوضع سماعة الهاتف، وخاصم النوم جفنيه. ومرت الليلة دون أن يصل لقرار، وفي صباح اليوم التالي، تغيب عن اجتماع لمكتب حماية البيئة بالمقاطعة، وأمر السائق أن يقله إلى إحدى الضواحي خارج عاصمة المقاطعة، وصعد جبل روفنغ. وكان الجبل يقع على مسافة عشرة كيلومترات جنوب شرق عاصمة المقاطعة، وتعود تسميته بهذا الاسم نظرًا للشبه بين تكوينه وبين الثدي. وهو أعلى قمة جبلية على مستوى المقاطعة. وهناك منطقة مستوية عند قمته، وبإمكان المرء أن يستمتع من هناك بالمدينة كاملة، بحيث تبدو هذه المدينة الكبيرة أمامه كلوحة طفولية. وكان لي آن بانغ منذ قدومه للعمل بهذه المقاطعة، يفضل صعود هذا الجبل للتفكير في أي مشكلة تواجهه، إلا أن موضوع أو مشكلة اليوم تختلف عن غيرها، فلا مجال للتفكير فيها من أي زاوية، فإذا رغب لي آن بانغ في الترقى والفوز بمنصب المحافظ، فإنه لن يفلت من قبضة فريق التحقيق المركزي، وهذا بدوره يعني أنه لن يفلت من قبضة جويوتشن الذي سيستغل الفرصة للحديث عنه أمام xxx بكل سوء، فهو بالتأكيد يضمر له من الحقد أضعاف ما كان يضمره قبل ثمانية عشر عامًا، بل ومن المحتمل أن هذا الحقد قد زاد مع كل فرصة ترقية حصل عليها لي آن بانغ خلال الثمانية عشر عامًا الأخيرة. فما إن يبدأ الحديث عنه سيتهمه باختلاس خمسين مليون يوان، ولكن لي آن بانغ لا يخشى هذا بقدر ما يخشى أن يؤدي ما سقوله جويوتشن إلى فتح الكثير من الملفات وتعظيم الأمور البسيطة لإظهارها في شكل قضايا كبرى، عندئذٍ فإن لي آن بانغ لن يحصل على منصب

المحافظ فحسب، بل سيكون من الصعب القول بإمكانية أن يحافظ على منصبه الحالي. فما يشغل تفكير لي آن بانغ الآن هو التفكير في وضع حد لهذا الأمر قبل أن يصل إلى عواقب وخيمة، وتحويل العناصر السلبية إلى إيجابية وتحسين الصورة ككل. ولكن كيف يتمكن من تحقيق هذا الهدف خلال هذه الفترة القصيرة، ورأب الصدع الذي اتسع بينه وبين صديقه القديم جويوتشن، بل ويفضل أن يسعى للتخلص من مشاعر الحقد والكراهية، واستعادة تلك العلاقة الحميمة التي كانت بينهما عندما كانا يشغلان منصب سكرتير حزبي ببلدية قبل خمسة وعشرين عاماً، وإن كان يعلم في قرارة نفسه صعوبة تحقيق ذلك ومحو حقد ثمانية عشر عاماً خلال عشرة أيام فقط، وأنه إذا لم ينجح في تحقيق هذا الهدف، فقد يكفيه إعادة العلاقة بينهما إلى درجة معقولة، وأنه لن يطلب من جويوتشن أن يمتدحه، فقط سيطلب منه عدم تشويه صورته، ولن يطالبه بأن يحكم عليه وفق معايير الحزب الشيوعي وتحقيق مصالح شخصية على حسابه، فقط سيطلبه بأن يتحلى بقدر من المشاعر الإنسانية ولا يلفق له التهم. فكيف يتمكن من إصلاح كل ما فسد بينهما طيلة ثمانية عشر عاماً خلال عشرة أيام فقط؟ وكيف يمكن خلال هذه الفترة القصيرة تحسين صورة أحدهم من إنسان شرير إلى آخر يتحلى بمكارم الأخلاق؟ هكذا أمضى لي آن بانغ فترة الصباح كاملة فوق جبل روشان إلى أن علت الشمس، دون أن يهتدي لطريقة مناسبة يستعيد بها علاقته بجويوتشن. وفي تلك الأثناء، صعدت الجبل إحدى السيارات الخاصة، وبدأت تقترب منه شيئاً فشيئاً، حتى تبين له أنها من طراز السيارات المرسيديس الفارهة، فبالرغم من كونه أحد القيادات على مستوى المقاطعة، إلا أن اللوائح تسمح له بسيارة أودي، وبالتالي فإن صاحب هذه السيارة الفارهة التي صعدت الجبل بالتأكد

أحد أثرياء المقاطعة. وشيئاً فشيئاً تقدمت السيارة الفارهة إلى مساحة فارغة على سطح قمة جبل روشان، وما إن فُتح باب السيارة، حتى قفزت منها كلبة كبيرة، ثم جرو صغير، ثم راحا يمرحان سوياً، قبل أن تنزل من السيارة سيدة تبدو في مطلع الثلاثينيات في كامل زينتها، فما إن ألقى عليها نظرة حتى خمن أنها سيدة ثرية أو عشيقة أحد أثرياء المقاطعة. فرغب سائق لي أن بانغ التقدم ليعترض طريقها هي وكلبيها، خشية أن يقتربوا أكثر من ذلك ويقطعوا حبل أفكار لي أن بانغ، إلا أن لي أن بانغ ما إن رأى الكلبين، حتى بدأ ذهنه يتفتح، واتضحت أمامه الرؤية فجأة، وقد بدا أن العلاقة بين الكلبين علاقة أم بصغيرها أو أم بصغيرتها، فراح الكلبان يجريان هنا وهناك، ثم ارتمى الكلب الصغير تحت أمه للرضاعة، فالتقط لهما لي أن بانغ صورة بهاتفه، ثم قال للسائق:

”هيا بنا الآن نزل ونفسح لهم المكان“.

-2-

وبعد ظهر اليوم نفسه، تلقى مكتب حكومة مدينة xx بالمقاطعة خطاباً من مكتب حكومة المقاطعة، يفيد بأن السيد لي آن بانغ النائب الدائم للمحافظ سوف يصل في تمام التاسعة من صباح اليوم التالي لتفقد الحقول النموذجية التي تستخدم الري بالتنقيط بلدية xx بهذه المدينة. فقامت حكومة المدينة بإبلاغ سكرتارية المدينة بأمر الخطاب. وفي تمام الثامنة من صباح اليوم الثالث، خرج يوده شوي السكرتير الحزبي بالمدينة على رأس وفد يضم رئيس المدينة وعدداً من القيادات لاستقبال وفد المقاطعة عند مدخل المدينة. وبعد نحو نصف ساعة، وصل موكب لي آن بانغ والوفد المرافق له. وما إن نزل لي آن بانغ والوفد المرافق له من سياراتهم، حتى قام لي آن بانغ بمصافحة قيادات المدينة، واصطحب السكرتير يوده شوي معه في سيارته، ثم انطلق الموكب متجهاً إلى بلدية xx، لتفقد الحقول النموذجية التي تستخدم الري بالتنقيط. وفي السيارة، كان يوده شوي ينظر إلى لي آن بانغ مسروراً. فسأله لي آن بانغ:

- ما كل هذه السعادة يا لاوله، هل تزوجت ثانية؟

- بل سمعت خبراً ساراً. يرد يوده شوي.

- أي خبر؟

- سمعت أن السيد ماو السكرتير الحزبي بالمقاطعة سيترقى لمنصب جديد.

فذهل لي آن بانغ، وقال في نفسه كيف وصل الخبر إلى المدينة وهو

لا يزال طور الدراسة عند القيادة المركزية، يبدو أن نشر الخبر بهذه السرعة خير دليل على أن الصين بلد بلا أسرار، ولكنه قال متظاهراً بعدم علمه بالأمر:

- وكيف لم أعلم بمثل هذا الخبر؟

- ولكنني علمت به، بل وسمعت أن المحافظ جيو سيتولي منصب السكرتير بعد مغادرة السكرتير ماو، إذًا مَنْ سيتولى منصب المحافظ بعد ترقية السيد جيو؟ يقول يوده شوي:

- لك أن تسأل اللجنة المركزية. قلت.

- لقد سألتها بالفعل، وأخبرتني أن مَنْ سيتولى منصب المحافظ واضح للجميع، أليس كذلك؟

وكان يقصد بقوله "واضح" أن الشخص المناسب هو لي آن بانغ، فشعر لي آن بانغ بشيء من السعادة، وقد بدا له أن حصوله على هذا المنصب يحظى بتأييد شعبي هذا من جانب، ومن جانب آخر راح يتهدد ويقول في نفسه وما قيمة التأييد الشعبي للحصول على منصب في الصين؟ فليس هناك أدنى علاقة بين إمكانية فوزه بمنصب المحافظ وبين التأييد الشعبي، وإنما الأمر برمته بيد اللجنة المركزية، في حين أن هناك علاقة وثيقة بين رؤية اللجنة والنتيجة التي سينتهي إليها فريق التحقيق، وَمَنْ يعلم أن وراء هذا الفريق عدواً قديماً اسمه جويوتشن؟ أما يوده شوي فلا يرى الصورة كاملة. فقال لي آن بانغ ليغير الموضوع:

- وماذا عن استعمال معدات الري بالتنقيط في بلدية xx؟

وكانت هذه المعدات جزءاً من مشروع تعاون نفذته الصين مع

إسرائيل العام الماضي، وقد أتى بها إلى هنا لي أن بانغ العام الماضي من وزارة الزراعة، حيث كانت الوزارة تستهدف تجربتها في المناطق الجبلية بجنوب غرب البلاد، وبما أن معظم أراضي بلدية ×× جبلية، فقد وجه لي أن بانغ بتنفيذ هذا المشروع ببلدية ××، ومن الطبيعي أن يأتي اليوم لتفقد المشروع. فقال يوده شوي:

- لقد حقق الفلاحون من ورائها مكاسب كبيرة، فهل تعلم أكبر مشكلة يواجهها الفلاحون في زراعة الأراضي الجبلية؟ إنها الري، حيث تكون هناك صعوبة كبيرة في صعود المياه لأعلى، وقد ساعد الري بالتنقيط على زيادة المحصول أكثر من الضعفين.

فسأله لي أن بانغ:

- وهل لا يزال هناك لصوص يسرقون المعدات؟

فبعد وصولها إلى هذه البلدية العام الماضي، لم تحظ هذه الأنابيب البلاستيكية الصغيرة التي تشبه بيوت العنكبوت بثقة الفلاحين، واشتكوا منها، ورفضوا تجربتها في حقولهم، حتى تدخلت الإدارة المالية على مستوى المدينة والبلدية وقدموا لهم الدعم المالي، حتى قبل عدد من الفلاحين توصيلها وتجربتها في حقولهم، ولم يكن أحد يتوقع أن يصل الأمر بالبعض لسرقة هذه الأنابيب في ظلمة الليل وبيعها لمستودع النفايات كبلاستيك خردة. قال يوده شوي:

- تم القبض على أكثر من عشرة أفراد، وتم الحكم عليهم بالسجن لأكثر من ثلاث سنوات، وواجهنا المشكلة بفرض العقوبات الرادعة، ولا أحد يجرو الآن على السرقة.

استمر الحديث بينهما إلى أن وصلت السيارة حدود بلدية ××، وكان

سكرتير البلدية ورئيس البلدية قد خرجا على رأس عدد كبير من القيادات لاستقبالهم. فنزل لي آن بانغ من سيارته وصافح قيادات البلدية فردًا فردًا، ثم استقلوا السيارات في طريقهم لتفقد معدات الري بالتنقيط بقرية ×× ببلدية ××. وما إن وصلوا إلى قرية ××، حتى عبرت السيارات أحد الجسور لتصل إلى الحقول النموذجية التي تعمل بمعدات الري بالتنقيط. وعلى جانب الحقول، كان هناك جمع من القيادات على مستوى القرية والنجوع التابعة لها والذين صافحهم لي آن بانغ فردًا فردًا. وكانت أنابيب المعدات مركبة في الحقول بإحكام واضح مثل شرايين الجسد. فقام القائمون على تشغيلها بفتحها، ثم تقدم لي آن بانغ وانبطح على الأرض وأخذ يتفحص الأنابيب البلاستيكية ويستمع إلى صوت جريان الماء بداخلها، ويتابع وصولها إلى جذور المزروعات بصمت، حتى لا يكاد الإنسان يلاحظ من بعيد أن هذه الحقول تخضع الآن للري. وبعد أن تابع لي آن بانغ عمل الأنابيب، نهض وقال وهو يمسح يديه:

- حقًا، ما أجمل العمل في صمت.

فنهض الجميع معه وهم يضحكون. وقال سكرتير البلدية:

- لقد كنا نتوسل إلى الفلاحين العام الماضي ليوافقوا على تركيبها في حقولهم، والآن يشكونا الذين لم يحصلوا عليها من بينهم، ويقولون إنهم تعرضوا للظلم من حكومة البلدية.

فضحك لي آن بانغ، ثم ضج الجميع بالضحك. قبل أن يقول لي آن بانغ:

- وقد جئت اليوم لاختبار التربة الحمضية، والتأكد من تلف الأنابيب

من عدمه، ويبدو لي الآن أنه ليس ثمة تأثير كبير.

وهذا ما كان يثير قلق خبراء وزارة الزراعة، حيث تمت تجربة هذه المعدات من قبل في التربة متوسطة الملوحة والتربة القلوية، في حين تنتمي أراضي هذه البلدية للتربة الحامضية. وقد رأى لي أن بانغ قبل قليل أن الأنابيب جافة ولم تتعرض لأي تلف أو تآكل. فقال الجميع في صوت واحد:

- مناسبة، ولا يوجد أي تأثير.

فقال لي أن بانغ:

- يبدو أنه بإمكاننا التوسع في المساحات التي تستخدم هذه المعدات.

- أجل، يمكننا ذلك، يمكننا ذلك. قالوا في صوت واحد.

عندئذٍ أقترح سكرتير المدينة يوده شوي، بما أن الوفد قام بتفقد معدات الري بالتنقيط، فإنه يقترح زيارة حقول معدات الري بالرش، وكان لي أن بانغ قد اجتهد في الحصول عليها هذا العام من وزارة الزراعة، والتي كانت ضمن مشروع تعاون مشترك بين الاتحاد الأوربي والصين، وكانت وزارة الزراعة تستهدف تجربة الأراضي المنحدرة، حيث إن الجزء الشرقي من بلدية ×× أرض جبلية، في حين ينتمي غرب البلدية إلى الأراضي شديدة الانحدار، فوجه لي أن بانغ بتجربة معدات الري بالرش في الأراضي المنحدرة في الجزء الغربي من بلدية ××، وحافظ على أن تتم التجارب في بلدية واحدة، لتيسير عملية تفقدها وإدارتها. فقال لي أن بانغ:

- جئت هذه المرة بهدف تفقد معدات الري بالتنقيط، ولم أكن أخطط

لزيارة حقول الري بالرش؛ لأن هذه المعدات لا ترتبط بتربة معينة، ولكن بما أن السكرتير يو رتب لذلك، فمَنْ يجرؤ على مخالفة رأيه؟ وسوف نقوم بزيارة معدات الري بالرش وفق توجيهات السكرتير يو.

فضحك يوده شوي، ثم ضحك الجميع. وصعد الجميع السيارات دون قيادات هذه القرية وتوابعها، وانطلقوا من شرق البلدية إلى غربها، ومروا في طريقهم بعاصمة البلدية، وعند مرور الموكب بالجزء الغربي من عاصمة البلدية، اعترضتهم مجموعة من المتسولين، فاعتقد لي أن بانغ أن وراءهم تجمعا جماهيريا، فنزل من سيارته للوقوف على حقيقة الأمر. فإذا بها سيدة في منتصف العمر تجلس في منتصف الطريق تبكي وهي جاثية على ركبتها، وقد تجمع حولها حشد كبير من الناس للفرجة. وبالرغم من تأكده من أن هذا التجمع ليس وراءه احتشاد جماهيري، إلا أن لي أن بانغ تقدم وتجاوز الجميع حتى وصل إلى السيدة ليسألها عن أمرها. فيما بدا التوتر الشديد على وجهي سكرتير ورئيس هذه البلدية. فسألها لي أن بانغ:

- ماذا بك يا أختي؟

ولم تستمع المرأة لسؤال لي أن بانغ وقد كانت منهمكة في البكاء، فتدخل يوده شوي وقال وهو يدفع المرأة:

- إنه يسألك عن سبب بكائك يا أختي؟

وهنا رفعت المرأة وجهها، وذكرت بأنها تنحدر من إحدى القرى التابعة لبلدية xx، وأنها جاءت صباح اليوم إلى عاصمة البلدية لشراء الدواء لزوجها المريض، ولم تكن تتوقع أنها قبل وصولها إلى المشفى، يتم سرقة ألفي يوان من جيبها، وبهذا فإنها لن تتمكن من شراء الدواء،

بل في غاية الخوف لأن يضربها زوجها عند عودتها إلى البيت، وهذا سبب بكائها. وما إن استمع لي آن بانغ إلى المرأة، حتى أخرج كل ما في جيبه من نقود، ومَنْ يدري أنه كان يحتكم على ثلاثمئة يوان فقط، ثم مد يده ليوده شوي قائلاً:

- أقرضني ألفاً وسبعمئة يوان يا لاويو، وسأعيدها لك لاحقاً.

فأخرج يوده شوي محفظته في عجلة، وأخرج منها مئتي يوان فقط، هذا لأنهم في المعتاد لم يكونوا من المبدرين، ولهذا لم يحملوا الكثير من المال، ثم أخرج كل من رئيس المدينة وسكرتير البلدية ورئيس البلدية ما في جيوبهم، هكذا حتى تم جمع مبلغ ألفي يوان من جيوب هذه القيادات الخمسة، فقدم لي آن بانغ المبلغ للمرأة. وما إن أمسكت المرأة بالمال حتى أخذت تعبر للي آن بانغ عن شكرها، قبل أن تفر مسرعة، حتى إنها لم تسأل عن هوية هؤلاء الذين جمعوا لها المبلغ. فقال رئيس هذه البلدية:

- قد تكون كاذبة.

فما إن سمع لي آن بانغ تعليقه، حتى قال مستاءً:

- وكيف تتهمها بالكذب دون أن تملك الدليل؟

وأضاف:

- حتى إذا كانت كاذبة، فإنها على أي حال فقيرة. فلماذا لم تأت زوجتك للبكاء هنا؟

ثم قال ليوده شوي:

- ربما لا أتحمل دموع الفقراء بسبب نشأتي الريفية.

فقال رئيس هذه البلدية وقد احمرت وجنتاه حرَجًا:

- معذرة لقد أخطأت يا سيادة المحافظ لي.

وقال يوده شوي وهو يشير إلى رئيس البلدية محاولاً تلطيف الأجواء:

- هذا يعود إلى مشاعره الطبقية، فهو ينحدر من عائلة إقطاعية، وأرى أن يدعونا اليوم لتناول الغداء.

فضحك الجميع، وقال رئيس البلدية:

- سأصدر توجيهاتي فوراً لمكتب الأمن بالقبض على اللص.

فقال يوده شوي:

- وهذا هو المطلوب.

ثم أخرج رئيس البلدية هاتفه ليجري اتصالاً بأحدهم. واستقل الجميع السيارات متوجهين إلى غرب البلدية. وانطلقت السيارات عبر الطرق الجبلية، سارت لأكثر من ساعة حتى توقفت أخيراً أمام منحدر جبلي. ليجدوا قيادات هذه القرية وتوابعها في انتظارهم. وما إن لمحو الموكب حتى فتحو معدات الري بالرش، لتنطلق مئات المدافع الرشاشة تلقي بالماء وتدور في جميع الاتجاهات، حتى غطت المياه المنحدر. وبلل الماء المزروعات، كما بدا الماء يبرق تحت ضوء الشمس فظهرت ألوان قوس قزح في منظر بديع. فقال يوده شوي وهو يشير إلى قوس قزح:

- صدق من قال انسب الفضل لأهله، ففي ظل توفر معدات الري هنا،

فإن الأهالي لا يمكن أن ينسوا فضل لي أن بانغ في ذلك.

فصفق الجميع. وقال لي أن بانغ:

- دعكم من خطب لاويو، وإذا كان من شكر فيجب أن تشكروا
السكرتير ماو، فهو الذي أرسلني إلى بكين مطلع العام للحصول على
هذه المعدات.

فصفق الجميع من جديد. ثم وقفوا يستمتعون بحلقات قوس قزح، ثم
المناظر الجميلة على المنحدر، قبل أن يستقلوا السيارات في طريقهم
لتناول الغداء بهذه البلدية. وفي الطريق إلى عاصمة البلدية، استقل لي
آن بانغ ويوده شوي سيارة واحدة. فسأل لي آن بانغ يوده شوي وكأنه
قد تذكر شيئاً ما فجأة:

- تذكرت فجأة مسقط رأس المدير جو، إنه في هذه البلدية أليس
كذلك؟

- ومَن تقصد بالمدير جو؟ سأل يوده شوي.

- جويوتشن مدير مكتب نواب الشعب بالمقاطعة. رد لي آن بانغ.

فتذكره يوده شوي، ثم هز رأسه بالإيجاب.

وتابع لي آن بانغ:

- ومَن من أهله لا يزال يقيم هنا؟

- توفت والدته العام قبل الماضي، ولا يزال والده على قيد الحياة. رد
يوده شوي.

- طالما أننا في هذه البلدية، فما رأيك أن نذهب لزيارة الشيخ بعد
تناول الغداء. قال لي آن بانغ.

وكان لي آن بانغ قد وجه آنذاك بتجربة معدات الري بالتنقيط والري

بالرش بهذه البلدية انطلاقاً من رؤيته كمسؤول فقط، وكان قد نسي أنها مسقط رأس جويوتشن، وربما كان قد غير رأيه وأرسلها إلى بلدية أخرى إذا تذكر أنها مسقط رأس جويوتشن، فلم يتصور أن عدم انتباهه للأمر آنذاك، عاد عليه بهذه الفائدة اليوم. ولكن من يدرى أن يوده شوي بمجرد علمه برغبة لي آن بانغ في زيارة والد جويوتشن، قطب حاجبيه وكأنه يخفي شيئاً. فقال لي آن بانغ:

- ماذا بك؟

- أرى أنه لا داعي لهذه الزيارة. قال يوده شوي.

- ماذا تقصد؟ يقول لي آن بانغ مذهولاً.

- أخشى أن يحدث منه ما يزعجك. يرد يوده شوي.

فقال لي آن بانغ وهو لم يفهم قصده بعد:

- ماذا تقصد؟

- إن والد المدير جو ليس شخصاً عادياً. فهو يستغل منصب ابنه ويقوم بالسمسة في الدعاوى القضائية في القرية، ويعلن الدعم لمؤيديه والموت لمعارضيه، فهو مصدر إزعاج كبير لحكومة البلدية ولي شخصياً. قال يوده شوي.

وأضاف:

- فهذا الرجل الذي تجاوز الثمانين لم أر في حياتي رجلاً مثله لا يحترم سنه.

فقال لي آن بانغ مندهشاً:

- وهل يعلم المدير جو بما تقول؟

- المدير جو يخاف من والده منذ صغره، وهذه العلاقة بين الرجل وابنه مستمرة حتى يومنا هذا.

- مستحيل! قال لي آن بانغ متشككاً.

فهمس له يوده شوي قائلاً:

- وقد سمعت من أحد أهالي البلدية، أنه خلال زيارة للمدير جو لمسقط رأسه، شاهد تجمع الأهالي حول والده فلم يتفوه بكلمة واحدة يدافع عنه، فما كان من الشيخ إلا أن صفعه على وجهه.

فأصيب لي آن بانغ بدهشة كبيرة، فلم يكن ليتخيل أن هناك مَنْ بإمكانه السيطرة على جويوتشن هذا الشخص الخبيث، وأنه ليس بإنسان غريب إنما والده. بل ولم يتخيل أن جويوتشن ما إن يعود إلى مسقط رأسه حتى يخضع للأعراف الإقطاعية. ثم شعر لي آن بانغ بشيء من السعادة في قرارة نفسه، وأنه أصاب بزيارته لبلدية xx. لكنه فجأة تذكر شيئاً ما، فقال متشككاً:

- هذا غير صحيح! سمعت من قبل أن والد المدير جو كان عمدة لإحدى القرى، فكيف تصدر منه هذه التصرفات؟

- ومَنْ أخبرك بهذا؟ يسأل يوده شوي.

- المدير جو نفسه. فقبل خمسة وعشرين عامًا، عندما كنت أنا وهو نعمل في وظيفة سكرتير لإحدى البلديات، كان كثيرًا ما يسخر مني، ويقول بأنني قروي ساذج لم يرَ الدنيا، أما هو فوالده عمدة سابق، فهو من أبناء القيادات. رد لي آن بانغ.

فانفجر يوده شوي ضاحكًا:

- لقد كذب عليك، فقد كان والده يعمل جزارًا.

فانفجر لي آن بانغ في الضحك أيضًا، بعد أن عرف أن جويوتشن قد كذب عليه عندما كانا أصدقاء قبل خمسة وعشرين عامًا، وأنه لم يسلم من كذبه لسنوات طويلة. فهمس له يوده شوي من جديد:

- ولكن المدير جو انتقل إلى مكتب نواب الشعب، فما سر اهتمامك

به؟

فشك لي آن بانغ أن يوده شوي يعلم بخلافه مع جويوتشن، فقد وقع بينهما هذا الخلاف منذ ثمانية عشر عامًا، ومن الطبيعي أن يعلم به البعض، وأنه يتعمد السخرية من جويوتشن ووالده للتعبير عن موقفه أمام لي آن بانغ. ولكن يوده شوي لا يعلم الحقيقة كاملة، فقط يعلم بأن هناك خلافًا بينه وبين جويوتشن، ولا يعلم أن لي آن بانغ يسعى الآن لحل هذا الخلاف، فقط يعلم بأهمية منصب لي آن بانغ مقابل منصب جويوتشن، ولكن لا يعلم بالأهمية الحالية لجويوتشن بالنسبة للي آن بانغ. فقال لي آن بانغ:

- تراجع المدير جو إلى قيادات الصف الثاني هو الدافع الرئيس لهذه الزيارة، ولم أكن أفعل ذلك إذا كان لا يزال ضمن قيادات الصف الأول.

وتابع:

- وبالرغم من هذا الخصام الذي بيني وبينه الآن، فقد كنا أصدقاء مقربين قبل خمسة وعشرين عامًا، فيجب أن نصفني نفوسنا تجاه بعضنا بعد أن تقدم بنا العمر.

فذهُل يوده شوي. وفكر للحظة قبل أن يغير رأيه كلية ويقول له وهو يشير بالإبهام تعبيراً عن الإعجاب:

- قلبك كبير.

ولم يعرف إذا ما كان يشير بقوله قلبك كبير إلى موقفه من تراجع جويوتشن في منصبه من عدمه، أم إلى رغبته في نسيان ما كان بينه وبين جويوتشن من خلاف. وبعد تناول وجبة الغداء، انطلق الموكب إلى مسقط رأس جويوتشن بقرية ××. وما إن وصلوا إلى هناك ودخلوا البيت، والتقى لي آن بانغ بوالد جويوتشن، حتى تأكد من صحة ما قاله عنه يوده شوي، فإذا به أمام شيخ كبير متعجرف. وكانت حكومة هذه البلدية قد ملأت حقيبة السيارة ببعض الهدايا من السجائر، النبيذ، الأرز، الزيت، المشروبات وفخذتي خنزير وغيرها من الأشياء، وما إن دخلوا عتبة البيت، حتى قدم يوده شوي لي آن بانغ للشيخ قائلاً:

- هذا هو المحافظ لي جاء لزيارتك أيها العم.

وبينما انشغل لي آن بانغ بالسلام على الرجل، قام عدد من مرافقيه القادمين من البلدية بحمل الهدايا إلى الداخل، فألقى الشيخ نظرة على الهدايا، ثم قال وهو يشير إلى سكرتير البلدية:

- أنت رجل خسيس.

- ماذا حدث أيها العم؟ قال سكرتير البلدية مذهولاً.

- إذا لم تأت اليوم مع قيادات المقاطعة، لم أكن لأرى وجهك لشهر كامل، فما الذي جاء بك اليوم لزيارتي أم لرؤية هؤلاء المسؤولين؟ قال الشيخ.

فرد سكرتير المدينة وقد احمرت وجنتاه من الخجل:

- أرجو المعذرة أيها العم، فهذا بسبب انشغالي مؤخرًا.

- وأنت أيها المحافظ هل أنت المحافظ نفسه أم أحد نوابه؟ قال وهو يشير إلى لي أن بانغ.

فعرف لي أن بانغ أن الرجل لا يشاهد التلفاز، ذلك لأنه كثير الظهور في النشرات الإخبارية في محطة تلفزيون المقاطعة. وما إن هم يوده شوي بالتدخل لتوضيح الأمر، حتى أسكته لي أن بانغ وقال:

- نعم أيها العم، أنا نائب المحافظ.

- معنى هذا أنك على نفس درجة جويوتشن الوظيفية؟

فرد لي أن بانغ في عجالة:

- المدير جو يعمل بمكتب نواب الشعب، وحكومة المقاطعة تعمل تحت قيادة مكتب نواب الشعب، ومن ثم فأنا أعمل تحت قيادة المدير جو.

وكان كلام لي أن بانغ منطقيًا من الناحية النظرية، ولكنه مخالف تمامًا من الناحية القانونية، فرقابة مكتب نواب الشعب على حكومة المقاطعة أمر جارٍ تجربته. وهنا قال الشيخ:

- طالما أن الأمر هكذا، فهذا يعني أنك جئت اليوم تطلب توسطي في أمر ما.

فلاحظ يوده شوي أن الشيخ بدأ يتجاوز حدوده، فقال في عجالة:

- أيها العم، إن المحافظ لي جاء اليوم لزيارتك، فهو صديق حميم للمدير جو.

فقال الشيخ:

- وكيف لم يحدثني ابني عنه؟

ثم قال وهو يشير إلى لي أن بانغ:

- البشر تحركهم المصالح، وهو يمنعه الحرج من قول الحقيقة.

فقال لي أن بانغ في نفسه أن الرجل جانب الصواب في ما قال. ثم

تابع:

- نعم أيها العم، سأتي لزيارتك إذا احتجت لأي شيء في ما بعد.

فقال الشيخ وهو يمسح بيده على بطنه:

- طالما جئت لزيارتي، فهذا تعبير عن احترامك لي، وسيكون لك ما

تطلب من يوتشن، وإذا كنت تخجل أن تطلب منه بنفسك، فسأساعدك لأنه يسمع كلامي.

فوجد الجميع أنفسهم في موقف لا يحسدون عليه، بينما قال لي أن

بانغ:

- بالتأكيد أيها العم.

ثم بدأ لي أن بانغ يشعر بأن هذا الشيخ إنسان صادق وصريح، أو

بمعنى آخر أنه يرى العالم بعينه هو فقط، وأن هذا هو السبب الرئيس

في غروره. وهذا هو أيضاً ما ساعد في تحقيق النتيجة التي يطمح إليها

لي أن بانغ، وقلص الفجوة بينهما بشكل كبير، فإذا كان الشيخ من

هؤلاء الحكماء، لتحول الأمر إلى مسرحية يتبادل فيها الطرفان عبارات

المجاملة، وكان اللقاء زيارة عابرة بما تحمل معنى الكلمة. ثم بدأ لي

آن بانغ يشعر بشيء من التعاطف تجاه جويوتشن، فهذه هي زيارته الوحيدة إلى الشيخ، فما حجم المعاناة التي واجهها جويوتشن الذي يزور والده كثيرًا، كما فهم فجأة السر وراء بقاء هذه الشيخ في القرية وعدم إقامته مع جويوتشن في المدينة، وأن جويوتشن كان يخشى أن يفضحه الرجل بشكل أكبر مما يحدث الآن، فأحس لي آن بانغ أنه استفاد كثيرًا من هذه الزيارة، إلا أنه أحس في قرارة نفسه بأنه يشمت في جويوتشن. ولكن الشيخ قال للي آن بانغ فجأة:

- بما أنني سأساعدك، فلي عندك طلب يجب أن تساعدني في إنجازه؟

- وما هو؟ يسأل لي آن بانغ.

- أحد أحفادي يعمل بمحكمة البلدية منذ خمس سنوات، ويرغب في تولي منصب قيادي بأحد أقسام المحكمة، ولا أحد يساعدنا في حل هذه المشكلة، أليس هذا بالظلم؟

ثم قال وهو يشير إلى سكرتير البلدية:

- وهذا هو رأس الظلم، لقد طلبت منه كثيرًا حل المشكلة، ولكنه كالعادة أذن من طين وأذن من عجين.

فاحمرت وجنتا السكرتير من جديد. فنظر لي آن بانغ إلى قيادات البلدية الآخرين، فإذا بهم يتبادلون النظر في حذر، فعرف أنهم يخفون شيئًا ما. فقال:

- أيها العم، لا داعي للاستعجال وأعدك أنني سأتقصى الأمر لاحقًا.

ولكن الشيخ تابع يضغط عليه:

- قولك لاحقًا يعني أنك تتهرب من الأمر، أريد أن أسمع منك الرد الآن

بنعم أو لا؟

فضيق الرجل على لي أن بانغ الخناق، فوجد لي أن بانغ نفسه في موقف لا يحسد عليه، فقال وهو يصفق:

- لا داعي أيها العم، سأفعل.

فقال الشيخ وهو يشير إلى لي أن بانغ:

- أنت من قيادات المقاطعة، ولا يمكن أن تتراجع عن وعدك.

فقال لي أن بانغ وهو يقبض على يد الرجل:

- اطمئن أيها العم، كلمة النبيل سيف على رقبته.

فقال الشيخ والابتسامة تملأ وجهه:

- أخيراً فهمت.

فقال لي أن بانغ وهو لا يفهم ما يقصده الشيخ:

- وماذا فهمت؟

- أنك من أصدقاء يوتشن المقربين. رد الشيخ.

وهذا أقصى ما كان لي أن بانغ يتمنى تحقيقه من اللقاء. كان يتمنى أن ينقل الشيخ هذه المشاعر لجويوتشن. فبصرف النظر عما كان بينهما من حقد في الماضي، فإن مبادرته الآن لزيارة والده ومساعدته، تعبر عن اعترافه لجويوتشن بالخطأ، أليس كذلك؟ بل ويتمنى أن يقبل جويوتشن اعتذاره، وأن يكون لذلك دور في استعادة الصداقة في ما بينهما. وعند مغادرة بيت والد جويوتشن، سمح لي أن بانغ ليوده شوي بالعودة معه

في سيارته، كما سمح لسكرتير البلدية بالجلوس في المقعد الخلفي. وما إن تحركت السيارة حتى قال يوده شوي:

- هذا ما حذرتك منه قبل هذه الزيارة، أيرضيك كل هذا الإزعاج؟

إن يوده شوي حقًا يعلم نصف الحقيقة. فضحك لي آن بانغ ثم سأل السكرتير عن موضوع حفيد الشيخ الذي يعمل بالمحكمة. فهز السكرتير رأسه متنهدًا، وقال إنه من سوء حظ هذه البلدية أن يكون بها هذا الأب لأحد القيادات، فالحفيد الذي يتحدث عنه هو حقًا متميز في عمله، ولكنّ نكاهه محدود، فهو يلم بعدد محدود من الرموز الصينية، وبإمكاننا أن نتجاوز عن نكائه المحدود، ولكن طباعه نفس طباع هذا الشيخ، فهو يتشاجر مع زملائه لأتفه الأسباب، وإذا وجه له رئيس المحكمة بعض النقد، فإنه يلقي بترمس مياه رئيس المحكمة على الأرض، بل ويطمح في الترقى إلى قيادة بالمحكمة مثل زملائه الذي حصلوا على فرص الترقى، والفرص المتاحة للقيادة بالمحكمة مدير الأعمال الإدارية، وإذا حدث أن تولى هو هذا المنصب، فلا نعلم كم المظالم التي يمكن أن تواجهها هذه المحكمة. ففهم لي آن بانغ ما يقصده السكرتير، وقال:

- وماذا إذا تم نقله من العمل بالمحكمة؟ كأن يتولى رئاسة أحد الأقسام بهيئة المعدات الزراعية؟

فرد السكرتير متنهدًا:

- وهذا ما فكرت فيه من قبل، ولكن هذا المستبد يعرف أهمية سلطة المحكمة ويصر على العمل بها، وهنا تكمن صعوبة حل هذه المشكلة.

ففهم لي آن بانغ قصده. ولكنه سأل فجأة:

- وهل هناك شواغر قيادية أخرى بالمحكمة عدا فحص القضايا؟
- نعم هناك وظيفة مدير مكتب. ولكن أليس توليه هذا المنصب سيكون سبباً في إثارة الفوضى بالمحكمة؟ يقول السكرتير.
- وهل يمكن التفكير في قسم الخدمات؟ سأل لي آن بانغ.
- فهز السكرتير رأسه بالنفي:

- الشواغر الوظيفية واحدة ومحددة في كل جهة، ولا يمكن أن نأتي بأحدهم من خارج هذه الجهة لتولي منصب قيادي بها، أليس كذلك؟

فخطرت للي آن بانغ هذه الفكرة فجأة فقال:

- طالما أنه لا يمكن أن يتولى منصباً قيادياً يمثل هذه الجهة، فما رأيك إذا استحدثنا منصب رئيس قسم الخدمات؟ فهذا أيضاً يعد منصباً، ولكن عمله سيقصر على شراء الخضروات من السوق. وطالما يميل إلى الشجار، فدعه يتشاجر في الأسواق.

فذهل يوده شوي، ولكنه صفق في الحال معبراً عن تأييده لهذا الرأي قائلًا:

- هذا اقتراح جيد، يطرح حلًا جديدًا لهذه المشكلة.

وأضاف:

- تمامًا كما فعل الإمبراطور يو مع سون وو كونغ⁽⁷⁾، بأن جعله يعلف

7- سون وو كونغ أو الراهب الصامت: أحد الشخصيات الأسطورية المعروفة في التاريخ الصيني القديم، وأحد الشخصيات الرئيسية في رواية "رحلة إلى الغرب" أحد أمهات الكتب الصينية القديمة. (المترجم)

الخيّل، ومنحه لقب ”مربي الخيّل“.

كما فهم سكرتير البلدية الأمر فجأة فقال:

- نعم إنه اقتراح جيد، فهو سيرضي غرور هذا المستبد من جهة، ومن جهة أخرى سنتمكن من انتزاعه من المحكمة، وبذلك نكون أصبنا هدفين بقوس واحد.

ثم قال وهو يصفق بيديه:

- سأوجه بتنفيذ الأمر، ونحدد المؤشرات القيادية بالمحكمة.

وتابع وهو يدق على قدميه:

- كيف لم أفكر في هذا الاقتراح من قبل؟ وتركت نفسي أتعرض للسب من هذا الشيخ لأكثر من عام؟

فقال يوده شوي:

- هذا مستوى تفكير قادة الصف الأول، فإذا كنت بلغت هذا المستوى، فكيف لم تشغل منصب المحافظ؟

فضحك ثلاثتهم. ثم وجه يوده شوي للي أن بانغ الدعوة للعشاء بعاصمة البلدية. ففكر لي أن بانغ قليلاً، ثم قبل الدعوة بعد أن تذكر أنه غير مرتبط بمواعيد مهمة الليلة. ولم يكد لي أن بانغ ينهي كلامه حتى رن جرس هاتفه، واستقبل المكالمة لمدة عشر ثوانٍ فقط، قبل أن يختمها قائلاً:

- عرفت.

ثم أغلق الخط، وقال ليوده شوي إنه اتصال من مكتب حكومة

المقاطعة، بشأن عقد اجتماع عمل برئاسة المحافظ الليلة، وبالتالي فإن

عليه العودة في الحال إلى عاصمة المقاطعة. فhez يوده شوي رأسه

بالموافقة. وطلب لي أن بانغ من السائق الوقوف إلى جانب الطريق،

فتبعته سيارات قيادات المدينة والبلدية. ونزل الجميع من سياراتهم،

وقام لي أن بانغ بتوديع قيادات المدينة والبلدية. ثم سلكت السيارتان

اللتان كانتا تقلان لي أن بانغ ومرافقيه الطريق السريع، وسارتا بسرعة

في طريقهما إلى عاصمة المقاطعة.

-3-

ولم تكن المكالمة التي جاءتة قبل قليل من مكتب حكومة المقاطعة، كما لم يكن لديه اجتماع عمل مساء اليوم، وإنما كانت مكالمة من زوجته. أخبرته زوجته في الهاتف أن ابنهما تعرض لحادث في المدينة، وطلبت منه العودة فوراً إلى هناك. وكان ابنه شاباً في السابعة عشرة يدعى لي دونغ ليانغ⁽⁸⁾، يدرس في الصف الثاني الثانوي، يتمتع ببنية جسمانية قوية كالعمود الضخم، وبقامته الطويلة التي تبلغ 182 سم، ولكن مستواه التعليمي كان متدنياً للغاية، فلم يسبق أن اجتاز أيّاً من المقررات التي يدرسها، وقد ساعدته بنيته القوية أن يكون المنتصر في أي مشاجرة يشترك بها، وهذا ما جعل زملاءه بالمدرسة يخشونه أشد خشية، هذا بالإضافة إلى الصعاليك في محيط المدرسة الذين كانوا يعملون له ألف حساب، حتى بلغ الأمر أن جميع صعاليك المدينة كانوا يجروون على إثارة الفوضى في جميع المدارس، باستثناء تلك التي يدرس بها لي دونغ ليانغ. وكان شجاره الدائم مع غيره سبباً في جلب الكثير من المتاعب لوالده، مما جعل لي آن بانغ لا يتوقف عن تعنيفه. وذات مرة فاض بلي آن بانغ الكيل، فسأله عن السبب في إثارة كل هذه المتاعب، فجاءه رد ابنه متنهداً:

- هذا لأنني ولدتُ في عصر غير عصري.

- ماذا تقصد؟ يسأل لي آن بانغ.

- إذا كنت ولدت في عصر أسرة سونغ مثلاً، لكنت شاركت في انتفاضة

8- دونغ ليانغ: وتعني في الصينية ركيزة، عمود.. إلخ. (المترجم)

ليانغ شان⁽⁹⁾، وتمكنت من مقاومتكم أيها المسؤولين الفاسدون.

فما كان من لي آن بانغ إلا أن صفعه على وجهه قائلاً:

- وماذا تفهم أنت!

وكما يقولون البيوت لا تخلو من المشاكل. فكما أن جويوتشن لديه والد صعب الطباع، فإن لي آن بانغ لديه هذا الولد صعب المراس. وفي الوقت الذي استقبل فيه لي آن بانغ مكالمة زوجته، وعرف بأن ابنه لي دونغ ليانغ تعرض لحادث، كان يوده شوي وسكرتير البلدية لا يزالان يجلسان في سيارته، فأغلق لي آن بانغ الخط في عجلة، وتعلل بأن لديه اجتماع عمل مساء اليوم بمكتب المقاطعة واستأذن منهما، وما إن تحركت السيارة، حتى عاود الاتصال بزوجه، وسألها:

- مع مَنْ تشاجر هذه المرة؟

- لم يتشاجر مع أحد، إنه حادث سير. ترد الزوجة.

فقال لي آن بانغ وقد وقف شعر رأسه من هول الخبر:

- لم يصب بمكروه؟

- دونغ ليانغ بخير، فقط أصيب بجرح في رأسه.

فأخذ لي آن بانغ نفساً، قبل أن يتابع:

- من كان معه، وكيف كان يقود بهذا التهور؟

9- انقفاضة ليانغ شان: انقفاضة قام بها نحو 36 فرداً من الفلاحين في عصر أسرة سونغ الشمالية عام 1119 ميلادية في العام الثاني من حكم الإمبراطور سونغ وي زونغ، وكانت أحداث هذه الانقفاضة من الموضوعات التاريخية الرئيسية التي تناولتها رواية "أبطال على شاطئ البحيرة" إحدى كلاسيكيات الأدب الصيني. (المترجم)

- هو الذي كان يقود السيارة، ولكي يتفادى حفرة عميقة وسط الطريق، اصطدمت السيارة بأحد الحفارات على جانبي الطريق.

- اللوم على حكومة المدينة التي لا تنتهي من إصلاح الطريق. تابعت.

فلم يهتم لي آن بانغ بكلامها عن إصلاح الطريق، وإنما سأل غاضباً:

- ومَنْ الذي أعاره السيارة هذه المرة؟

وبما أن لي دونغ ليانغ ابن السابعة عشرة من عمره لم يبلغ السن القانونية للحصول على رخصة القيادة، فقد ساعد منصب والده كنائب دائم للمحافظ، أن يتمتع بصداقة لا تراعي السن مع الكثير من رجال الأعمال بالمدينة، والذين كانوا يعيرونه سياراتهم عن طيب خاطر. وكان لي آن بانغ يعلم أن ابنه يقود من ورائه، ولكنه لم يتخيل أن يصل به الأمر لوقوع حادث سير، وأن تصطمم السيارة بأحد الحفارات. فقال لي آن بانغ:

- هذا الوغد، لن أكتفي بتأديبه هذه المرة، وإنما سأحقق مع مَنْ أعاره

السيارة!

فقال زوجته باكية:

- ليس هذا الوقت المناسب للتحقيق في مثل هذه الأمور، أمامنا ما هو

أهم وأخطر.

- وما هو؟

- دونغ ليانغ بخير، لكن مَنْ كان معه بالسيارة ليس بخير.

- ومَنْ هو؟

- إنها فتاة. قالت.

- ومَنْ هي إذًا؟

- لا أعلم. ردت.

- وماذا أصابها؟

- سقطت من السيارة.

فقال لي آن بانغ وقد كاد رأسه أن ينفجر من تأثير الصدمة:

- وهل هي بخير الآن؟

- لا أعلم، حملوها إلى المشفى، وأنا الآن في طريقي إلى هناك. ردت.

فأنهى لي آن بانغ المكالمة، وأمر السائق بأن يقله إلى عاصمة المقاطعة بأقصى سرعة، وقد اشتد به الغضب. ثم فكر لحظة وعرف أنه ليس الوقت المناسب للغضب، فأمسك بهاتفه واتصل بالسيد دوان شياو تيبه نائب مدير الشرطة بالمقاطعة. وقبل خمسة وعشرين عامًا، وعندما كان لي آن بانغ يتولى منصب سكرتير بلدية xx بمدينة xx، كان دوان شياو تيبه يعمل شرطياً بمكتب شرطة تلك البلدية، وكان مسؤولاً عن الأمن بمبنى حكومة البلدية، ولما وجد فيه لي آن بانغ مثلاً للشخص المخلص الذكي الجاد في عمله، قربه منه ووجه بترقيته من شرطي إلى رئيس قسم الشرطة، ثم نائب مدير أمن البلدية، مدير أمن البلدية، نائب مدير أمن المدينة، مدير أمن المدينة ثم نائب مدير أمن المقاطعة، وباختصار يمكن القول بأن دوان شياو تيبه عمل في جميع الأماكن التي عمل بها لي آن بانغ، وقد كان دوان شياو تيبه حافظاً للمعروف، فبالرغم من أنه يشغل الآن منصب نائب مدير أمن المقاطعة، إلا أنه ما إن يرى لي

آن بانغ، حتى يستقبله بالتحية قبل أن يتحدث معه بكلمة واحدة، تمامًا كما كان يفعل عندما كان رجل شرطة عاديًا قبل خمسة وعشرين عامًا. ويتولى دوان شياو تيبه عددًا من المهام بمديرية الأمن، من بينها مكتب شرطة المرور، ولحسن الحظ أنه هو المسؤول عن حوادث السير. وما إن اتصل به لي آن بانغ، حتى رد قائلاً:

- نعم سيادة القائد، أنا الآن في موقع الحادث.

فقال لي آن بانغ وقد ارتاح قلبه:

- لن نتحدث أكثر في الهاتف، أنا الآن في طريقي إلى المدينة، سأنتظرك بعد ساعتين من الآن بمبنى حكومة المقاطعة.

وبمجرد وصول لي آن بانغ إلى مقر حكومة المقاطعة بعد ساعتين من الاتصال، وجد دوان شياو تيبه ينتظره أمام المبنى. فصعدا معًا إلى الطابق الثاني، ثم دخلا مكتب لي آن بانغ، وأغلق الباب. وقال دوان شياو تيبه:

- الأمور ليست على ما يرام يا سيادة القائد.

فأخذ لي آن بانغ يطالع دوان شياو تيبه. فتابع دوان شياو تيبه:

- لم تنجح محاولات إسعاف الفتاة، فلفظت أنفاسها الأخيرة في المشفى.

فأحس لي آن بانغ من جديد بأن رأسه كاد أن ينفجر. فوقع الحادث شيء ووفاة أحدهم شيء مختلف تمامًا. فقال لي آن بانغ وقد بدأ يتلعثم:

- وكيف ماتت؟ ألم يكونا معًا، ولم يصب دونغ ليانغ بأذى؟

- لأن دونغ ليانغ كان يربط حزام الأمان، وهي لم تكن تربطه، فسقطت من السيارة واصطدمت بشجرة على جانب الطريق. قال دوان شياو تيبه.

فجلس لي آن بانغ على الأريكة، ثم أخذ من دوان شياو تيبه سيجارة بعد أن كان أقلع عن التدخين منذ وقت طويل، ثم أشعل السيجارة وأخذ نفساً طويلاً قبل أن يسأل:

- وماذا تعمل هذه الفتاة؟

فهمس له دوان شياو تيبه قائلاً: "أفاد الاستعلام الأمني قبل قليل أنها تعمل بإحدى حانات السهر".

- ماذا؟ وهل عرف دونغ ليانغ الطريق إلى تلك الأماكن؟ قال مندهشاً.

وتابع:

- بل إنهما كانا في وضح النهار، أليس كذلك؟

- لم يقف الأمر عند كونها فتاة من تلك الأماكن، وإنما كان نصفها الأسفل عارياً عند وقوع الحادث. قال دوان شياو تيبه.

فقال لي آن بانغ غاضباً:

- وماذا كان يفعل هذا الوغد؟

وتابع:

- وأين هو الآن؟

فهم دوان شياو تيبه أنه يقصد بقوله "الصعلوك" ابنه دونغ ليانغ،

فقال:

- تم القبض عليه وفق قانون المرور.

فهز لي آن بانغ رأسه للتعبير عن تأكيده على روح القانون، ثم تابع
يسأل:

- وهل عرفتم مسقط رأس الفتاة؟

- جار التحري عنها، وربما يستغرق ذلك بعض الوقت. رد دوان شياو
تبيه.

فغرق لي آن بانغ في التفكير. ثم نظر إلى دوان شياو تبيه بعد أن
أنهى السجارة، وقال متنهداً:

- وقع هذا الحادث في غير وقته تماماً.

ففهم دوان شياو تبيه ما يقصده لي آن بانغ. فقال:

- الجميع يعلم أن هذا التوقيت حاسم بالنسبة لك. وإذا وصل خبر
حادث دونغ ليانغ للإعلام، فسنكون أمام مصيبة كبيرة.

فأخذ لي آن بانغ تنهيدة، وقال:

- فضلاً عن الإعلام، فإنني أخشى أن يستغل البعض هذا الحادث. ولك
أن تتخيل ما يمكن أن يحدث بوقوع ضحية؟

ففكر دوان شياو تبيه برهة، وقال:

- وما رأيك أن نقوم بتغيير اسم الجاني.

فدهش لي آن بانغ، وقال:

- ماذا تقصد؟

- بما أن الراكب مات، فإمكاننا تغيير اسم قائد السيارة من دونغ ليانغ إلى أي اسم آخر.

فذهل لي أن بانغ، ثم فكر برهته ووجده اقتراحًا مناسبًا، ولكنه قال ولا يزال يساوره القلق:

- وهل هذا مضمون؟ هل سيحفظ السر؟ أخشى أن نوقع أنفسنا في شر أعمالنا.

- لقد نصبت حاجزًا حول موقع الحادث، ولم يتعرف أحد على الجاني. قال دوان شياو تيبه.

وتابع:

- كما أن المشاركين في التحقيق في هذه القضية من الأصدقاء الموثوق بهم.

- وهل يمكن البحث عن شخص مضمون يحل محله؟ قال لي أن بانغ.

- جميع من هم على قيد الحياة ليسوا مضمونين، سنبحث عن شخص غير موجود، ولنقل إنه مات في موقع الحادث. رد دوان شياو تيبه.

ففهم لي أن بانغ قصده، ولكنه تابع يسأل:

- وهل يمكن ضمان ذلك من الناحية الفنية؟

- أنا أيضًا مسؤول عن مكتب التحقيقات وإصدار هويات الإقامة. رد دوان شياو تيبه.

فأخذ لي آن بانغ نفساً عميقاً، ثم طلب من دوان شياو تيبه سيجارة ثانية. ولم يأخذ هذا النفس بسبب موضوع دونغ ليانغ، وإنما بسبب دوان شياو تيبه المائل أمامه الآن، والذي أحس بأن ما فعله معه على مدار خمسة وعشرين عاماً لم يضع هباءً. وما إن أنهى السيجارة الثانية حتى قال:

- عليكم سرعة البحث عن عائلة المتوفاة لتعويضهم بمبلغ كبير من المال.

وتابع:

- فالمشاكل التي يمكن حلها بالمال، مجرد خلافات داخلية بين الناس بعضهم وبعض.

ففهم دوان شياو تيبه ما يقصده لي آن بانغ، فقال وهو يهز رأسه بالموافقة:

- ولكن هناك مشكلة ثانية؟

- وما هي؟ سأل لي آن بانغ.

- ذهبت زوجتك قبل قليل إلى المشفى، وما إن علمت بوفاة الفتاة حتى سقطت مغشياً عليها.

فقال لي آن بانغ مندهشاً:

- وكيف هي الآن؟

- أفاقت بعد أن أخذت حقنة مهدئة، وهي الآن تترقد في المشفى..

فكر لي آن بانغ قليلاً، ثم قال:

- إذا دعها ترقد هناك، حتى لا تخرج وتتسبب لنا في مشكلة جديدة.

ففهم دوان شياو تيبه قصده، فهز رأسه بالموافقة.

وتابع لي أن بانغ توجيهاته:

- ولا تخبرها بشيء مما اتفقنا عليه قبل قليل.

فهز شياو تيبه رأسه في عجالة.

أما زوجة لي آن بانغ فتدعى كانغ شوبينغ. وعقب تخرجه من الجامعة قبل خمسة وثلاثين عامًا، وبسبب انحداره من أسرة ريفية بسيطة، وافتقاده لمن يأخذ بيده، هذا إلى جانب تخرجه في كلية الزراعة تخصص الآلات الزراعية، فقد تم توزيعه للعمل كفني آلات زراعية بقرية كانغ جيابوتزه ببلدية ×× بنفس المقاطعة التي ينتمي إليها. فبعد أربع سنوات قضاه في الجامعة، عاد منها إلى الريف ثانية يرتدي نظارة طبية. وكان هناك بالقرية رجل يدعي لاوكانغ يدير متجرًا للخردوات. وكان لديه ثلاث بنات، الكبرى قبيحة مثل أبيها، الوسطى قبيحة مثل أمها، أما الصغرى وكانت تدعى كانغ شوبينغ فكانت لا تشبه أباهما أو أمها، كانت تتمتع بعينين واسعتين وحاجبين سوداوين وقوام ممشوق، فكانت آية في الجمال، حتى إن الأهالي كانوا يشكون في انتسابها للاوكانغ. وكانت الفتاة تمتلك قبل خمسة وثلاثين عامًا ضفيريّتين طويلتين وشعرًا جميلًا، وكانت ضفيريّتها تمتد حتى نهاية ظهرها، وكان جميع أهل القرية من شرقها إلى غربها، حتى كلاب القرية يتوقفون عند رؤيتها للتأمل في جمال ضفيريّتها. وكان لي آن بانغ آنذاك يدخل السجائر، فكان كثير التردد على متجر لاوكانغ لشراء السجائر. ولا يزال يذكر أن أكثر ماركة سجائر كان يفضلها هي ماركة "الحصان الطائر"، وكانت اللعبة منها تباع بماووين⁽¹⁰⁾، فكانت رخيصة الثمن ولكنها أفضل بكثير من الماركات الأخرى التي تتساوى معها في الثمن، فكانت سيجارتها دون ساق، مما يجعل المرء عند تدخينها لا يشعر بسماع صوت كما في السجائر التي

10- ماو: تساوي عشرة فين (عشرة قروش) من اليوان الصيني. (المترجم)

تحتوي على سيقان. وكان لي أن بانغ المولود في الريف، استلم عمله بعد تخرجه في الجامعة في الريف أيضًا، وكان يظن آنذاك أنه سوف يقضي طيلة حياته في قرية كانغ جيابوتزه، فقبل خمسة وثلاثين عامًا لم يكن هناك الكثير من الطلاب الجامعيين يعملون بالريف، وكان لي أن بانغ الجامعي الوحيد الذي يعمل بقرية كانغ جيابوتزه، وقد توسط أحدهم للتقريب بين ذلك الشاب الموهوب وتلك الفتاة الجميلة، وهكذا تزوج لي أن بانغ من كانغ شوبينغ. واكتشف لي أن بانغ عقب الزواج، أن زوجته بالرغم من أنها لا تشبه والدها في ملامحه القبيحة، إلا أنها كانت تشبهه في عادة التوفير. فكانت تقوم بتقسيم كمية جبن الصويا التي تشتريها بيوان واحد على وجبتين، وكانت تلك العادة بالنسبة للي أن بانغ الذي كان يدخل سجائر "الحصان الطائر"، ميزة في زوجته التي بإمكانها التوفير لتدبير شؤون المنزل. وهكذا عاشا معًا حياة سعيدة بقرية كانغ جيابوتزه. إلا أن السبب الوحيد الذي كان ينجص عليهما هو أن كانغ شوبينغ لم تنجب بعد الزواج لفترة طويلة، وعندما ذهبا إلى المشفى لإجراء الفحوصات، عرفا أن كانغ شوبينغ تعاني من عيب خلقي في قناة فالوب. وقد تناولت خلال الثمانية عشر عامًا التالية للزواج جميع أنواع الأدوية الصينية والغربية المتوفرة بالصين، حتى رزقا أخيرًا بولد بعد أن بلغت التاسعة والثلاثين، وبعد أن كان لي أن بانغ قد تدرج في العديد من المناصب حتى وصل إلى نائب رئيس مدينة xx. ولم يكن لي أن بانغ الذي بدأ حياته العملية فني آلات زراعية بإحدى القرى، والذي كان يقضى يومه بين الجرارات الزراعية والمضخات، لم يكن يتخيل أن يأتي اليوم الذي يجد فيه نفسه أحد المسؤولين بالمقاطعة، ولكن الظروف تصنع الأبطال. ففي العام الثالث من عمله كفني آلات زراعية بالقرية، صدرت وثيقة من الحكومة المركزية تؤكد على تولي المثقفين

والشباب مناصب قيادية بمختلف الدوائر الحكومية، وضرورة أن يكون هناك جامعي دون الثلاثين ويتمتع بخبرة عملية في كل مجموعة قيادية على مستوى البلديات، وكان لي آن بانغ الوحيد الذي تجتمع فيه هذه الشروط على مستوى البلدية كاملة، فصعد في لمح البصر من فني آلات زراعية إلى نائب رئيس بلدية، ثم سكرتير بلدية، رئيس بلدية، سكرتير، نائب رئيس مدينة..... حتى وصل إلى منصبه الحالي. وعندما يتذكر تلك المراحل التي مر بها، يشعر وكأنه يحلم. ولا يزال حتى الآن يحلم بقرية كانغ جيا بوتزه، وأكثر الأحمال التي تراوده أنه يرى نفسه وهو يقوم بصيانة إحدى المضخات، قبل أن يدفع سكرتير البلدية الباب ويقول له:

- لي آن بانغ، جاءت رسالة جديدة من الحكومة المركزية، تفيد بإلغاء ترقيتك من فني آلات زراعية إلى نائب رئيس البلدية.

فيمسك لي آن بانغ بتلابيبه، ويقول باكياً:

- أيها السكرتير مينغ، لقد جاءتني هذه الفرصة بصعوبة، فكيف تلغى بهذه البساطة.

فيقول السكرتير مينغ وهو يشير إلى المضخة:

- انظر، انظر، ألم تعد ثانية لعملك كفني آلات زراعية؟

فينظر لي آن بانغ إلى يديه الملطختين بالزيت، قبل أن يفيق من حلمه، ثم يمكث بعدها دقائق حتى يستعيد انتباهه. وكما تدرج لي آن بانغ في المناصب بدءاً من فني آلات زراعية إلى ما وصل إليه الآن، فقد رافقته كانغ شوبينغ من الريف إلى البلدية، وإلى المدينة ثم أخيراً إلى المقاطعة، ليكتشف لي آن بانغ أن عادة التوفير لدى زوجته قد تحولت تدريجياً من ميزة إلى عيب. فعلى سبيل المثال، كانت كانغ شوبينغ

امرأة مولعة بالتوفير، إلا أن الأسرة بعد انتقال لي أن بانغ للعمل كنائب رئيس بلدية لم تعد بحاجة إلى التوفير في العيش، فلم يعد راتبه يكفيهم طول الشهر فحسب، بل إنه لم يعد بحاجة إلى الإنفاق من راتبه لشراء الأغراض التي يحتاجها البيت، فكانت هناك خمسة عشر قرية في البلدية، وكان الريفيون كثيرًا ما يهدونه بالحبوب والمنتجات المحلية، هذا بالإضافة إلى ما يزيد على ثلاثين دائرة في البلدية، والذين كانوا كثيرًا ما يهدونه أيضًا بالأغراض اليومية والدجاج والبط والأسماك، فكيف يمكنهم استهلاك هذه الكميات التي كانت تأتيهم من عشرات المنافذ؟ فلم يعد لي أن بانغ يدخن "الحصان الطائر"، وإنما قفز الآن فجأة إلى سجن "جونغ خوا"⁽¹¹⁾. ولم يكن لي أن بانغ نفسه معتادًا على هذه الحياة، فما بالك من كانغ شوبينغ. فلم تعد حياتهم بحاجة إلى التوفير، وكذلك كانغ شوبينغ لم تعد تمارس عاداتها في التوفير، إلا أنها استبدلت هذه العادة بطريقة جديدة، فكانت تجمع ما يفيض منهم من الأطعمة وترسلها إلى أحد المتاجر على ناصية الشارع لبيعها وتحفظ هي بئمنها. هذا بالإضافة إلى عادة تسجيل الحسابات التي ورثتها عن أبيها، فكانت تقوم بتسجيل جميع الأغراض التي يرسلها لهم الأهالي من الريف والبلدية في دفتر خصصته لذلك، بل وكانت تسجل إلى جانب الأغراض وكمياتها اسم المرسل. وذات مرة قالت وهي تقلب في الدفتر:

- هل هناك خلاف بينك وبين xxx؟

- ماذا تقصدين؟ قال لي أن بانغ.

- لم يرسل لنا أي شيء منذ فترة طويلة. ردت كانغ شوبينغ.

11- سجائر جونغ خوا (الصين): أحد أشهر وأغلى أنواع السجائر في الصين. (المترجم).

- إنه يأتي لزيارتنا وقد يحمل معه ما يتيسر في طريقه، وليس هناك لائحة تنص على إلزامه بتقديم الهدايا. قال لي آن بانغ.

- ولكن كيف يزورنا xxx بصفة دائمة؟ يبدو أنه تربطه بك علاقة طيبة. تقول.

- إذا تماديت في هذا التفكير فسوف تجبريني على ارتكاب الأخطاء. يقول.

ثم يقول لي آن بانغ وهو يشير إلى الدفتر في يدها:

- ولحسن الحظ أنه لم يحدث لي مكروه في العمل، ولكن إذا حدث وجاءت الجهات المعنية للتحقيق، فسوف يجدون هذا الدفتر خير دليل على فسادي، أليس كذلك؟

ويتابع:

- فعندما كان والدك يسجل حسابات السجائر، كان يسجل المدينين له، أما ما تسجلينه أنت الآن لا يخصني.

ففكرت كانغ شوبينغ قليلاً، ووجدت أن لي آن بانغ محقاً في ما يقول. وفي صباح اليوم التالي قامت بحرق الدفتر. فقال لي آن بانغ وهو يرى الدفتر يحترق أمامه:

- حسناً فعلت.

- ستظل ذاكرتي محتفظة بالحسابات من دونه. تقول.

وحقاً استطاعت كانغ شوبينغ الاحتفاظ بتفاصيل ما استلمته من الأهالي قبل ثلاثة أشهر وعلى مدار الثلاثة أشهر الأخيرة، بما في ذلك

اسم المرسل ونوع الهدية دجاجة أو سلة من بيض البط، بالإضافة إلى قائمة بأسماء الذين لم يرسلوا إليهم بالهدايا، وغيرها من التفاصيل التي جعلت لي آن بانغ يشعر بأنه في موقف لا يحسد عليه. وتماشياً مع تدرجه في المناصب القيادية، من قيادي على مستوى البلدية إلى نائب رئيس مدينة، ومن نائب رئيس مدينة إلى نائب دائم لرئيس المدينة، ثم إلى رئيس مدينة وسكرتير مدينة ونائب محافظ وأخيراً نائب دائم للمحافظ، فقد كان هناك ارتفاع مماثل في مكانة هؤلاء الذين يرسلون لزوجته بالهدايا، وكذلك نوعية الهدايا. وقد اكتشف بمرور الوقت أن زوجته لم تعد تتحدث معه في أمر الهدايا، وأنها بدأت تتعامل في هذا الأمر بمفردها وأحياناً دون علمه تماماً. فعندما كان يشغل منصباً قيادياً على مستوى المدينة، كان من يصادقونها ينادونها بـ“زوجة أخي” قائمة طويلة من رؤساء البلديات وسكرتارية البلديات بالإضافة إلى أصحاب الأعمال على مستوى المدينة وبعد ترقيته إلى منصب نائب محافظ، شملت قائمة من ينادونها بـ“زوجة أخي” قائمة من رؤساء المدن وسكرتارية المدن وكبار رجال الأعمال على مستوى المقاطعة. كما تنوعت عطاياهم لكانغ شويينغ، فكانت في بعض الأحيان هدايا عينية، وأحياناً أخرى سندات مالية، بل وكانت تصل إلى مبالغ نقدية، حيث كانت كانغ شويينغ ترتكن إلى اسم زوجها وتساعدهم في إنهاء بعض الأمور. عند اكتشافه لتصرفاتها، غضب لي آن بانغ غضباً شديداً ووبخها، وذات مرة صفعها على وجهها، وأخبرها بأن الوضع تغير الآن عما كان عليه في منصب نائب بلدية، وأن ما تفعله الآن من استغلال منصبه لقبول الرشاوى قد يزوج به عاجلاً أم آجلاً في السجن، وهددها بالطلاق. إلا أن كانغ شويينغ لم تعترف بقبول سندات أو مبالغ مالية من أحد، وقالت وهي تضع يدها على وجهها:

- ليس بإمكانك أن تطلقني يا لي آن بانغ.

- لماذا؟ سأذهب إلى المحكمة غدًا. يقول.

- إذا تجرأت على ذلك، فسوف أقص عليك الآن كل ما فعلته خلال السنوات الأخيرة.

وتابعت:

- وعلى أي حال فإن ذاكرتي تحتفظ بكل شيء، وأنا على علم بكل ما فعلته خلال السنوات الأخيرة.

قالت ذلك ثم استدارت مغادرة، وتركته بمفرده في موقف لا يحسد عليه. وراح يفكر في هذه المرأة التي كان يظن أنها مجرد امرأة بخيلة تهتم بصغائر الأمور فحسب، فإذا بها تخطط لكبيرها. وراح يعبر عن حقه للقيادات وأصحاب الأعمال الذين يلتفون حولها، والذين ساعدتهم كانغ شويينغ في إنهاء أعمال لم يكن باستطاعتهم إنهاؤها مقابل هدايا بسيطة، والذين استغلوا غيابها من خلال مناجاتها بـ“زوجة أخي” وكأنهم أسرة واحدة، ولم يكن ذلك سوى حيلة من حيلهم لاستغلالها. وصدق المثل القائل “لونها تضرب الكلب اعمل خاطر لصاحبه”، وأن استغلالهم لها يعني استغلالهم له هو شخصيًا، أليس كذلك؟ ولكن هكذا هي زوجته، هي الآن زوجة النائب الدائم للمحافظ وعقلها لا يزال يفكر بعقلية ابنة صاحب متجر الخردوات بقرية كانغ جيابوتزه، فماذا بيده الآن؟

كما أن الحديث يمتد لابنهم البائس لي دونغ ليانغ، والذي ولدته أمه وهي في التاسعة والثلاثين من عمرها، مما جعلها تُفرط في تدليله. فعندما بلغ لي دونغ ليانغ الرابعة من عمره، لم تعلمه قضاء حاجته في

دورة المياه، وكانت تسمح له بالتبول والتبرز في حجرة الاستقبال. وفي الخامسة، كان يركب على رقبتها وفي بعض الأحيان يتبول عليها، فيفرح الولد بذلك وتفرح هي معه. وفي السادسة، كان إذا رغب في شراء سيارة لعبة، ورفضت كانغ شوبينغ ذلك بحجة أنه يمتلك ما يزيد على أربعين لعبة منها، كان يغافلها ويتبرز داخل حذائها، وما إن تكتشف هي ذلك حتى تقوم برفع يدها وتهم بصفعه، ولكن ما إن ترتفع يدها في وجهه، حتى تجد نفسها تبكي قبل أن يبكي هو. وبعد التحاقه بالمدرسة، كان كثير الشجار مع زملائه، وفي كل مرة كانت تتدخل لحل مشكلاته. وعندما بلغ الرابعة عشرة، كانت تحتضنه وتنام معه في سرير واحد، وتترك لي آن بانغ ينام بمفرده، وقد تحدث معها لي آن بانغ كثيراً في أن تدليلها الزائد له سوف يضره، وكان يقول لها أحياناً:

- ما كل هذا الحقد الذي تكنينه له، هل تعلمين أنكِ هكذا تضرينه؟

- كيف تقول ذلك وأنت فضلاً عن وقت نومك لا تقضي معنا ساعة في البيت يومياً، فهل تؤدي معه واجبك كأب؟ لن أَدْخُل في شيء من الغد، ولك أن تذهب به أنت إلى المدرسة؟ تقول.

فلا يجرؤ لي آن بانغ على مواصلة الحديث معها في هذا الموضوع. وقد كان لديها بعض الحق في ما قالت، فعندما أنجبا لي دونغ ليانغ، كان لي آن بانغ قد وصل إلى منصب نائب رئيس مدينة، فكان يمكث في عمله فترة العمل الصباحية بالإضافة إلى وردية ليلية مقابل مكافأة، بواقع ثلاثة إلى أربعة عشرة ساعة يومياً، فكان يخرج من بيته في الصباح الباكر قبل أن يستيقظ ابنه، ويعود في وقت متأخر ليجده نائماً، فكيف يجد الوقت لرعاية ابنه؟ فكان من الطبيعي أن يمر الأسبوع ولا يتكلم مع ابنه بكلمة واحدة، حتى إنه بدأ ينسى تدريجياً أن لديه هذا

الابن، وأصبح ابنه بالنسبة له مجرد وضع عام. وقد كان الولد مدرِّكاً لما يدور حوله، فبالرغم من مضايقته الدائمة لأمه، إلا أنه كان ما إن يرى لي أن بانغ حتى يرتدي ثوب الالتزام، ولا يجروُ على ارتكاب أي خطأ في حضوره، حتى إنه كان في بعض الأحيان يرتعش بشدة إذا عبس في وجهه، فتهديء كانغ شوبينغ من روعه وتلوم لي أن بانغ:

-لا ترجع إلينا بهموم عملك.

وعند التحاق لي دونغ ليانغ بالمدرسة، كان لي أن بانغ يشغل منصب رئيس مدينة، ثم سكرتير، نائب محافظ ثم النائب الدائم للمحافظ، وأصبح أكثر انشغالاً مما كان عليه من قبل. وفي بعض الأحيان كان يذهب لزيارة بعض المؤسسات التعليمية، فيلتقي بمدير مدرسة ابنه فيسأله عن مستوى لي دونغ ليانغ، فيتودد إليه المدير ويخبره بأن لي دونغ ليانغ متميز في أخلاقه ودراسته، وبالطبع لا يخلو الأمر من بعض الشقاوة، وهل يمكن أن ينمو الشاب ويحقق طموحاته دون بعض من هذه التصرفات؟ وهكذا كانت سلوكيات الناجحين في مختلف المجالات، فيضحك الجميع، في حين يخرج لي أن بانغ بانطباع سيئ ويدرك فساد ابنه في مقابل صلاح المجتمع، ومَن كان يتخيل أن يتمادى ابنه في عدم الاهتمام بدراسته مروراً بالدراسة في المدينة ثم في المقاطعة، ولا يعير دراسته أدنى اهتمام، وينشغل بالجري وراء الفتيات حتى يتسبب في موت إحداهن؟ حتى كان أول تعليق له بمجرد معرفته بتعرض كانغ شوبينغ للإغماء في المشفى قوله متشفياً:

”تستحق ذلك وأكثر، وهذا جزاء عدم سماع نصيحتي“.

ثم راح يعبر عن كرهه الشديد لجميع الذين تربطهم علاقة بابنه لي دوانغ ليانغ، للتجار والمسؤولين وكذلك مدراء المدارس والمعلمين

في المدارس التي تنقل فيها لي دونغ ليانغ، وأنهم كانوا شركاء لكانغ شوبينغ في إفساد ابنه حتى وصل إلى هذه المرحلة. ثم مضى يفكر في خطأ زوجته وجميع شركائها، ولكنه لا يمكن أن يخلي مسؤوليته تجاه فساد ابنه، وقد كان خلال السنوات الأخيرة يعطي وقته لأعمال الحزب ولم يهتم بتربيته، ففساد الأبناء يحدث نتيجة لأخطاء يرتكبها الآباء، فهل وقوع هذه المشكلة في هذا التوقيت الحاسم، عقاب له على تقصيره في حق ابنه؟

ولكن لي آن بانغ أدرك أن أكثر ما يحتاج له في مثل هذا التوقيت بالذات هو الهدوء، فيجب ألا تؤثر عليه هذه الأحداث في هذا التوقيت على وجه الخصوص. فلم يتأثر بأمر زوجته التي ترقد الآن في المشفى، كما أن تدخل دوان شياوتيه لمعالجة موضوع الحادث وموت الفتاة جعله يشعر بالاطمئنان. وفي صباح اليوم التالي، وصل لي آن بانغ إلى المبنى الإداري للمحافظة في موعده المحدد. وفي صباح ذات اليوم، عقد المحافظ جيو اجتماع عمل برئاسة المحافظ، لدراسة مشكلات تنمية المناطق الجبلية وجذب الاستثمارات ودعم الفقر وتهجير سكان مناطق السدود بغرب المقاطعة وغيرها من القضايا. وبعد الظهر، خرج لي آن بانغ على رأس وفد من قيادات مكتب الإسكان بالمحافظة لتفقد مشروعين من مشروعات الإنشاءات بشرق المقاطعة. كما كانت المقاطعة تعمل حالياً على إكمال مشروع أو خط مترو والذي يشرف عليه لي آن بانغ. وقد شارك لي آن بانغ في الاجتماع الصباحي والمسائي، سواء بإلقاء كلمة أو إصدار التوجيهات اللازمة دون أن يظهر عليه التأثير بشيء خارج العمل. وخلال الاجتماع الصباحي بالمقاطعة، دخل في جدال مع لاوشي نائب المحافظ لشؤون مناطق السدود بسبب مناقشة تهجير أهالي مناطق السدود، حتى تدخل المحافظ جيو بينهما قائلاً:

- من الطبيعي أن يكون للاوشي هذا الرأي المتحفظ في ما يتعلق بمشكلة التهجير، فهو كثير الذهاب إلى تلك المناطق، كما سمعت أن حماته تقيم هناك.

فضج الجميع بالضحك. ولكن الاجتماع وإلقاء الكلمة والزيارة التفقدية وإصدار التوجيهات، كلها أمور رسمية تستوجب منه الالتزام، ولكنه على أي حال لم يهدأ له بال طول اليوم. فهناك قتيلة ترقد الآن في المشرحة بالمشفى. وقد خاصم النوم جفنيه مساء ذلك اليوم. وفي صباح اليوم التالي، خرج وفق جدول أعماله المعد مسبقاً على رأس وفد في زيارة تفقدية لمدينة xx، للوقوف على جهودها في حل مشكلة تلوث البيئة. وفي اليوم التالي، خرج على رأس وفد إلى مدينة أخرى للوقوف على جهودها في تطوير المناطق العشوائية. وقد انتهوا من زيارة هذه المدينة عند غروب ذلك اليوم، وفي طريق العودة إلى عاصمة المقاطعة، استقبل هاتفه هذه الرسالة من دوان شياوتيه:

تحول إلى دخان وانتشر الدخان

فأخذ لي آن بانغ نفساً عميقاً ملاً به صدره. فقوله "تحول إلى دخان"، يعني أنه تم حرق جثة الفتاة التي كانت ترقد في المشرحة، وقوله "انتشر الدخان"، تأكيد على التوصل إلى اتفاق مع أهلها، وهو ما يؤكد على أن الجاني في حادث لي دونغ ليانغ لم يعد له وجود في هذا العالم، وبالتالي لن يحقق معه أحد إلى الأبد، وهو ما يعني إغلاق ملف القضية بشكل نهائي. وكان قد مر على إقلاع لي آن بانغ عن التدخين ثمانية أعوام، ولكنه أخذ قبل ثلاثة أيام سيجارة من دوان شياوتيه، وطلب الآن سيجارة من السكرتير الجالس في المقعد الأمامي بجوار السائق، وأخذ منها نفساً عميقاً. فما جاء في الرسالة من قوله انتشار الدخان، لا يعني

انتهاء القضية فحسب، وإنما يعني انتهاء تأثيرها السلبي المتوقع على ترشحه لمنصب المحافظ. ثم استقبل هاتفه رسالة جديدة:

أتطلع للقائكم لعرض موضوع آخر

وأبي موضوع يهون مقارنة بحادث لي دونغ ليانغ وموت الفتاة. ولما كان لي آن بانغ في حالة نفسية يحسد عليها، اتصل بدوان شياوتيه قائلاً:

”أدعوك لتناول العشاء الليلة، وسأعود إلى البيت لأحضر زجاجة ماوتاي التي يبلغ عمرها ثلاثين عاماً“.

وما إن أنهى الاتصال، حتى قال السكرتير الجالس بجوار السائق:

”لم أرك سعيداً هكذا من قبل يا سيادة المحافظ لي“.

”جاءني زميل دراسة قديم من قوانغجو⁽¹²⁾، وقد أكرمني أشد الكرم خلال زيارتي الأخيرة لقوانغجو، ويجب أن أرد له الجميل اليوم وهو ضيف علينا“. قال باسمًا.

فأمسك السكرتير بهاتفه قائلاً:

”وهل أرتب لكم المكان المناسب للعشاء؟“.

”هذا لقاء شخصي، لا دخل لك به“. قال.

وتابع:

12- قوانغجو: مدينة قوانغجو أو كانتون عاصمة مقاطعة قوانغدونغ جنوب الصين، إحدى المدن الهامة والمركزية المعتمدة من مجلس الدولة الصيني، وإحدى أهم المدن التجارية الصينية، يعقد بها أهم المعارض التجارية على مستوى الصين والعالم. (المترجم)

”هذا الرجل يمتلك مؤسسة دولية، فإذا جعلنا هذا الرأسمالي يتحمل ثمن الوجبة، ولم ننفق يواناً واحداً من جيبنا، حققنا المقولة القائلة ”نأخذ من الأغنياء لنعطي الفقراء““.

فضحك السكرتير والسائق.

وصل لي آن بانغ ودوان شياوتيه إلى مطعم ”شويه جي للمأكولات الشعبية“ على ضفة النهر بالمدينة. وبمجرد عودته إلى المدينة، توجه لي آن بانغ إلى بيته، وهناك صرف السكرتير والسائق وأخبرهما بأن زميله القادم من قوانغجو سيرسل له بعد قليل سيارة تقله إلى مكان اللقاء، صعد شقته وأخذ حمامًا وارتدى ملابس غير رسمية، أخرج زجاجة نبيذ ماوتاي ذات الثلاثين عامًا، لفها في ورق الصحف ونزل ثانية ليستقل سيارة أجرة.

وما إن وصل إلى ضفة النهر، حتى وجد دوان شياوتيه ينتظره عند مدخل المطعم. وكان لي آن بانغ عادة ما يأتي إلى هنا لتناول الطعام برفقة دوان شياوتيه أو برفقة أي من القريبين منه. وكانت هذه المطاعم الشعبية تفتح أبوابها لزبائنها حتى الثالثة أو الرابعة فجرًا، لكسب مبلغ من المال بشق الأنفس، وتيسر على أصحاب الورديات الليلية أو الراغبين في تناول وجبات في أوقات متأخرة من الليل. وكان لي آن بانغ الذي يشغل منصب النائب الدائم للمحافظ قد عاش حياة الترف والبذخ خلال السنوات الأخيرة لمسايرة من حوله، فكان يتناول الطعام في الفنادق الفاخرة، وربما كان لنشأته الريفية تأثيرها على عدم تعوده على تلك الولائم المترفة، والتي كانت تكلفة الطاولة الواحدة منها تتكلف عشرات الآلاف من اليوانات، حتى إنه كان يأكل قدرًا ضئيلًا جدًا من الأطباق الشهية باهظة الثمن التي كانت تملأ تلك الطاولات بما فيها أطباق قواقع البحر، زعانف سمك القرش، أطباق عش الغراب، خيار البحر والمحار اللزج وغيرها من الأطباق، والتي كان يشعر بشيء من التقزز عند

تناولها، بل وكان يرى أن إنفاق عشرات الآلاف من اليوانات في وجبة واحدة يعادل ما يكسبه الفلاح في قرите في مدار عام كامل، فالأمر يبدو من وجهة نظره جريمة في حق هؤلاء، أما المطاعم التي اعتاد الذهاب إليها ويأكل فيها بشهية، هي تلك المطاعم الشعبية مثل "شويه جي للمأكولات الشعبية"، بحيث تكلفت وجبتهما في هذا المطعم نحو أربعين إلى خمسين يواناً فقط. وتتميز وجبات هذه المطاعم الشعبية باستخدام كمية كبيرة من الزيت والتوابل في الطبخ، كما تتميز بمذاقها الحار والمالح، وتهتم بالنكهات التي يفضلها لي آن بانغ بسبب نشأته الريفية. كما أن "التعليمات الثمانية" التي حددتها الحكومة المركزية خلال السنوات الأخيرة، والتي تحظر على المسؤولين الإسراف في الطعام والشراب، كان لها الدور الأكبر في تخليص لي آن بانغ من الولايم الفاخرة. وبما أنه يشغل منصب النائب الدائم للمحافظ، فقد كان لي آن بانغ كثير الظهور في النشرات التلفزيونية، وبطبيعة الحال فإن تواجده في مثل هذه المطاعم الشعبية يجذب النظر إليه، وقد يتواجد من يتعرف عليه هناك، وإن كان ذلك يحدث قليلاً بالنسبة لترده على ذلك المطعم؛ لأن الزبائن كانوا يقصدون المطعم لتناول الطعام وليس للتعرف على المشاهير، بل ولن ينتبه إليك أحد طالما لم يصدر منك ما يثير انتباه الآخرين، أما إذا حدث وتعرف عليه أحد هناك، فلا يتعدى الأمر اندهاشهم وشعورهم بقرب لي آن بانغ من المواطنين، وقد لا يتعدى الأمر تساؤل أحدهم:

- هل جنئت لتقصي أحوال المواطنين يا سيادة المحافظ لي؟

- أحييك على وعيك الذي يتجاوزني بكثير، لقد أتيت لتناول الطعام، بينما أنت ربطت ذلك بعملتي. يرد لي آن بانغ.

فيضحك رواد المطعم. ويتقدم من يملك الشجاعة منهم لطلب التقاط الصور التذكارية مع لي آن بانغ، فيرحب هو بالتقاط الصور الجماعية مع رواد المطعم. فما الذي يمنح الإنسان من تناول وجبة في مثل هذه الأجواء التي تغمرها السعادة؟ وبمجرد دخولهما مطعم "شويه جي للمأكولات الشعبية"، أختار لي آن بانغ ودوان شياوتيه ركنًا مطلقاً على النهر، ونادى دوان شياوتيه صاحبة المطعم وطلب منها طبقتين من الأظعمة الباردة طبق فول سوداني وخيار مخلل، وأربعة أطباق ساخنة شملت طبقاً من اللحم المملح المقلي، طبقاً من سمك المطواق المقلي، طبقاً من شرائح البطاطا وطقاً من جبن الصويا المطبوخ، وجميعها من الأطباق المفضلة لدى لي آن بانغ. وقد تعرفت صاحبة المطعم على لي آن بانغ الذي جاء إلى مطعمها لتناول الطعام من قبل، فلم يظهر عليها الاندهاش برؤيته هذه المرة، ولكنها سألته وهي تسجل ما طلبه دوان شياوتيه:

- سمعت يا سيادة المحافظ لي أنه سوف يمر طريق جديد على ضفة النهر، فهل سيخترق الطريق مطعمنا هذا؟

وكان لي آن بانغ يعلم أن هيئة الإسكان بالمدينة تخطط لتطوير المنطقة المحيطة بالنهر، بهدف إنشاء حديقة عامة حول النهر، وتحويل المنطقة المحيطة بالنهر إلى منطقة سياحية وثقافية ترمز للمدينة، بحيث تضاء أنوار المباني الواقعة على ضفاف النهر ليلاً، لتظهر بصورة تفوق جمال مانهاتن. فأجابها لي آن بانغ باسمًا:

- الموضوع لا يزال قيد الدراسة. وإذا حدث فلن يخترق مطعمكم، وإذا وقع عكس ذلك، فسأوفر لك على ضفة النهر موقعًا أفضل من موقعك الحالي.

فقالت صاحبة المطعم وقد أخذت نفساً عميقاً:

- رعتك الآلهة، سيجلني رذك هذا أغرق في النوم الليلة بعد أن خاصم جفني خمسة عشر يوماً متصلة.

- لن أفعل ذلك لأجلك أنت، وإنما لأجلي أنا شخصياً، فأين سأذهب إذا هُدم مطعمك؟ يقول.

فضحكت صاحبة المطعم بصوت مسموع، وأسرعت إلى المطبخ وهي في سعادة بالغة. وبعد دقيقتين أتت لهما بطبقي الفول السوداني والخيار المخلل، ثم عادت إلى المطبخ لتستعجل الأطباق الساخنة. وأتى دوان شياوتيه بكأسين، ثم أمسك بزجاجة نبيذ ماوتاي التي جاء بها لي أن بانغ، ثم نظر حوله حتى تأكد من أن أحداً لا يلتفت إليهما، وفتح لفافة ورق الصحف ثم فتح زجاجة النبيذ لتُحدث صوتاً، وسكب منها في الكأسين، ثم وضع الزجاجة في حقيبته. فكان يخشى إذا وضعها على الطاولة أن يراها أحد من عامة الناس الذين يأكلون في هذا المطعم الشعبي، والذين يتناولون البيرة البيضاء والتي يبلغ ثمن الزجاجة منها اثني عشر يواناً، كما أن اشتراك شخصين فقط في تناول زجاجة نبيذ، وسكب النبيذ في كؤوس كبيرة كانت عادة اعتاد عليها لي أن بانغ قبل خمسة وعشرين عاماً عندما كان يشغل منصب السكرتير الحزبي لمدينة ×× برفقة دوان شياوتيه. فكان لدى السكرتير الكثير من الأعمال التي لا تنتهي حتى منتصف الليل، حتى إن لي أن بانغ كان يثنيه الكسل عن العودة إلى البيت، فيضطر للنوم في مكتبه، ولم تكن كانغ شويينغ قد حملت بابنهما بعد، وكانت حينها تسعى إلى ذلك، وهذا ما كان يؤرقها كثيراً، بل ويزعجه هو أيضاً. فكان ينشغل في عمله حتى الثانية عشرة بعد منتصف الليل، حتى إذا ما شعر بالجوع، لم يجد في مبنى البلدية

أحدًا لا يزال مستيقظًا إلا الشرطي دون شياوتيه الذي كان مسؤولًا عن أمن مبنى البلدية، فيناديه لي آن بانغ ويعطيه مبلغًا من المال ويطلب منه شراء دجاجة مشوية من ناصية الشارع، أو إوزة طازجة ويطلب منه طهيها على الموقد مع بعض الفول السوداني، ثم يأتي لي آن بانغ بزجاجة نبيذ من غرفة نومه، ويسكب منها في سلطانيتين كبيرتين من الخبز، ويستمتع الاثنان بتناول الدجاج أو الإوز مع الفول السوداني والنبيذ، حتى ينهيا الكمية كاملة خلال نصف ساعة من الزمن. وكان دون شياوتيه في بداية الأمر يعبر عن عدم رغبته في الشراب قائلاً:

- معذرة يا سيادة السكرتير لي أنا في وردية ليلية الآن، فلا يمكنني الشراب، لتسمح لي بمرافقتك في تناول الفول السوداني فقط.

- ولماذا تداوم في وردية ليلية؟ يسأل لي آن بانغ.

- لحفظ أمن مبنى حكومة البلدية. يرد دون شياوتيه.

- إذا لم يُحفظ أمن حكومة بلدية ما، فستعم الفوضى جميع أرجاء هذه البلدية، وإن هناك احتمالين لحدوث هذا الأمر. يقول.

- وما هما؟ يسأل دون شياوتيه.

- الاحتمال الأول عودة الشياطين اليابانيين⁽¹³⁾ لاحتلال بلدنا، والثاني تظاهر الجماهير لإسقاط الحزب الشيوعي. فهل يمكن حدوث هذين الاحتمالين اليوم؟

يفكر دون شياوتيه قليلاً ثم يقول:

13- تعبير انتشر في الصين خلال سنوات العدوان الياباني على الصين للإشارة إلى المعتدي الياباني. (المترجم).

- لا يمكن.

- إذا كان الرد بنعم فلا يمكن أن تتهاون في عملك، وإذا كان الرد بـ“لا”، فعليك أن تشرب معي. يقول.

فيرفع دوان شياوتيه كأسه ويقول ضاحكًا:

- معك حق يا سيادة السكرتير لي، وسأشرب معك.

ثم يؤكد عليه قائلاً:

- ولكن أرجو منك ألا تخبر مديرنا غدًا.

- لن أخبره. يقول لي أن بانغ.

فيمسك كل منهما بكأسه الخزفية الكبيرة، ويتشاركان في الشراب. ومن كان يدري أن تمر خمسة وعشرون عامًا، ويعودا لشراب النبيذ معًا على ضفة النهر. كما أن هذه السنوات الخمس والعشرين شهدت تغيرات كبيرة في حياة كل منهما، فأصبح لي أن بانغ النائب الدائم لمحافظة هذه المقاطعة، ووصل دوان شياوتيه إلى منصب نائب مدير أمن المقاطعة. وفي بعض الأحيان كانا يتذكran تلك الفترة من حياتهما، فيقول لي أن بانغ متحسرًا:

- ولكن ما أجمل تلك الأيام قبل خمسة وعشرين عامًا.

- لم أذق أشهى من دجاج وبط تلك الفترة. يقول دوان شياوتيه.

- لا أقصد ذلك.

فيطالع دوان شياوتيه لي أن بانغ. فيقول لي أن بانغ موضحًا:

- كنا في ريعان الشباب، فلا يوجد في هذه الدنيا أفضل من مرحلة الشباب.

- ولكنك لا تزال تبدو شاباً يا سيادة المحافظ. يقول دوان شياوتيه. فيهز لي آن بانغ رأسه ضاحكاً.

ثم ينشغلان بمراقبة الأنوار المنعكسة على صفحة ماء النهر، ويبدأن بتناول الفول السوداني المملح والخيار المخلل ويستمتعان بنبيذ ماوتاي. وما هي إلا دقائق قليلة وتأتي لهما صاحبة المطعم بالأطباق الأربعة الساخنة. فيبدأ لي آن بانغ بطبق شرائح اللحم المقلي، ويتجرع رشفة من كأسه ويسأل دوان شياوتيه:

- ذكرت في رسالتك لي على الويشات⁽¹⁴⁾ أنك تريد الحديث معي في أمر آخر، فما هو؟

فيتوقف دوان شياوتيه عن تناول الطعام، ويرد قائلاً:

- الأمر الأول ضرورة أن تخرج زوجة أخي من المشفى في الحال. ويقصد بقوله "زوجة أخي" كانغ شوبينغ زوجة لي آن بانغ. فيأتيه رد لي آن بانغ:

- أليس بقاؤها في المشفى أفضل بكثير من خروجها؟ فبقاؤها هناك سيجنبنا الكثير من المشاكل.

- إنها لم تتسبب في مشاكل متعلقة بالحادث، وإنما بدأت في إثارة

14- الويشات wechat: تطبيق تواصل اجتماعي صيني واسع الانتشار داخل وخارج الصين. (المترجم)

مشاكل أخرى. يرد دوان شياوتيه.

- ماذا تقصد؟ يسأل لي آن بانغ.

- خلال الأيام القليلة الماضية، كانت تتصل بي كل ساعة تقريباً، وتسألني عن لي دونغ ليانغ والفتاة التي ماتت في الحادث. فلم أخبرها بأمر احتجاز لي دونغ ليانغ حتى أخفف عنها، وأخبرتها بأنه الآن في مكانٍ ما لحمايته، كما لم أخبرها بتفاصيل موضوع الفتاة، واكتفيت بقولي إنه جارٍ تسوية الأمر حتى تطمئن، هكذا حتى اطمأنت لهذا الموضوع ولم تتصل بي ثانية. وبالنظر إلى هذا الموضوع المعقد، فقد فكرت في أنه من الأفضل بقاءها في المشفى عدة أيام، إلى أن جاءني صباح اليوم اتصال من السيد تشي مدير المشفى، قال فيه إنه يُفضل أن تغادر زوجة أخي المشفى في أقرب وقت ممكن.

فقال لي آن بانغ مندهشاً:

- وماذا يقصد بذلك؟

- كانت زوجة أخي قد مرضت بسبب تأثرها بموضوع لي دونغ ليانغ، ولكن ما إن اطمأنت بشأنه حتى تحسنت صحتها، فبدأت تتواصل مع أصدقائها من المشفى، حتى علم عدد كبير منهم بإقامتها في المشفى، فتوافد على المشفى عدد كبير من التجار وبعض قيادات المدينة لزيارتها، وحملوا معهم الكثير من الهدايا التي ملأت عنبر المرضى. وأخبرني المدير تشي أننا الآن في مرحلة تطبيق "التعليمات الثمانية"، هذا بالإضافة إلى هذه المرحلة الحاسمة في تاريخك الوظيفي، وأنه قد يستغل أحدهم تصرفات زوجة أخي للإضرار بك، ولم يكن المدير تشي ليتحدث في هذا الأمر إلا بحكم علاقتنا الطيبة به...

وهذا ما لم يتوقعه لي آن بانغ، فخلال إقامة زوجته في المشفى طيلة الأيام الماضية لم يقم بزيارتها للاطمئنان عليها لعدة أسباب، أولها: أن دوان شياوتيه لا يزال يتابع مع نفس المشفى موضوع الفتاة التي ماتت في الحادث، فيخشى أن يلفت الأنظار إليه، ثانيًا: لأنه عرف أنها استردت عافيتها فاطمأن بشأنها، ثالثًا: لأنه كان لا يرغب في أن ينتبه أحد إلى أي تغيير في جدول عمله اليومي، وكان يذهب إلى عمله في موعده المحدد، رابعًا: لأن موضوع الحادث وموت الفتاة لا يزال قيد التسوية بشكل سري، فكان لا يزال غير مطمئن بشأن هذا الحادث، مما جعله لا يهتم بأمر زوجته، ولكن لم يتصور أنه في ظل عدم اهتمامه بأمرها، راحت هي تتصرف من تلقاء نفسها وتبدأ في إثارة المشاكل، مما جعله يفكر في بقائها في المشفى لمدة أطول تجنبًا للمشاكل، إلا أنه لم يتخيل أن تستغل وجودها هناك وتثير مشاكل أكبر مما كان يتوقعها منها. فقال وهو يعرض على شفتيه:

- هذه الرعناء! إنها تلقي بنفسها إلى الجحيم!

وود أن يضرب الطاولة بكل ما أوتي من قوة، ولكنه تنازل عن هذه الفكرة بعد أن انتبه إلى المطعم الذي يعج بالزبائن، فهمس إلى دوان شياوتيه قائلاً:

- ما رأيك أن تذهب إليها بعد قليل لتهدئها بأن لجنة الانضباط بالمقاطعة بدأت التحقيق في موضوع الهدايا، حتى تبادر هذه الوغدة بمغادرة المشفى.

فهم دوان شياوتيه قصد لي آن بانغ، ثم هز رأسه بالموافقة.

- والأمر الثاني؟ سأل لي آن بانغ.

- يجب أن يغادر لي دونغ ليانغ المدينة في الحال. رد دوان شياوتيه.

وهذا ما لم يتوقعه أيضاً لي آن بانغ، فقال:

- ألم تقل بأنه تمت تسوية الموضوع مع أهل الفتاة؟

- لست قلقاً من ناحيتهم، ولكن مَنْ يقلقني هو لي دونغ ليانغ نفسه.

يرد.

- وما الذي يقلقك منه؟ يسأل لي آن بانغ.

- إن أكثر ما يقلقني منه لسانه....

فنظر إليه لي آن بانغ نظرة توحى برغبته في سماع المزيد من التفاصيل، فتابع دوان شياوتيه:

- لم يكن لي دونغ ليانغ ملتزماً على مدار الأيام الماضية في الحجز، وبالرغم من أنهم أولوه كل الاهتمام ورتبوا له غرفة خاصة، مع تقديم طبقين من الطعام في كل وجبة، لكن لم يُرضه كل هذا الاهتمام، بل وطلب من الشرطي المسؤول أن يأتي له بالسجائر والنبيد، فكيف يمكن ذلك في الحجز؟ فوبخه الشرطي توبيخاً بسيطاً، فهل تعرف ماذا كان رده على الشرطي؟

- ماذا قال؟

- انتظروا حتى أخرج من هنا، وسوف أودبكم أيها الصعاليك؟

ولم يحتمل لي آن بانغ هذه المرة ما سمعه، فضرب الطاولة بيده، وإذا بجميع مَنْ بالمطعم ينظرون إليه، ثم قال بعد أن هدأت ثورته وهو يرفع كأسه:

- جاء دورك، ولك حرية التصرف!

فرفع دوان شياوتيه كأسه، وهمس إليه بعد أن تجرع رشفة:

- وفقاً لأمر الاحتجاز السابق، فإنه يجب أن يخرج غداً، وأخشى أن يصدر منه بعد خروجه تصرف طائش فيقوم بإفشاء الأمر، وربما لن يحدث ذلك في الأوقات العادية، ولكن من السهل حدوثه في حالة سكره. كما أنه شخص يحب التباهي، وقد يتباهى بذلك أمام أصدقائه من باب استعراض بطولاته، وكما تعلم يا سيادة القائد أن الأمر يتعلق بموت إحداهن وليس أمراً عادياً.

فقال لي آن بانغ وهو يعض على أسنانه:

- أحقق مثل أمه.

وتابع متنهداً:

- ولكن إلى أين سنرسله؟

- كلما سافر بعيداً كان أفضل.

فغرق لي آن بانغ في تفكير عميق، ثم قال بعد تفكير طويل:

- ما رأيك أن تحجز هذا الصعلوك لمدة أسبوعين إضافيين.

هذا بينما كان دوان شياوتيه شارداً، وما إن أفاق من شروده حتى فهم ما يقصده لي آن بانغ، وهو عدم خروجه من الحجز غداً حسب الموعد المحدد، وإبقاؤه هناك لمدة أسبوعين إضافيين. ثم انتبه إلى أنه يخشى أن بقاء لي دونغ ليانغ في الحجز لأسبوعين إضافيين سيتسبب في الكثير من المشاكل، وبالنظر إلى هذا التوقيت الحرج بالنسبة للي

آن بانغ، وإذا حدث أي شيء خلال هذه الفترة فسيكون له تأثير مباشر على لي دونغ ليانغ في الحجز. فقال دوان شياوتيه:

- دعني أفكر في حل بعد عودتي، وسأبدأ فوراً في الإجراءات اللازمة. على أي حال لا يمكن إبقاؤه هناك إلى الأبد، ويفضل التفكير في خطة مناسبة.

فهز لي آن بانغ رأسه بالموافقة. وقد تسبب إثارة هذين الموضوعين في فقدانه الرغبة في تناول الطعام، فأشار إلى دوان شياوتيه بالذهاب لدفع الفاتورة، كما رغب في العودة مبكراً لترتيب أفكاره، أملاً في الوصول إلى خطة مناسبة لموضوع لي دونغ ليانغ. إلا أنه فكر فجأة في ما كان قبل ثمانية عشر عاماً، ماذا إذا لم تنجح محاولات زوجته في حل مشكلة انسداد قناة فالوب، ولو لم يكن هناك دواء أو عملية جراحية تحل هذه المشكلة، إذا لم يحدث ذلك لما كان لديه الآن هذا الابن العاق. فأخذ تنهيدة قبل أن يمسك بمعطفه استعداداً للمغادرة، وفي تلك اللحظة عاد دوان شياوتيه بعد دفع الفاتورة، وقال:

- لدي موضوع آخر أرغب في عرضه عليكم يا سيادة المحافظ.

فلم يجد لي آن بانغ بُدّاً من أن يضع معطفه على مسند المقعد، ويقول بعد أن جلس ثانية:

- أي موضوع؟

- موضوع شخصي. يرد دوان شياوتيه.

- وما هو هذا الموضوع الشخصي؟ يسأل لي آن بانغ.

قال دوان شياوتيه متلعثماً:

- أعلم بأن هناك حركة تغييرات وشيكة على مستوى قيادات المقاطعة، ووفقاً للأنظمة، فإن هذه الحركة سيتبناها حركة مماثلة على مستوى قيادات المدن، وأتمنى أن أحظى بمساعدتكم في الحصول على فرصة للتدريب في منصب أدنى.

- ماذا تقصد بمنصب أدنى؟ أنت الآن نائب مدير أمن المقاطعة، فهل ترغب في النزول إلى مدير أمن إحدى المدن؟ يقول لي أن بانغ.

- بل أرغب في ترك العمل بالجهات الأمنية، والحصول على فرصة كرئيس لإحدى المدن، مثل سونغ ياو وو. يرد دوان شياوتيه متلعثمًا.

وسونغ ياو وو هو أحد الذين يدعمهم لي أن بانغ، كان يشغل منصب سكرتير لي أن بانغ خلال فترة عمله كسكرتير حزبي ببلدية xx، وكان لي أن بانغ قد وجد فيه مثل دوان شياوتيه أنه قليل الكلام، مخلص، سريع البديهة وملتزم بالمبادئ والقوانين، مما جعله يتبناه ويرقيه من سكرتير بمكتب قيادة البلدية إلى نائب مدير أحد المكاتب، ثم سكرتير حزبي بإحدى القرى التابعة لذات البلدية، قبل أن يعيده بعد ثلاث سنوات إلى المدينة في منصب نائب رئيس المدينة، ومع الترقيات المتوالية التي حصل عليها لي أن بانغ لاحقًا، تدرج معه سونغ ياو وو ليشغل عدة مناصب مرورًا بالنائب الدائم لرئيس البلدية، رئيس بلدية، السكرتير الحزبي بإحدى البلديات، نائب رئيس مدينة، نائب دائم لرئيس المدينة، قبل أن يترقى العام الماضي إلى رئيس إحدى المدن. ولا يزال سونغ ياو وو مثله مثل دوان شياوتيه يحافظ على احترامه للي أن بانغ، وبالرغم من منصبه كرئيس مدينة، إلا أنه لا يجروء على الحديث مع لي أن بانغ جالسًا، ويناديه في وجود الآخرين بـ “سيادة المحافظ لي”، ويناديه في ما بينهما بـ “سيادة القائد”. ولكن سونغ ياو وو كان يختلف عن

دوان شياوتيه في كونه شخصية مناسبة للعمل الإداري بما يتمتع به من مستوى ثقافي عالٍ وذكاء، كما أنه تدرج في المناصب القيادية على مستوى القرية والبلدية والمدينة، فكانت ترقيته إلى رئيس مدينة أمرًا طبيعيًا. في حين بدأ دوان شياوتيه حياته الوظيفية كرجل شرطة، كما أنه لم يكن يتمتع بمستوى ثقافي عالٍ، فتمت ترقيته في ما بعد إلى رئيس لأحد أقسام الشرطة، ثم تدرج في المناصب الأمنية بدءًا من نائب مدير أمن بلدية، فمدير أمن بلدية، نائب مدير أمن المدينة ثم مدير أمن المدينة حتى شغل منصبه الحالي كنائب لمدير أمن المقاطعة، ولكن يبقى أن ترقيته كانت داخل الجهاز الأمني، ولم يحدث أن ترقى أحدهم من منصب نائب مدير بالجهاز الأمني إلى رئيس مدينة، حتى ولو كان مدير أمن المقاطعة نفسه من الصعب ترقيته إلى مسؤول على مستوى المدينة. فقال لي آن بانغ مقطبًا:

- بإمكانني التدخل في ما يتعلق بالمناصب المساعدة على مستوى حكومة المقاطعة، أما المناصب القيادية على مستوى المدن فهذا يتطلب تدخل السكرتير الحزبي أو المحافظ، فالأمر ليس بيدي.

رد دوان شياوتيه باسمًا:

- لكن سيكون بيدكم في حالة ترقيتكم لمنصب المحافظ، أليس كذلك؟

لم يتخيل لي آن بانغ أن يسمع منه هذا الرد. فبدأ يتعامل مع الأمر بحذر، فقبل الخوض في هذا الموضوع، كان دوان شياوتيه قبل قليل يتحدث معه بشأن زوجته وابنه، هذا بالإضافة إلى أنه مسؤول هذه الفترة عن تسوية حادث ابنه لي دونغ ليانغ والفتاة التي ماتت في الحادث، فأحس لي آن بانغ أن قيامه بإثارة موضوعه الشخصي مع موضوعي زوجته وابنه تفوح منه رائحة الرغبة في تبادل المصالح. والأخطر من ذلك أنه إذا تسرب خبر الحادث وموت الفتاة، فسيكون لذلك تأثير على

ترقية لي أن بانغ إلى منصب المحافظ، وإذا حدث وترقى إلى منصب المحافظ، فسيكون لدوان شياوتيه دوره الكبير في إخفاء أمر حادث ابنه لي دونغ ليانغ، ومن ثم فيجب أن يكافئه على جهده. وأحس فجأة أن دوان شياوتيه المائل أمامه الآن ليس نفس الشخص الذي يعرفه منذ سنوات. فقال لي أن بانغ:

- لم أسمع منك من قبل هذه الرغبة في تغيير جهة عملك، فهل كانت فكرة شخصية أم اقترحها عليك أحدهم؟

- وكيف يمكن أن أتحدث مع أحد في مثل هذه الأمور؟ إنها مجرد فكرة غير ناضجة لشخصي. رد دوان شياوتيه بلهجة قاطعة.

فاشتم لي أن بانغ من رده أن أحدهم وراء هذه الفكرة، والدليل على ذلك أنه اشتم ذلك من كلامه بكل سهولة، فقال لي أن بانغ بلهجة عادية وكأن شيئاً لم يحدث:

- جميل أن تراودك هذه الفكرة، فهي خطوة على طريق التقدم.

فهز دوان شياوتيه رأسه بالتأكيد قائلاً:

- وهذا ما أراه أنا أيضاً، فهي أفضل من أن أظل حبيس الجهات الأمنية طول حياتي.

- منذ متى نعرف بعضنا يا دوان شياوتيه؟ سأل لي أن بانغ.

- منذ خمسة وعشرين عاماً، حينما كنت أحد حراسك وقت أن كنت تشغل منصب السكرتير الحزبي بالبلدية. رد دوان شياوتيه.

- وهل سبق أن ساعدتك خلال هذه السنوات؟ يسأل.

- وكيف كنت سأصل إلى ما أنا فيه الآن دون رعايتكم لي؟ يرد دوان شياوتيه.

- وهل ترى أنه بإمكانني مساعدتك على الدوام؟

يفكر دوان شياوتيه قليلاً قبل أن يقول بلهجة قاطعة:

- بالطبع بإمكانك، فأنت أحد القيادات المركزية، وأنا أحد رجالك.

فهز لي أن بانغ رأسه بالنفي قائلاً:

- ليس هذا السبب الوحيد، فهل هناك أسباب أخرى؟

فذهل دوان شياوتيه، وفكر طويلاً ولم يصل لرد مناسب، وهنا قال لي
أن بانغ وهو يشير إليه:

- لأنك أنت أيضاً تساعدني باستمرار.

وتابع:

- أنت تشترط أن أساعدك في حالة ترقيتي إلى منصب المحافظ،
ولكني سأجتهد في تزكيتك عند السكرتير الحزبي والمحافظ، حتى إذا
لم أحصل على الترقية.

فما إن سمع دوان شياوتيه هذا الرد، حتى قال بصوت مرتفع:

- أكرر شكري لكم سيادة القائد.

فوضع لي أن بانغ يده على فمه في عجالة، وألمح لدوان شياوتيه
أن ينتبه لهذا الجمع الكبير في المطعم. ففهم دوان شياوتيه، وضحك
ضحكة خجولة. ثم أخذ لي أن بانغ معطفه وسبقه في مغادرة "المطعم
الشعبي".

قضى لي أن بانغ ليلته يفكر، ولم يهتدِ إلى مكان مناسب لإيواء ابنه لي دوانغ ليانغ. وقد وافق على اقتراح دوان شياوتيه، وأنه إذا بقي لي دوانغ ليانغ في المدينة بعد خروجه من الحجز، فإنه قد يثير بعض الفوضى التي ستزيد مع مرور الوقت، وبما أن هذين الأسبوعين يمثلان مرحلة حاسمة في حياة لي أن بانغ الوظيفية، فإنه يفضل بقاء لي دوانغ ليانغ في الحجز لمدة أسبوعين إضافيين، لكن ماذا بعد الأسبوعين؟ فلا يمكن أن يبقى في الحجز طيلة حياته؟ فيجب التفكير في خطة مناسبة لهذه المشكلة. وبطبيعة الحال يمكن التفكير في مغادرة لي دوانغ ليانغ هذه المقاطعة، على أن يسافر إلى بكين أو أي مقاطعة أخرى لاستكمال دراسته، فبحكم عمله كنائب للمحافظ، استطاع لي أن بانغ من خلال حضوره الاجتماعات في بكين وعدد من المقاطعات الأخرى تكوين صداقات مع عدد من القيادات في بكين ومدن ومقاطعات أخرى، ولكن بالنظر إلى المشاكل التي أثارها لي دوانغ ليانغ في هذه المقاطعة، فهل يستبعد أن يثير المزيد من المشاكل في بكين أو غيرها من المقاطعات؟ وإذا حدث ذلك، فلن يكون بمقدور لي أن بانغ فعل شيء بحكم بُعد المسافة، مما سيزيد من حجم المشكلة، ولن يكون أفضل من قدرته على دفع الأذى عنه في هذه المقاطعة. فمضى يفكر ولكنه لم يصل إلى قفص مناسب لحبس هذا الحيوان. بل إنه إذا كان حيواناً بالمعنى الحقيقي للكلمة، لكان من السهل العثور على قفص مناسب له، فأقفاص الحيوانات تصنع من الحديد، ولكنه حيوان وإنسان في الوقت نفسه، فالإنسان يمكن حبسه في الحجز أو السجن، ولكن من الصعب العثور

على قفص مناسب لحبسه داخل المجتمع. فالإنسان هو الذي يسيطر على المجتمع. وفضلاً عن التأكد من القفص، فإنه يجب أن يكون القائم عليه شخصاً موثقاً به، فأين يبحث عن القفص والشخص المناسب؟ فأخذ يفكر حتى أصابه الصداع، بل ولم يهتد إلى مكان مناسب لإيواء ابنه بالرغم من مساحة الصين الشاسعة. فأخذ تنهيدة، وفكر أن ما يتعرض له بسبب غضب الأسلاف عليه، حتى يرزق بهذا الابن العاق، أو أنه قصر في حقه من قبل، وأنه جاء وقت الحساب. وقد خاصمه النوم حتى تورمت عيناه. وأثناء استقلاله السيارة من بيته إلى عمله بمبنى المحافظة، رأى من النافذة جموع الداهيين إلى أعمالهم، وأحس بأن أي إنسان في هذا العالم أسعد منه، فحتى إذا كنت عاملاً بسيطاً، أو عاملاً زراعياً أو صاحب مطعم شعبي، فإنك حتى إذا كنت تعيش على القليل، فيكفيك أن يكون لديك زوجة صالحة وأبناء مجتهدون حتى تعيش في سعادة ووثام. أما لي آن بانغ فهذا الذي يبدو أمام الجميع صاحب منصب قيادي كبير بالمقاطعة، فإن لديه زوجة حمقاء وولداً عاقاً قاتلاً، بل ولا يبالي بجريمته ولا يعرف متى ستحط مصائبه على رأس أبيه. وهكذا مضى غارقاً في بحر من التفكير، حتى وصلت السيارة مبنى حكومة المقاطعة، والذي كان يحرسه عدد من أفراد الجيش. وكان الجنود يعرفون جيداً صوت صافرة سيارة لي آن بانغ، فما إن تقترب منهم السيارة حتى يؤدوا له التحية. فأيقظته هذه التحية من التفكير وهدته إلى فكرة جديدة تماماً. ماذا لو أرسل ابنه لي دونغ ليانغ للخدمة في الجيش، إنه حل جيد لمشكلته، أليس كذلك؟ والسبب في ذلك أولاً: أن الجيش معروف بالانضباط وبإمكانه السيطرة على لي دونغ ليانغ، ثانياً: أن الجنود هناك لا يملكون حرية الخروج من وحداتهم، وبالتالي لن يتمكن لي دونغ ليانغ من الخروج وإثارة المشاكل، ثالثاً: أن معسكرات

الجيش محكمة الإغلاق وستكون فرصة لإخفاء لي دونغ ليانغ. وكأنه بعد أن أجهد نفسه في التفكير دون الوصول إلى شيء، اهتدى أخيراً إلى هذه الفكرة بسهولة، وأن بصيرته قد تفتحت فجأة. فما إن دخل مكتبه، حتى اتصل بالقائد لياو قائد سرية ××. والذي تعود صداقة لي آن بانغ به إلى ستة أعوام، عندما كان لي آن بانغ يشغل منصب السكرتير الحزبي بمدينة ××. وكان مقر السرية يقع في حدود مدينة ××، وقد انتقل إليها القائد لياو قبل ستة أعوام. فكان لي آن بانغ آنذاك يذهب لزيارته في السرية في عيد رأس السنة من كل عام، وكان القائد لياو يرد الزيارة، هكذا حتى توطدت العلاقة في ما بينهما. ولم يكن القائد لياو يتمتع بقامة طويلة، ولكنه كان يتمتع بحجر قوية، وكانت ضحكته تزلزل الغرفة، وكما كان يتمتع بالصوت القوي، كان يتمتع أيضاً بقدرته الكبيرة على الشراب. وبالرغم من الخبرات الطويلة للي آن بانغ من عمله في القرى والبلديات، إلا أنه كان لا يستطيع مجاراة القائد ليو في الشراب. وعندما قام القائد ليو بعمل توسعة لموقع السرية، زاد له لي آن بانغ المساحة المحددة بمقدار مئة مو⁽¹⁵⁾، الأمر الذي قدره القائد لياو خير تقدير، فعندما حدث فيضان نهر اليانجستي، أرسل إليه القائد لياو بفرقة من الجنود وأحد ألوية المشاة الميكانيكية نجحت في حماية السد من تأثير الفيضان. حتى أصبحت العلاقة الجيدة بين حكومة مدينة ×× وقيادة السرية ×× مضرب المثل بين المواطنين، فحصلت مدينة ×× على لقب "نموذج دعم قوات الجيش" الذي تمنحه وزارة الشؤون المدنية، في حين حصلت السرية ×× على لقب "نموذج تأييد الحكومة وحماية الشعب" الذي تمنحه اللجنة العسكرية المركزية. وعندما انتقل

15 مو: وحدة مساحة صينية، 1 مو يعادل نحو 667 مترًا مربعًا، 1 هيكتار يعادل 15 مو. (المترجم)

لي أن بانغ من تلك المدينة إلى المقاطعة في منصب نائب المحافظ، أقام له القائد لياو مأدبة خاصة بقيادة السرية لوداعه. وقال القائد لياو في بداية المأدبة:

”هذه المأدبة ليس لها علاقة بالمال العام، وإنما على نفقتي الشخصية كتعبير بسيط عن محبتي لكم“. وتابع:

- فالجيش والشعب أسرة واحدة، وسأشرب ثلاث كؤوس متصلة على نخبكم.

فشرب القائد لياو الكؤوس الثلاث، ثم قال:

- والعلاقة الأخوية في ما بيننا أقوى وأعمق، وسأشرب ست كؤوس على نخبكم.

ثم شرب ست كؤوس. فوقف لي أن بانغ في عجلة وشرب معه تسع كؤوس. وخلال المأدبة، شرب الصديقان حتى الثمالة. وهكذا شعر لي أن بانغ بالاطمئنان لأن يرسل ابنه لي دونغ ليانغ إلى الجيش، وبمزيد من الاطمئنان لإرساله ليكون تحت رعاية هذا الصديق الحميم. فأمسك بهاتفه الجوال واتصل بالقائد لياو. وما إن رن جرس الهاتف رنتين، حتى جاءه صوت ضحكة القائد لياو، التي كادت تمزق طبلة أذنه. وقال القائد لياو:

- لقد أخطأت يا سيادة المحافظ لي؟

- وفيم أخطأت؟ قال لي أن بانغ مذهولاً.

- يشغلك أمر الترقية، ولا تهتم بنا نحن عامة الشعب، حتى إنك لم تتصل بي مجرد اتصال خلال زيارتك الأخيرة لمدينة ×× الأسبوع

الماضي، ألا ترى أن هذا من البيروقراطية؟

فقهقه لي آن بانغ قائلاً:

- دعك من افتراءاتهم يا سيادة القائد لياو، فأنا سعيد جداً ببلوغي المنصب الحالي. ثم تابع:

- ولم تستغرق زيارتي الأخيرة إلى مدينة xx أكثر من نصف يوم، مما جعلني أشعر بالحرَج للتواصل معكم، وسوف أرتب لاحقاً لزيارة خاصة لكم.

فقال القائد لياو:

- وهل لديك أي طلبات أخي العزيز؟ فنائب القائد العام تشين يزورنا الآن لتفقد تدريبات الاستعداد للحرب، وسوف أرافقه بعد قليل لتفقد فرقة المشاة الميكانيكية، فما رأيك أن نوجز القول؟

فلم يجد لي آن بانغ بُدّاً إلا أن يوجز قائلاً:

- ابني والذي سبق أن رأيتَه من قبل، وهو من أشد المعجبين بك، يتمنى أن يخدم معكم، فما رأيك؟

فقهقه القائد لياو قائلاً:

- أهلاً وسهلاً به.

ثم تابع يسأل:

- وكم عمره؟

فرد لي آن بانغ بزيادة عمر ابنه عامًا قائلاً:

- ثمانية عشر عامًا.

- ولماذا لم يلتحق بالجامعة؟ سأل القائد لياو.

- جيش التحرير هو أيضًا جامعة. رد لي أن بانغ.

فضحك القائد لياو ثم تابع:

- أنا أفضل الصراحة في القول، مستواه الدراسي ضعيف أليس كذلك؟

- هكذا هو القائد لياو يصيب الهدف مباشرة، شقاوته هي التي جعلتني أفكر في إرساله إليكم لتأديبه وإصلاحه. يقول لي أن بانغ.

- نحن هنا خير مكان لتأديب هؤلاء الأشقياء المشاغبيين. يرد القائد لياو.

وتابع يقول:

- ولدينا هنا عدد كبير من أبناء قيادات المقاطعة ومختلف المدن، الذين لم يتمكنوا من الالتحاق بالجامعة، جاؤوا إلينا للتجنيد، ثم رفعوا شعار الرغبة في خدمة الوطن ليلتحقوا بجامعة الجيش، فهل هذا ما تفكر فيه أنت أيضًا أخي العزيز؟

فضلاً عن الالتحاق بالجيش، هناك أيضًا فرصة الدراسة بجامعة الجيش، هذا ما لم يفكر فيه لي أن بانغ، وهذا سيكون بالنسبة للي دونغ ليانغ بمثابة ضرب عصفورين بحجر واحد، إذا هو تمكن من الالتحاق بالجامعة بعد انضمامه للجيش، أليس كذلك؟ فقال لي أن بانغ مستغلًا هذه الفكرة الجيدة:

- ليس أمامي سوى إزعاجكم أيها القائد لياو بهذه الأمور التي يصعب

عليّ اتخاذ قرار بشأنها.

فضحك القائد لياو قائلاً:

- في كل مرة أرى فيها ساحة السرية أتذكركم سيادة المحافظ لي،
فلقد ساعدتنا في الكثير من الأمور المهمة، ومن الواجب أن أرد لكم
جزءاً بسيطاً من أفضالكم.

- إذاً ما رأيك أن أرسله إليكم الشهر المقبل للتسجيل؟ يقول لي أن
بانغ.

فجاءه صوت القائد لياو يقول بلهجة مترددة:

- ربما لا يمكن ذلك. فالالتحاق بالجيش له مواعيد محددة، وغير ذلك
يكون مخالفة واضحة للوائح، كما أن اللجنة العسكرية المركزية تراقب
ذلك بكل صرامة مؤخراً. وتابع:

- التقديم يكون في شهر أغسطس من كل عام، ونحن الآن في أبريل،
فأمامكم أربعة أشهر فقط. ثم سأل:

- ولماذا العجلة يا سيادة المحافظ لي؟

وبما أن القائد لياو تطرق بسؤاله إلى هذه النقطة، فلم يجروا لي
أن بانغ على الإلحاح في طلبه، حتى لا يُساء فهمه بأن يحرضه على
مخالفة اللوائح والقوانين، بل وسيفتح الباب للشك في دوافعه لإلحاق
ابنه بالجيش، فقال:

- لست مستعجلاً، لست مستعجلاً، شكراً لكم سيادة القائد لياو،
وسننتظر أربعة أشهر.

وما إن أنهى لي آن بانغ اتصاله بالقائد لياو، حتى عاوده الشعور بالضيق. ومضى يفكر في أن هذا الحل يبدو حلاً جيداً، ولكنه يحتاج الانتظار أربعة أشهر ليتحقق، فماذا يمكن أن يفعل مع لي دونغ ليانغ خلال هذه الفترة وهو لا يزال في الحجز؟ فلا يمكن أن يتركه هناك أربعة أشهر. وبينما هو على هذه الحالة من الضيق، دخل إليه مدير مكتبه وأخبره بأن هناك قروي عجوز يقف عند مدخل مبنى المحافظة برفقة أحد أحفاده، ويصيح بأعلى صوته طالباً مقابلته، ولم يفلح الحراس في طردهما، حتى إن العجوز صاح فيهم وقال إنه عمك. فظن لي آن بانغ أن هذا القروي قد يكون أحد القرويين السذج من مسقط رأسه أو من مسقط رأس زوجته، وفكر في أن مثل هذا القروي إذا لم تعجل بلقائه، فإنه ليس فقط لن يغادر بسهولة، بل وقد يتفنن في افتعال الأزمات وإثارة الفوضى، فقال مقطباً:

- ائذن لهما بالدخول.

وما إن دخل الرجل وحفيده مكتب لي آن بانغ، حتى أصيب لي آن بانغ بدهشة كبيرة، فالعجوز الذي تحدثوا عنه ليس شخصاً غريباً، وإنما هو والد المدير جو مدير مكتب نواب الشعب بالمقاطعة. فقبل عدة أيام، كان لي آن بانغ قد اعتمد طريقة غير مباشرة بهدف حل خلاف ثمانية عشر عامًا بينه وبين جويوتشن، فكان أن قام بزيارة هذا الشيخ بمسقط جويوتشن بقرية ×× بلدية ×× بمدينة ×× دون علم جويوتشن، ثم وقع حادث ابنه لي دونغ ليانغ وموت الفتاة، فنسى لي آن بانغ أمر والد جويوتشن، فليس هناك ما هو أهم من حياة ابنه، ولم يكن يتخيل أن يجده بمكتبه الآن بعد أيام قليلة من زيارته له. ولم يكد لي آن بانغ يفيق من الصدمة، حتى تقدم منه والد جويوتشن، وقبض على يد لي آن بانغ

- ابن أخي، أنت أفضل إنسان في هذا العالم.

بقي لي أن بانغ في مكانه مذهولاً، وهو لا يدري ماذا حمل الرجل ليقول ما قال في حقه، قبل أن يدنو منه ذلك الحفيد الذي دخل برفقة العجوز ويمسك بياقته قائلاً:

- عمي، لقد كانت كلمة واحدة منك كفيلة بحل مشكلتي بالمحكمة، وترقيتي إلى رئيس قسم الخدمات.

عندئذ تذكر لي أن بانغ عندما طلب منه الشيخ المساعدة في حل مشكلة أحد أحفاده بمحكمة البلدية، وتذكر إلحاح الشيخ عندما طلب منه لي أن بانغ أن ينتظر بعض الوقت لحل المشكلة، حتى أجبره على التدخل والتشاور مع يوده شوي السكرتير الحزبي بالمدينة وسكرتير البلدية بينما هم في طريق عودتهم من القرية، ولم يتوقع تلك السرعة التي أنهى بها قيادات المدينة والبلدية الموضوع، فتم حل مشكلة حفيده خلال أيام قليلة من زيارته للبلدية. قبل أن يكتشف سلة البيض، وعدداً من صناديق المشروبات وعدداً من زجاجات النبيذ وعدداً من لفائف السجائر المرصوفة خلفهما، والتي كانت للتعبير عن شكرهما لإنهاء المشكلة. فسأل لي أن بانغ الحفيد وهو لا يعرف أضحك أم يبكي:

- وهذا جيد طالما حُلت مشكلتك، وهل أنت راضٍ عن منصبك الجديد؟

- لم أعد راضيًا كما كنت في بداية الأمر. فبالرغم من عملي بالمحكمة، إلا أنني أكره التعامل في القضايا، بينما أعشق منذ صغري العمل في المجال المالي. رد الحفيد.

وتدخل الشيخ قائلاً:

- كما أنه موكل إليه كل ما يتعلق بتوفير المتطلبات الحياتية في المحكمة، أليس كذلك؟

وتذكر قبل خمسة أيام وخلال مناقشة موضوع هذا الحفيد في السيارة، وصفه رئيس البلدية بأنه شخص لا يعتمد عليه وذو ذكاء محدود، ولكنه يبدو الآن ذا ذكاء مقبول، حتى إنه هو والجد يكلمان بعضهما الآخر خلال الحديث معه. بالرغم من كونه لا يعتمد عليه، لكن يبقى أن هذا الشيخ والد جويوتشن الذي يسعى لي أن بانغ في تخفيف حدة الخلاف معه، ويقول آخر فإن جزءاً من الموافقة على فوز لي أن بانغ بمنصب المحافظ في يد جويوتشن، وبالنظر إلى ما سمعه من قيادات البلدية، أن جويوتشن لا يزال حتى الآن يخاف من هذا الشيخ، كما أنه في لحظة من لحظات غضبه صفعه أمامهم، ومن ثم فإن تقوية علاقته بهذا الشيخ تعني أنه سيحصل على تأييد جويوتشن. وهكذا مضى لي أن بانغ يفكر في نفسه حتى شعر بالارتياح، فاستعجل السكرتير بسكب الشاي للضيفين، كما وجه لهما دعوة للغداء، الأمر الذي قبله الشيخ على الفور، ثم رفع له إصبع الإبهام تعبيراً عن سعادته بهذه الدعوة قائلاً:

- أنت رجل ذكي يا ابن أخي.

- ماذا تقصد؟ قال لي أن بانغ ولم يفهم مغزى السؤال.

- بمجرد نشر خبر دعوتك لنا للغداء بعد عودتنا إلى القرية، سيكون دليلاً على ترحيبك بنا، أليس كذلك؟ قال الشيخ.

فوجد لي أن بانغ نفسه من جديد في موقف لا يحسد عليه. ثم قال الحفيد في عجالة:

- وإذا ما أذعت بعد عودتي أنني تناولت الطعام مع المحافظ، فمنَّ سيجرؤ على مضايقتي؟

وأمر لي أن بانغ السكرتير بأن يحجز لهم غداء عمل بمطعم المقاطعة. ثم وجد لي أن بانغ نفسه في حيرة من أمره، وأخذ يفكر في نفسه أنه طالما أتى العجوز إلى المدينة، ووجه له هو دعوة الغداء، فهل يجب عليه دعوة جويوتشن، خاصة أن مبنى مكتب نواب الشعب الذي يعمل به جويوتشن يقع خلف مبنى المقاطعة؟ ولكن كيف لا يوجه له الدعوة وهذا والده الذي يسعى لي أن بانغ أن يستغل وساطته لحل الخلاف بينه وبين جويوتشن، فيجب أن يستغل وجودهما معاً لفتح الموضوع، ناهيك عن أنه يخاف من والده ولا يخاف من لي أن بانغ، ولكن هل إذا وجه له الدعوة سيساء فهمه لاستغلال دعوة الغداء في إنهاء الخلاف الذي دام ثمانية عشر عاماً في ما بينهما؟ وهل سيكون هدفه واضحاً من هذه الدعوة؟ هكذا وجد نفسه في حيرة من أمره، ولما عجز عن أن يتخذ القرار المناسب، اضطر إلى سؤال الشيخ قائلاً:

- أيها العم، هل يعلم جويوتشن بزيارتك للمدينة؟

- جئت لزيارتك أنت وليس هو، فلماذا تريده أن يعلم بالزيارة؟

ثم تابع وهو يشير إلى لي أن بانغ:

- كما أنك أفضل وأسرع منه في إنهاء الأمور.

فهم لي أن بانغ قصده، ولكنه قال محاولاً جس نبضه:

- وما رأيك في دعوة المدير جو ليشاركنا الغداء اليوم؟

- هذا أمر يخلصنا، فلماذا ندعوه؟ جاء رده في لهجة قاطعة.

فضحك لي آن بانغ، وقرر عدم إعلام جويوتشن بدعوة الغداء، ونظر في ساعته فإذا هي العاشرة والنصف صباحًا، فأمر السكرتير أن يصحبهما إلى قاعة انتظار الضيوف، ليواصل هو الاطلاع على بعض المستندات بمكتبه. وفي تمام الثانية عشرة ظهرًا، تحرك لي آن بانغ متوجهًا إلى المطعم، إلا أنه ما إن تخطت قدماه باب المكتب، حتى توقف فجأة وطلب من سكرتيه أن يعلم سكرتير جويوتشن بأن والده وصل اليوم إلى المدينة، وأنه سيتناول الغداء مع لي آن بانغ، ويطلب منه أن يسأل المدير جو إذا ما كان وقته يسمح بالحضور. وذلك بعد أن فكر كثيرًا في أنه يجب ألا يفوت هذه الفرصة للصلح بينه وبين جويوتشن، فلجنة التحقيق المركزية ستصل إلى المقاطعة بعد خمسة أيام، والوقت لا ينتظر أحدًا. وبما أنه لا يأمن ردة فعل جويوتشن، فقد فضل أن يتم ذلك من خلال السكرتارية. وعندما وصل لي آن بانغ المطعم، ودخل الغرفة، إذا بالشيخ والحفيد ينتظرانه، فجلس لي آن بانغ ودعاهما لاحتساء الشاي، حتى جاء النادل بالأطباق الباردة بعد مضي وقت طويل، وحتى اللحظة لم يصله رد من مكتب جويوتشن، فنظر السكرتير إلى لي آن بانغ، ثم دنا منه وهمس له:

- ما رأيكم في أن أتصل بسكرتير المدير جو لاستعجاله؟

فأشار إليه لي آن بانغ بالرفض، وأنه لا داعي لاستعجاله، فهو يعرف شخصية جويوتشن جيدًا، وأن خلاف ثمانية عشر عامًا لن يجدي معه مجرد الاستعجال، وأنه سيأتي إذا كان يرغب في ذلك، ولن يجدي معه الاستعجال إذا لم تكن لديه الرغبة في الحضور، بل سيأتي الأمر بنتيجة عكسية، عندئذ لم يجد لي آن بانغ بدًّا إلا أن يهتم بالضيفين قائلاً:

- دعنا نبدأ أيها العم. هل تشرب النبيذ أيها العم؟

- بالطبع سأشرب فهي فرصة نادرة للاجتماع معكم.

فضحك لي آن بانغ، ثم أشار للسكرتير بأن يفتح زجاجة النبيذ. عندئذ لم يجد الشيخ وحفيده غضاضة في استغلال الفرصة للشراب، فبعد أن اكتفى لي آن بانغ بثلاث كؤوس، حمل كل منهما كأسه ولم يتوقفا عن الشراب. ثم خرج لي آن بانغ إلى الحمام لقضاء حاجته، فصادف ذلك وجود لاجوي مدير المكتب التعليمي بالمقاطعة. فما إن رآه لاجوي أمامه، حتى أمسك بيده قائلاً:

- أرجو أن تساعدني في أمر ما يا سيادة المحافظ لي.

- وما هو؟

- يزورنا اليوم وفد من وزارة التعليم، وهم الآن يتناولون الغداء في غرفة رقم 208، فأرجو أن تأتي معي للترحيب بهم.

- ولكن استقبال ضيوف الجهات التعليمية من اختصاص لاوباي. يقول لي آن بانغ.

ولاوباي هو نائب المحافظ المسؤول عن التعليم بالمقاطعة. فقال لاجوي:

- ولكن المحافظ باي سافر أمس لإجراء دراسة مسحية بمدينة xx، وهو في طريق العودة من صباح اليوم، ولكن سيارته توقفت في منتصف الطريق بسبب الزحام، وقد يكون من غير اللائق ألا يكون معنا أحد من قيادات مقاطعتنا للترحيب بوفد وزارة التعليم.

- ومن هم أعضاء الوفد؟ يسأل لي آن بانغ.

- في الحقيقة ليسا من أصحاب المناصب الكبيرة، فأحدهما نائب

مدير قسم، والآخر مدير مكتب، لكن هذا القسم مسؤول عن إحلال وتجديد المدارس الابتدائية والمتوسطة، ويشرف على مليارات اليوانات، وكما يقول المثل قد تكون الفجلة صغيرة، ولكنها تضرب بجذورها في باطن الأرض، وقد يكون لظهورك اليوم دوره في اختيار المزيد من المدارس المهددة بالسقوط في مقاطعتنا، فجرة قلم منهما قد تعود علينا بعشرات الملايين، فهي أولاً وأخيراً لصالح أطفال المقاطعة يا سيادة المحافظ لي... يقول لاجوي.

وما إن بدأ لاجوي في الإسهاب، حتى استوقفه لي أن بانغ قائلاً:

- لا داعي لكل هذه التفاصيل، سأذهب معك. ثم تابع يقول:

- ولكن دعنا نتفق أنني لن أجلس معكم إلا لحظات قليلة، فهناك ضيوف مهمون في انتظاري.

- يكفينا تشريفك، يكفينا تشريفك. قال لاجوي وهو يرفع يديه مضمومتين تعبيراً عن الشكر.

ثم رافق لي أن بانغ لاجوي إلى الغرفة رقم 208، لمقابلة وفد وزارة التعليم. وبما أنه كان استقبلاً رسمياً، فلم يكن مسموحاً بتناول النبيذ على الغداء، فحياهما لي أن بانغ بكأس من الشاي بدلاً من النبيذ، وتبادل معهما بعض عبارات المجاملة، ثم عاد إلى غرفته، ليكتشف فور عودته أنه خلال الدقائق القليلة التي قضاها خارج الغرفة، أفرط الشيخ وحفيده في الشراب حتى احمرَّ وجههما وأذناهما، وأخذا يتلعثمان في الكلام. فشعر لي أن بانغ أن صدقهما أو ليقبل صراحتهما هي التي دفعتهما للتصرف بهذا الشكل بصرف النظر عن المناسبة، ولكنه شعر في الوقت نفسه أن هذه التصرف لا يسيء لشخصهما فحسب، بل قد يكون له

رد فعل عكسي إذا علم جويوتشن بأن لي آن بانغ تسبب في أن يشرب والده لهذا الحد. فأشار إلى السكرتير أن يعلن انتهاء المأدبة. وفي تلك اللحظة، دفع أحدهم باب الغرفة، وإذا به جويوتشن. ودخل جويوتشن الغرفة غاضباً دون أن يعير لي آن بانغ أدنى اهتمام، في حين ركز نظره على الطاولة ووالده وابن أخته اللذين شربا حتى احمرت وجنتاهما. وما إن رأى الرجل وحفيده جويوتشن حتى هبا واقفين، في حين سحب هو مقعداً وجلس أمامهما، حتى إنهما لم يجرواً على الجلوس أمامه بينما هو ينظر إليهما بعينين غاضبتين، وقد أخذاً يرتجفان. عندئذٍ أدرك لي آن بانغ أن ما سمعه من أهل بلدية xx بمدينة xx حول خوف جويوتشن من والده مجرد إشاعة، وأن قولهم بأن والد جويوتشن صفعه ذات مرة على وجهه كلام لا أساس له من الصحة، فليس جويوتشن هو الذي يخاف والده، وإنما العكس صحيح. وما إن اتضحت الصورة أمامه، حتى تأكد لي آن بانغ بما لا يدع مجالاً للشك من أن جويوتشن الجالس أمامه الآن هو نفس الشخص الذي كان يعرفه تمام المعرفة قبل خمسة وعشرين عاماً، بل وأكد له هذه الحقيقة الموقف الذي رآه للتو بأب عينيه، فكيف لرجل مثله تدرج في المناصب من سكرتير حزبي بإحدى البلديات إلى قيادي على مستوى المحافظة أن يخاف من عجوز قروي جزار ساذج؟ وعندها أدرك فجأة السبب الذي لم يجعل هذا العجوز يخبر ابنه بقدومه إلى المدينة. حتى ذهب به تفكيره أن مروج إشاعة أن جويوتشن يخاف من والده ربما يكون هو الوالد نفسه، فهو لا يجرواً على أن يتحدث مع ابنه في شيء، كل ما يملكه رفع الشعارات الكاذبة لخداع الآخرين، من خلال النفخ في نفسه وإيهامهم بسيطرته على كل شيء، ليمضي في استغلال وخداع أهالي البلدية والمدينة. حتى إن تحدث مع لي آن بانغ في مشكلة حفيده التي لم يجرواً على فتحها مع جويوتشن، حتى ساعده

لي أن بانغ في حل المشكلة، لدرجة أنه تجرأ وأتى إليه بهذا الحفيد في المدينة، وهو ما يعني أن لي أن بانغ لم ينجح في استغلال هذا العجوز القروي، وإنما العكس صحيح. فوجد لي أن بانغ نفسه في موقف لا يحسد عليه. وجعل جويوتشن ينظر إلى والده شزراً ثم قال:

- ألم يكفك إهانة كرامتي في القرية، وجئت لتكلم على ما تبقى من كرامتي هنا؟

ثم تابع وقال بنفس النظرة للحفيد:

- تواصلت قبل قليل مع قيادات البلدية، وأعلمتهم بهذه التمثيلية، فسحبوا منك منصب رئيس القسم!

ثم اختتم حديثه إليهما وقال بغضب:

- السيارة تنتظر في الخارج، هيا اغربوا عن وجهي.

وكانما مسهما شيء من سحر سون وو كونغ، إذ انتفض العجوز وحفيده وأفاقا من سكرهما، ولم يجزواً على مواصلة حركاتهما الخادعة، قبل أن يغادرا الغرفة ويختفيان في لمح البصر. ثم هب جويوتشن واقفاً، وهدق في لي أن بانغ قائلاً:

- كرية!

ثم استدار وصفق الباب مغادراً.

وما إن خرج جويوتشن، حتى ألقى لي أن بانغ بنفسه على المقعد، وأحس بأنه وقع في شر أعماله، بل وخرج من هذه الجولة بخفي حنين. فبعد أن كان يخطط لاستغلال والد جويوتشن في تخفيف حدة الخلاف بينه وبين جويوتشن، إلا أن حكمه الخاطيء على العلاقة بين جويوتشن

ووالده، وسوء الفهم الذي خرج به جويوتشن من هذا الموقف وشكه في نوايا لي آن بانغ من مساعدة والده، فهل كان العجوز والحفيد يقصدان من ذلك كله إلحاق الضرر بجويوتشن؟ أم أن جويوتشن فهم أن لي آن بانغ فعل ذلك بسبب ترشحه لمنصب المحافظ، خاصة بعد معرفته بأمر لجنة التحقيق والتي يترأسها زميل جويوتشن. مما حمله على التفكير في هل اختياره للأسلوب غير المباشر والحيل والمؤامرات، حتى بلغ به الأمر السعي إلى استغلال والد جويوتشن نفسه، هل يعني ذلك استخفافه بجويوتشن نفسه؟ مما جعله يلقي إليه قبل مغادرته بقوله ”كريه“. وماذا كان يقصد بذلك؟ هل كان يقصد أن هذا السلوك كريه، أم أن لي آن بانغ نفسه إنسان كريه؟ ولكن بصرف النظر عن قصده، يبقى أنه قالها بشكل قاطع. ولكن حتى إذا كنت اخترت الأسلوب المباشر، فربما لم يكن يغير ذلك من شيء ولن يتحدث عني جويوتشن بما يسر، ولكن ربما لم يكن يصل به الأمر إلى الرغبة في الانتقام مني، والآن هل تراه سينتقم من لي آن بانغ شر انتقام بعد أن كشف الوجه الحقيقي له، وظن أنه يستخف بهما معاً؟ فقبل ثمانية عشر عاماً، افترى على لي آن بانغ واتهمه بقبول رشوة مليوني يوان بسبب صراعهما على منصب النائب الدائم لرئيس المدينة، حتى كاد أن يزج به في السجن، والآن وبعد كل هذه الأحقاد التي اتقدت في صدريهما، ماذا ينتظر منه أن يقول عنه أمام زميله، هل سيتهمه بالفساد والاستيلاء على مئتي مليون حتى يقضي عليه تماماً؟ وبعد ملاحظته للحالة التي بدا عليها لي آن بانغ بسبب جويوتشن، قال سكرتير لي آن بانغ محرراً:

- إن المدير جو رجل عديم الأخلاق.

فانتبه لي آن بانغ إلى ما قال السكرتير، فقال في عجالة:

- لم أتوقع أن يسيء المدير جو فهم ما حدث، وقد كنت في الحقيقة أرغب في مساعدة أسرته.

ثم تنهد وهو يهز رأسه وقال في أسي: سيكون كل ما تفعله خطأ طالما يحكم عليك أحدهم بنية سيئة.

ولكن لي آن بانغ كان يدرك في قرارة نفسه عواقب ما حدث. حتى إنه كلما فكر في الأمر زاد إحساسه بالخوف مما ينتظره. فعاد إلى مكتبه وجلس يفكر طول فترة بعد الظهر، دون أن يصل إلى حل مناسب لإزالة أو تخفيف العواقب المتوقعة لما حدث. وكما قالوا فإن المصائب لا تأتي فرادى، فقبيل موعد انتهاء دوام نفس اليوم، دخل إليه السكرتير مستعجلاً وأبلغه بخبر سيئ، بل إن درجة سوء هذا الخبر تفوق خطأه في حق جويوتشن. فقد أبلغه السكرتير أن سونغ ياو وو رئيس مدينة ×× والذي يعد أحد رجاله، يخضع للتحقيق من قبل اللجنة المركزية للانضباط بالحزب. فقال لي آن بانغ مندهشاً:

- ومتى حدث ذلك؟

- قبل ساعتين. رد السكرتير.

- هكذا دون أي مقدمات. يقول لي آن بانغ.

- إطلائاً، كانت لجنة الانضباط قد خرجت بالسيد سونغ رئيس المدينة من الباب الخلفي عقب اجتماع له بعد ظهر اليوم. قال السكرتير موضعاً.

فألقي لي آن بانغ بنفسه على الأريكة. وقد اتضح له أنه من المؤكد امتلاك اللجنة للأدلة القاطعة على مخالفاته، وإلا لما كانت دخلت بنفسها عش الدبابير. بل إنه طالما تم استجواب هذه القيادة من قيادات

المقاطعة، فإنه لن ينجو أحد من هذه الحملة، وسيكشف ذلك عن العديد من تهم الفساد. وأن اللجنة قد قامت بالتحقيق في ما يتعلق بهذه القيادة بكل تأنٍ وفي صمت، فلم يعلم أحد بعملها، ولم تبادر بالهجوم إلا بعد امتلاكها للأدلة الكافية وتحين الفرصة المناسبة. حتى إن هذا الرجل كان حتى أمس يملأً شاشات التلفاز، قبل أن يختفي في اليوم التالي مباشرة، ثم تعلن اللجنة على موقعها الإلكتروني تعليقاً على ما حدث في سطر واحد قائلة إن هذا الشخص يخضع للتحقيق. وكان لي أن بانغ قبل ذلك وفي كل مرة تقوم فيها اللجنة بالتحقيق مع أحدهم، يشعر بقوة اللجنة في أداء عملها، ذلك لأن الأمر كان بعيداً عنه، أما في ظل هذا التحقيق المفاجئ مع سونغ ياو وو، فإنه يشعر بأن المصيبة ستقع قريباً على رأسه، فسونغ ياو وو أحد القيادات التابعين له، والذين ترقوا بدعم منه، ومن المؤكد أنه كانت هناك مصالح تربطه بسونغ ياو وو، بل ولم تكن مصالح لمدة عام أو عامين، وإنما لمدة خمسة وعشرين عاماً، وخلال تلك السنوات ترقى سونغ في مناصب كثيرة على مستوى البلديات والمدن، وفي حالة اكتشاف تلك المصالح التي تربط بينهما، فإن الأمر لن يتوقف على الزج بلي أن بانغ في السجن، بل ربما سيلف حبل المشنقة حول رقبته. وقد أصبح أمر التحقيق مع سونغ واقعاً لا يمكن تغييره، وأن ما يجب أن يقلقه من الآن فصاعداً، هو هل سونغ ياو وو سيكشف بعد التحقيق معه عن آخرين. فمن خلال الشواهد السابقة في ما يتعلق بقيادات أخرى خضعت لتحقيقات هذه اللجنة، فإن جميع تلك القيادات كشفت خلال التحقيق معها عن آخرين ذوي علاقة بهم، بل إن العديد من تلك القيادات بمجرد القبض عليهم وقبل أن تغادر سيارة اللجنة محل القبض عليهم، كشفوا عن وقائع فساد تمتد لعشرات السنين، وبمجرد الإدلاء بأقوالهم تجاه تلك الوقائع، تم الكشف عن جميع

الأسرار التي تتعلق بالأشخاص ذوي العلاقة بموضوع ذلك الفساد. فهل سيفعل سونغ ياو وو مثل غيره ويكشف عن الأسرار التي تربطه ببقية القيادات؟ وأنه إذا أقدم على ذلك، فإن لي آن بانغ سينتظر تحقيقات اللجنة في أي لحظة. فتصعب جسد لي آن بانغ عرقاً. ثم دفع دوان شياوتيه الباب ودخل مستعجلاً، وقد كان لا يدخل عليه قبل ذلك إلا من خلال السكرتير، أو أن يطرق على الباب وينتظر السماح له بالدخول، إلا أنه دفع هذه المرة الباب، وقال متنهداً:

- أيها القائد، إن سونغ ياو وو...

- لقد علم سيادته بالأمر. قال السكرتير بصوت خفيض.

وتعود معرفة دوان شياوتيه بسونغ ياو وو إلى خمسة وعشرين عاماً مضت، فكلاهما كان من القيادات التي حظيت بدعم لي آن بانغ، فمضى لي آن بانغ يفكر في أنهما ينبغي أن يكونا يعرفان بعضهما بعضاً تمام المعرفة. فخلال تواجده مع لي آن بانغ مساء أمس لتناول العشاء على ضفة النهر، استشهد دوان شياوتيه بسونغ ياو وو عند التعبير عن رغبته في العمل كرئيس مدينة. فصرف لي آن بانغ السكرتير، رغبة منه في التحدث مع دوان شياوتيه بشأن سونغ ياو وو على انفراد، فنفذ السكرتير الأمر في الحال وخرج وأغلق وراءه الباب. فبدأ لي آن بانغ بسؤال دوان شياوتيه قائلاً:

- من خلال معرفتك بسونغ ياو وو، هل تراه رجلاً جريئاً؟

- إنه جبان كالفار، وهذا أكثر ما يقلقني الآن. يقول دوان شياوتيه.

- وما دليلك على ذلك؟ يتابع لي آن بانغ بالسؤال.

- عندما كان يعمل في منصب النائب الدائم لرئيس مدينة xx، كان قد ارتبط بعلاقة مع عاملة بأحد الفنادق، وتطورت العلاقة حتى حبلت العاملة منه، وبدأت تهدده بنشر صورهما على السرير على شبكة الإنترنت إذا لم يطلق زوجته، وبما أنني كنت أشغل آنذاك منصب نائب مدير أمن تلك المدينة، فقد قصدني للحديث في موضوع الفتاة، وبكى حتى تبلل وجهه بالدموع والمخاط، حتى تدخلت وقمت بتهديد الفتاة، وتعويضها بمبلغ ثلاثمئة ألف يوان حتى وافقت على إجهاض الطفل... يقول دوان شياوتيه.

- وكيف لم أعلم بهذا الأمر؟ يسأل لي آن بانغ.

- وكيف يجرؤ على إعلامكم بمثل هذا الأمر. كل ما قصدته أن عاملة بسيطة استطاعت إجباره ليفعل ما فعل، فما بالناس من لجنة الانضباط وما تملكه من وسائل مختلفة... يقول دوان شياوتيه.

فشعر لي آن بانغ بالإحباط، ولكنه لم يجرؤ على أن يظهر هذا الشعور أمام دوان شياوتيه، وذلك بعد أن اكتشف ليلة أمس على ضفة النهر أن دوان شياوتيه قد تغير إلى شخص آخر تمامًا. فلا يوجد من يمكن الوثوق به في هذا العالم. فقال لي آن بانغ:

- حسنًا، بإمكانك أن تغادر الآن، أريد أن أخلو بنفسني بعض الوقت.

وقف دوان شياوتيه وهمّ ليغادر، لكنه كان يقدم رجلًا ويؤخر أخرى.

- هل هناك شيء آخر؟ سأله لي آن بانغ.

- موضوع حادث دونغ ليانغ، يبدو أن الأمور ليست على ما يرام.

يقول دوان شياوتيه متلعثمًا.

- ألم تقل بأنك أنهيت هذا الموضوع؟ وأنت توصلت إلى شخص ليس على قيد الحياة؟ يرد لي أن بانغ مندهشاً.

- سمعت صباح اليوم أن مديري يبدو أنه طلب من أحدهم متابعة القضية، وبالرغم من كوني المسؤول عن حوادث السير والتحقيقات الفنية في المديرية، وقد تابعت القضية من البداية، إلا أنه طلب من أحدهم متابعتها دون علمي، أعتقد أنه يشك في أمر ما... يقول دوان شياوتيه.

فذهل لي أن بانغ حتى كاد عقله أن ينفجر.

وجاء خبر مثول سونغ ياو وو للتحقيق وتكليف مدير أمن المقاطعة أحدهم بمتابعة قضية حادث دونغ ليانغ، كسهمين وجههما أحدهم نحو لي آن بانغ. وأن سهماً واحداً منهما كفيل بأن يقضي عليه تماماً، فعندئذٍ لن يتوقف الأمر عند ضياع فرصة الفوز بمنصب المحافظ، بل إنه سيمثل أمام لجنة الانضباط، قبل أن يُزج به في السجن. وبالرغم من عدم وجود علاقة ظاهرة بين الموضوعين، إلا أن تأثير كل منهما على الآخر يبدو مثل دور أحجار لعبة الدومينو، فما إن ينكشف سر أحدهما حتى يقود إلى كشف الموضوع الثاني، ثم الثالث، والأخطر من ذلك كله، وجود جويوتشن هذا الشخص البغيض، الذي سيستغل هذه الفرصة للتفنن في إيذائه إذا اشم رائحة موضوع سونغ ياو وو أو حادث لي دونغ ليانغ. وإذا أصابت هذه السهام الثلاثة لي آن بانغ، فإنه لن ينجو من المقصلة. هذا بالإضافة إلى أن جويوتشن هو عدوه الظاهر الآن، لكنه لا يعلم عدد هؤلاء الذين ينتظرون الفرصة للسخرية منه بعد سقوطه. فهل من الممكن ألا يكون قد تسبب في أذى أحدهم هنا أو هناك على مدار عمله بالسياسة لما يزيد على ثلاثين عاماً؟ وإذا تغاضينا عن مناصبه السابقة وتحدثنا عن اختيار اللجنة المركزية لثلاثة مرشحين لمنصب المحافظ، فإنه حتى إذا لم يكن بين الثلاثة أي خلاف سابق، فإنهم الآن في حكم الأعداء السياسيين، وألم يكن الخلاف الذي وقع بينه وبين جويوتشن قبل ثمانية عشر عاماً بسبب الصراع على منصب النائب الدائم لرئيس المدينة؟ فما بالك بأن الصراع الآن ليس على منصب نائب لرئيس المدينة وإنما على منصب محافظ، فهل يمكن تخيل حجم الحقد

الذي يعتمل في نفوسهم؟ وإذا فرغ كل منهم هذا الحقد في شكل سهام تجاه منافسيه، فإنه لن يكون مجرد سهام بل قنابل نووية. ومع تغير نفوس البشر في العصر الحديث، وعدم حب الخير بعضهم لبعض، فإذا سقط أحدهم فرح الجميع بسقوطه، ولن يتذكر أحد ما قدمت له في ما مضى. وكان لي آن بانغ قد ألق عن التدخين منذ ثمانية أعوام، لكنه دخن أكثر من سيجارة خلال الأيام الأخيرة، حتى ملأ الدخان المكتب، حتى إنه طلب من سكرتيه أن يأتي إليه بـ“قاروصة“ سجائر. فإذا به يدخنها كاملة وهو في المكتب، وما إن نظر إلى ساعة الحائط حتى وجدها الواحدة بعد منتصف الليل، بينما لم يصل لحل مناسب لمواجهة السهام الثلاثة، بل إنه لم يهتد لمواجهة سهم واحد فقط. وبما أنه فشل في التفكير في حله لمشكلته بمفرده، فراح يفكر في مناقشة الأمر مع أحدهم، ولكنه الآن أصبح دون أصدقاء خاصة بعد تجربته مع جويوتشن قبل ثمانية عشر عامًا، ولكن أين هو هذا الصديق وهو الآن في أمس الحاجة لأحد يتحدث معه؟ وكما قال الزعيم ماو متحسرًا: إلى مَنْ نلجأ عند تعرض الوطن للمحن؟ وقد بلغ الأمر بلي أن بانغ الآن ما بلغ بالزعيم ماو آنذاك. وبعد أن فشل في التفكير في أحدهم يبيث إليه همومه، ففتح جواله وأخذ يقلب في جهات الاتصال. وكان بقائمة جهات الاتصال ما يزيد على ألف اسم، إلا أنه لم يعثر فيها على شخص واحد مخلص يفضي إليه بما في قلبه. فهناك مَنْ يمكن التواصل معهم في المعتاد، ومن يمكن التحدث إليهم في أمور العمل ومن يمكن أن يقيم معهم علاقات ومن يمكن أن يقضي معهم أوقاتًا ممتعة، ولكن لم يجد من بينهم من يمكن أن يشاركه همومه وأحزانه. ففهم لي أن بانغ مغزى

ذلك القول للوشون⁽¹⁶⁾: ما أجمل أن يكون لديك صديق كمرآة نفسك يعرفك ويفهمك. فأدرك أن هذا الصديق ليس هو ذلك الذي يشاركك الموائد وتقضي معه أوقات فراغك، وإنما هو من تفضي إليه بهومك وأحزانك. فالإخلاص شرط من شروط النجاح وبلوغ المراد، فبعد أن قلب لي آن بانغ ألفاً واثنين وعشرين اسمًا في القائمة، والذين عدهم من غير الموثوق بهم، وقف أمام الاسم الثالث والعشرين بعد الألف عندما ظهر له على الشاشة اسم "جاو بينغ فان"، عندئذٍ شعر فجأة بالسرور.

وكان جاو بينغ فان أحد أبناء هذه المقاطعة مطورًا عقاريًا بارزًا على مستوى الصين، له العديد من المشروعات الكبرى في عاصمة المقاطعة، من أبرزها مبنى المتحف، الاستاد الجديد، محطة القطار السريع الشرقية والمدينة الجامعية الجديدة وغيرها من المشروعات. كما كان له العديد من المشروعات في مختلف مدن المقاطعة. وتعود معرفة لي آن بانغ به عندما كان لي آن بانغ يشغل منصب النائب الدائم لرئيس مدينة xx، وكان مسؤولًا عن أعمال الإسكان بالمدينة، في الوقت الذي كان جاو بينغ فان يقوم بتنفيذ عدد من المشروعات العقارية بنفس المدينة. وكان جاو بينغ فان يردد دائمًا أنه: يميل إلى تبسيط الأمور المعقدة. فعندما تم تخطيط مدينة xx، اشتمل التخطيط على أن يكون هناك ميدان عام وسط المدينة، به تماثيل ونافورة موسيقية، وفي الجهات الأربع أبراج إدارية دائرية الشكل، تشتمل على أسواق تجارية، مطاعم، دور سينما ومدن ترفيهية وغيرها من الخدمات بعبء بلغ ما يزيد على ملياري يوان، وشارك في المناقصة عشرات المطورين العقاريين من

16- لوشون: (-1881 1936) أحد الكتّاب العظام في تاريخ الأدب الصيني الحديث، قال عنه الزعيم الصيني ماو تسي تونغ: "إن قيمة لوشون في الصين بالنسبة لي بمثابة قديس من الدرجة الأولى. فإذا كان كونفوشيوس قديس المجتمع الإقطاعي، فإن لوشون قديس الصين الحديثة". (المترجم)

داخل وخارج المقاطعة من بينهم جاو بينغ فان. وفي أحد الأيام زار جاو بينغ فان لي آن بانغ بمكتبه وقال:

- أرى يا سيادة رئيس المدينة لي آن تعطيني فرصة هذا الميدان، فجميع الشركات الأخرى نصابة.

- كيف تقول ذلك والمناقصة لم تتم بعد؟ يقول لي آن بانغ.

- إجراء المناقصة من عدمه أمور شكلية فحسب. يرد جاو بينغ فان.

- إجراء المناقصات من شأنه التأكيد على العدالة والمساواة للجميع، فكيف تقول إنها أمور شكلية؟ يسأل لي آن بانغ.

فمد جاو بينغ فان يده إلى مكتب لي آن بانغ وأمسك بورقة فارغة، وخط عليها بضع كلمات ثم أعطاها للي آن بانغ. فقرأ لي آن بانغ هذه الكلمات:

- كلمة واحدة: عشرون مليون يوان.

قرأ لي آن بانغ كلمات جاو بينغ فان، وما إن هم أن يقول شيئاً ما، حتى أمسك جاو بالورقة ودسها في فمه وأخذ يلوكها، الأمر الذي أدهش لي آن بانغ.

وفي الختام، تم إسناد مشروع إنشاء الميدان العام بمدينة xx لشركة جاو بينغ فان. وبعد استلامه المشروع، اعتمد جاو بينغ فان على أفضل المصممين وشركات التعمير على مستوى الصين، كما أنه أولاً: لم يغش في جودة وكمية المواد الخام، ثانياً: التزم بتسليم المشروع في موعده. وبعد الانتهاء من المشروع، قام مكتب الإسكان بالمقاطعة بفحصه، ليحصل على لقب الأفضل جودة والمشروع النموذجي على مستوى

المقاطعة، فأدرك لي آن بانغ حينها أن جاو بينغ فان رجل يتمتع ببصيرة وبعد نظر، وأنه جدير بالصدقة، ومنذ ذلك الحين لم ينقطع التواصل في ما بينهما. وبعد انتقاله للعمل بالمقاطعة في منصب نائب والنائب الدائم للمحافظ، ساعد لي آن بانغ جاو بينغ فان في الحصول على مشروعى استاد العاصمة الجديد ومحطة القطار السريع الشرقية. وبالطبع فقد كانت هناك مصالح مشتركة بين الطرفين. كما أن كل ما تم بين الصديقين تم بعيداً عن زوجة لي آن بانغ. ثم نقل جاو بينغ فان أعماله الرئيسية إلى بكين، وأنشأ بها عددًا من المباني التي أصبحت من المعالم الهندسية ببكين. وفي الوقت الذي ذاع فيه صيت شركته، أعلن جاو بينغ فان فجأة في فبراير من العام الماضي توقف مشروعاته الإنشائية، وأنه لن يواصل العمل في هذا المجال، كما نقل محل سكنه من بكين عائداً إلى هذه المقاطعة. ولم يعرف لي آن بانغ مثله مثل الكثيرين السبب وراء ذلك. وفي إحدى المرات التي دعاه فيها جاو بينغ فان لاحتساء الشاي، سأله لي آن بانغ عن السبب وراء توقفه المفاجئ عن العمل في مجال التطوير العقاري، فجاءه رد جاو بينغ فان:

- قمت بمراجعة حساباتي.

- أي حسابات تقصد؟ يسأل لي آن بانغ.

- أنا الآن في عامي الخامس والستين، وقد يكون أمامي عشرون عاماً حتى أفارق هذا العالم، وقد تكون هناك عشر سنوات إضافية إذا لم أمرض أو أتعرض لأي نكبة، وقد قضيت سنواتي الفائتة لأجل المال، والآن أرجو أن أقضي ما تبقى من أجل نفسي. يرد جاو بينغ فان.

- وماذا ستعمل لأجل نفسك؟ يسأل لي آن بانغ.

- أكل وأشرب وألهو وأستمع. يرد.

ولم يكن جاو بينغ فان شخصًا عاديًا، أو لنقل إنه كان منفتحًا واسع الصدر نافذ البصيرة. وبسبب المصالح التي كانت تربط بين لي آن بانغ وجاو بينغ فان، فإنه بعد توقف جاو عن العمل، فقد توقفت المصالح المتبادلة بين الرجلين، الأمر الذي ارتاح له لي آن بانغ. ووفقًا لما تداولته المواقع الإلكترونية، فقد بلغت ثروة جاو بينغ فان الشخصية عند توقفه عن العمل في مجال العقارات ما يزيد على ثلاثين مليار يوان. كما تناقست فرص التقاء لي آن بانغ بجاو بينغ فان منذ توقفه عن العمل، وقد سمع لي آن بانغ أن جاو يقضي وقته في السفر حول العالم والاستمتاع برياضة الجولف، والتزحلق على الجليد، والطيران بالمظلة، كما تسلق جبال الهيمالايا وزار القطب الجنوبي وغيرها من الأماكن. في حين كان لي آن بانغ يلتقيه في مناسبات مختلفة مثل عندما تصاب البلاد بزلزال أو فيضان أو جفاف وغيرها من الكوارث، أو عندما تعلن حكومة المقاطعة عن تأسيس دور المسنين أو تأسيس صندوق لمكافحة الفقر، وغيرها من المناسبات التي كان جاو يبادر فيها بتقديم تبرعات تصل إلى مليون، خمسة ملايين وعشرة ملايين يوان. وذات مرة أعلنت حكومة المقاطعة عن تأسيس "مدارس الأمل الابتدائية" في إحدى المناطق الجبلية الفقيرة بجنوب غرب المقاطعة، فقام جاو بينغ فان بالتبرع بمبلغ خمسين مليون يوان لتأسيس المدارس، وبما أن لي آن بانغ كان هو المسؤول عن ملف المشروعات الخيرية بالمحافظة، فقد تقدم خلال أحد الاجتماعات نيابة عن حكومة المقاطعة بالشكر لجاو بينغ فان، فما كان من جاو إلا أن هز رأسه بالنفي قائلاً:

- لم أتبرع لأسمع منكم الشكر والثناء يا سيادة المحافظ لي، ولكن

لأنني لن أتمكن من إنفاق المال الذي أملكه، فالمال هذا العرض الزائل لم نأت به إلى الدنيا ولن نرحل عنها بشيء منه، وقد ذقت أنا وأنت طعم الشقاء منذ الصغر، فنحن أعلم بمن هم أحوج الناس إليه.

وكانت هذه الإجابة البسيطة جديرة بأن يتبعها صوت تصفيق حاد من الحضور. كما أكد هذا التبرع للي أن بانغ ما يتمتع به جاو من بُعد نظر ثاقب، فقد عرف بعد تقاعده كيف وفيم ينفق أمواله. والآن ما إن وقع نظر لي أن بانغ على اسم جاو في جهات الاتصال، حتى شعر فجأة بأنه يمكن أن يتحدث معه في أمر السهام الثلاثة. وذلك أولاً: أنه كانت تربطهما مصالح مشتركة، وكلاهما يعرف صاحبه جيداً، ولا داعي لأن يخفي عنه شيئاً. ثانياً: اعتزال جاو بينغ فان العمل في مجال التطوير العقاري، أي أنه اعتزل هذا المجال المليء بالصراعات، وبالتالي بإمكانه أن يناقش معه همومه. ثالثاً: أنه عرف من خلال إنفاقه للمال أنه إنسان ذكي ويتمتع ببُعد نظر ثاقب، وبإمكانه أن يساعده في طرح حلول لمشكلته. فالأمر طارئ ولا يحتمل الانتظار، ولكن ما إن نظر إلى ساعة الحائط، حتى وجدها تخطت الواحدة بعد منتصف الليل، ولا يعلم إذا ما كان جاو بينغ فان لا يزال مستيقظاً أم لا، أم أنه يغلق هاتفه أو أنه في هذه المدينة أم في أي مدينة داخل الصين، أو إذا ما كان مسافراً خارج الصين، ففضل أن يرسل له برسالة ويشات:

- أين أنت الآن؟ هل نمت؟

ولم يتوقع أن يأتيه رد جاو بينغ فان في أقل من دقيقة:

- في البيت، لديكم أي توجيهات؟

وصدق من قال ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرجت، وكنت أظنها لا

تفرج. فهبطت على لي أن بانغ سعادة مفاجئة. وأمسك بهاتفه واتصل بصاحبه:

- لاو جاو، ما رأيك أن نلتقي لنشرب معاً طالما يخاصمك النوم؟

فجاءه رد جاو بينغ فان ضاحكاً:

- حسناً، تعالى إلى هنا، فلديّ كمية من السلطعون الطازج القادم من أستراليا جواً.

ففكر لي أن بانغ قليلاً قبل أن يرد قائلاً:

- يفضل أن نلتقي في مطعم ”شويه جي للمأكولات الشعبية“ على ضفة النهر.

وتابع:

- ولا تنس أن تحضر معك زجاجة نبيذ.

خرج لي أن بانغ من مقر حكومة المقاطعة، ثم استدعى سيارة أجرة متوجهاً إلى ضفة النهر. وما إن وصل مطعم ”شويه جي للمأكولات الشعبية“، حتى وجد جاو ينتظره عند المدخل. وكان لي أن بانغ قد جاء إلى هنا في وقت متأخر من ليلة أمس بصحبة دوان شياو تيه. وبما أنها كانت الثانية بعد منتصف الليل، فقد كان هناك عدد من الزبائن يجلسون إلى طاولات متناثرة في المطعم، وقد شرب زبائن طاولتين حتى الثمالة، فراحا يصيحان بصوت مرتفع. بينما احمرت عينا صاحبة المطعم من السهر، فإذا بها تغفو على طاولة الحساب، وما إن رأت لي أن بانغ داخلاً، حتى أفاقت وسألته بلهجة بها بعض الاستغراب:

- زارنا المحافظ أمس، فكيف جاء اليوم ثانية؟

- لأن طعامك لذيذ لا يقاوم. يقول لي أن بانغ.

- وفي هذه النقطة يبدو الإنسان كالكلب، يتذكر الأماكن التي يعرفها.
يتابع.

ثم قال: نريد نفس أطباق الأمس.

هزت المرأة رأسها بالإيجاب، ثم قالت وهي تنظر إلى ساعة الحائط:

- يبدو أن العمل كمحافظ ليس سهلاً، فأنت تعمل حتى هذا الوقت المتأخر.

- أنا سهرت يوماً واحداً فقط، فماذا عنكِ وأنتِ تسهرين يوماً حتى الثالثة أو الرابعة فجراً؟ يقول لي أن بانغ.

فقالت ضاحكة: سيادة المحافظ إنسان بسيط ومتواضع، ومشغول دائماً بأمور عامة الشعب.

ثم توجهت إلى المطبخ وهي سعيدة. بينما جلس لي أن بانغ وجاو بينغ فان إلى طاولة مطلة على النهر. وفي ما مضى، كان جاو يأتي إلى هنا برفقة لي أن بانغ، وذلك وقت أن كان جاو يقوم بتنفيذ مشروع محطة القطار السريع الشرقية، كانا يأتيان إلى هنا لمناقشة بعض الأمور الخاصة بالمشروع. وكان جاو يعرف عادات لي أن بانغ في تناول الطعام، حيث أمسك بكأسين كبيرتين، ثم أخرج من حقيبته زجاجة ملفوفة بورق الصحف، وأخذ ينظر من حوله قبل أن يفتح اللقافة ويكشف عن زجاجة نبيذ من نبيذ ماوتاي عمرها ثلاثون عاماً، ثم فتح القنينة وسكب منها في الكأسين، قبل أن يعيد إغلاقها ويعيدها إلى حقيبته. وفي تلك الأثناء، جاءت إليهما صاحبة المطعم بطبقي الفول

السوداني والخيار المخلل، ثم أخذًا يشربان معًا، وقال جاو بينغ فان:

- يبدو أن هناك أمرًا جليلاً جعلك تستدعيني في هذا الوقت المتأخر.

فhez لي آن بانغ رأسه بالإيجاب. ثم أخذ يتأمل الأضواء التي تتلألأ أمامه على سطح الماء، وفي لحظات قليلة، رتب أفكاره جيدًا، ثم قص على صاحبه كل ما يتعلق بالسهام الثلاثة دون أن يخفي عنه شيئاً. عندئذٍ جاءت صاحبة المطعم بالأطباق الأربعة الساخنة، طبق من اللحم المملح المقلي، طبق من سمك المطواق المقلي، طبق من شرائح البطاطا المطبوخة وطبق من جبن الصويا المطبوخ، فتوقف لي آن بانغ عن الكلام وتبادل مع صاحبة المطعم الدعابات، ثم واصل حديثه مع جاو بمجرد أن غادرت المرأة. في الوقت الذي لم يتوقف فيه جاو عن التنهد مندهشاً مما يسمع. وما إن انتهى لي آن بانغ من كلامه، حتى قال جاو:

- سيادة القائد، الأمر جد خطير.

- هو ليس كذلك، وإنما أيادي الأعداء تحركه. يقول لي آن بانغ.

فنظر جاو بينغ فان من حوله، فرأى بعض الزبائن يصيحون وهم في حالة سكر، فهمس إلى صاحبه:

- أرى أنه يجب مناقشة هذا الموضوع المهم في بيتي.

- هنا أكثر أماناً من بيتك. قال لي آن بانغ وهو يهز رأسه بالرفض.

ففهم جاو ما يقصده لي آن بانغ، فhez رأسه بالموافقة.

وتابع لي آن بانغ موضحاً: طلبتك اليوم لتساعدني في اقتراح حلول لمواجهة هذه السهام الثلاثة.

- أرى أن الحل الوحيد يتمثل في زيارة ثلاثة أماكن، للتخلص من هذه المخاطر، أما موضوع سونغ ياو وو، فيتطلب مقابلة لجنة الانضباط لتخبرهم بأن ليس لك علاقة بسونغ، وأما حادث دونغ ليانغ، فيجب زيارة مدير الأمن لتطلب منه حفظ القضية، وأخيرًا زيارة جويوتشن لتطلب منه أن ينسى ما كان بينكما من عداوة، ولكن أيًا من هذه الأماكن الثلاثة يمكنك زيارته؟ قال جاو بينغ فان وهو يتأمل الأضواء التي تتلألأ على سطح الماء. ثم أردف وهو يهز رأسه متنهدًا بأسى:

- بما أن الأمر وصل إلى هذه المرحلة، فليس أمامنا إلا الاستسلام للقدر. فمهما فعلنا يبقى أن الأمر جد خطير.

فداهم لي أن بانغ شعور بالإحباط. ومضى يفكر، فإذا به يرى أن جاو بينغ فان محق في ما قال، فلم يملك إلا أن أخذًا معًا تنهيدة عميقة. ولم يعد لديهما أي رغبة في الشراب، واكتفيا بمشاهدة الأضواء التي تتلألأ على سطح الماء. وظلا على نفس الحالة، حتى قطع جاو بينغ فان الصمت فجأة، وقال:

- ليس لدي حل لمواجهة هذه المشكلات الثلاث، ولكن تذكرت أن هناك شخصًا بإمكانه تقديم الحل المناسب.

- من هو؟ يسأل لي أن بانغ وقد قفز قلبه فجأة.

- إي زونغ. يرد جاو بينغ فان.

- ومن يكون إي زونغ؟ يسأل لي أن بانغ.

- من علماء كتاب التغيرات⁽¹⁷⁾. يقول جاو بينغ فان.
- وكيف يمكن تصديق هذه الخرافات؟ قال لي آن بانغ محببًا.
- ولكنه حقًا ساعد بعضهم في حل الكثير من المشكلات. يقول جاو بينغ فان.
- ساعد مَنْ؟ سأل لي آن بانغ.
- ساعدني أنا على سبيل المثال. يرد جاو بينغ فان.
- وفيمْ ساعدك؟
- واجهت مشكلة كبيرة العام الماضي، فرشحه لي أحد أصدقائي، عندما زرته قدم لي اقتراحًا مهمًا، فعملت بما قال واعتزلت العمل في التطوير العقاري، وها أنا أعيش في سلام، وإذا لم أفعل بنصيحته لكنت في السجن منذ عام. يقول جاو بينغ فان.
- فدهش لي آن بانغ، وعرف عندئذ السبب الحقيقي لاعتزال جاو العمل فجأة، كما عرف السبب في ميله إلى العمل الخيري، فتابع يسأل:
- وما هي المشكلة التي واجهتك العام الماضي؟ وكيف لم أعلم بها؟
- فقال جاو بينغ فان وهو يشير بيده إلى أعلى:
- مشكلة تجارية، أخطأت في حق شخص لا يمكن لأحد أن يخطئ في حقه، ولم أكن أعلم أنه يستند إلى قوة لا يستهان بها.

17- كتاب التغيرات (إيجينغ): أحد أهم كتب التراث الصينية القديمة، تم الاعتماد عليه في قراءة الطالع في الصين القديمة والحديثة، أحد المؤلفات المهمة التي تجمع خلاصة الحكمة الصينية، صدرت له ترجمة عربية عن الإنجليزية. (المترجم)

ثم هز رأسه وأردف:

- عندئذ أدركت أنني لم أكن أعلم حجم وقوة هؤلاء، فعالم بكين عالم كبير جداً، وما أنا إلا سمكة صغيرة في مواجهة أسماك القرش العملاقة، وقد يقضي عليّ أحدهم بكلمة واحدة.

- وكيف لم تتحدث معي في مثل هذا الأمر الخطير؟ يقول لي أن بانغ.

- وبما أن الأمر خطير، فكيف ألومك على عدم إخباري به، يبدو أن ذلك الشخص كان أكبر مما أتخيل، ولم يكن تدخل ليفيدك في شيء. تابع لي أن بانغ.

حيث أدرك لي أن بانغ أن ذلك الشخص كان يحظى بدعم كبير جداً، وأن نائب محافظ مثله لن يفيد في شيء. فتابع يسأل:

- وبماذا اقترح عليك إي زونغ؟

- وعدته بأنني لن أبوح بالسر أبداً ما حييت. يرد جاو بينغ فان.

فلما سمع لي أن بانغ هذا الرد من جاو، لم يرغب في أن يُلح عليه لمعرفة التفاصيل، ولكنه قال في نفسه طالما أن الرجل ساعد جاو على تخطي مثل هذه العقبة الكبيرة، فيبدو أنه يمتلك قدرات خارقة، ولكنه تابع يسأل ولا يزال يساوره الشك:

- وكيف أضع مصيري بين يدي عراف؟

- بإمكانك أن تقول إنه عراف، وبإمكانك أن تقول أيضاً إنها علاقة سببية، فلا يمكن أن يحيط الإنسان بكل شيء عن العالم المجهول. أما ما يتعلق بحكم إي زونغ على العلاقات السببية في هذا العالم فموضوع معقد للغاية. يقول جاو بينغ فان.

ويتابع: وبالطبع يمكنك القول بأن الأمر الآن مثل حالة مرضية مستعصية لن يجدي معها سؤال الطبيب، ألم نقل إننا وصلنا إلى طريق مسدود.

وتأثر لي آن بانغ كثيرًا بهذه الجملة الأخيرة من كلام جاو بينغ فان. كان لي آن بانغ قد نشأ في الريف، وكان يسمع آنذاك هذا التعبير يتردد بين الريفين: لا تخف من شيء قدر خوفك من أن يصيب المرض أحد أفراد أسرتك. وها هو الآن مريض سياسي، وقد بلغ مرحلة متأخرة من الإصابة بمرض السرطان السياسي، ولن يجدي معه سؤال الأطباء، ويجد نفسه مضطرًا لأن يجرب الوصفات الشعبية. فقرر أن يذهب لمقابلة إي زونغ. وعند مغادرتهما مطعم ”شويه جي للمأكولات الشعبية“، همس لي آن بانغ إلى جاو بينغ فان:

- لا تخبر أحد بما دار بيننا الليلة، و....

فقاطعه جاو بينغ فان قائلاً:

- وهل أنتظر التوصية منك؟ فأنا أساعد نفسي قبل أن أساعدك أيها القائد.

- ماذا تقصد؟ يسأل لي آن بانغ وهو مذهول.

- إذا وقعت أنت في هذه الدائرة، فهل ترى بحكم علاقتنا ألا يطالني شيء؟

حقاً إنه مبرر منطقي. وهنا شعر لي آن بانغ أنه أصاب بلقاء جاو بينغ فان اليوم.

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي، ذهب لي أن بانغ برفقة جاو بينغ فان إلى دار إي زونغ. ولمزيد من الحذر، لم يذهبا بسيارة لي أن بانغ أو سيارة جاو بينغ فان، وإنما تواعدا عند مدخل "حديقة الشعب" التي يؤدي فيها أهل المدينة تدريباتهم الصباحية، واستقلا سيارة تاكسي. وكان لي أن بانغ يعتقد أن يزور إي زونغ عالم كتاب التغييرات في مكان ما في عمق الجبل، أو وسط غابة أو على الأقل في إحدى الضواحي التي تتمتع بمناظرها الخلابة، ولكن من يدرى أنه كان يستقبل زبائنه في أحد الأحياء السكنية بالمدينة القديمة بجوار سوق الخضراوات. وقد أخذ السائق يلف بهما حول السوق إلى أن دخل أحد الأزقة. وعلى جانبي الزقاق، كان هناك عدد كبير من أكشاك بيع الخضروات والفواكه والأسماك والدقيق والمعجنات واللحم المطبوخ وغيرها من السلع... حتى إنهما بعد أن دخلا دار إي زونغ كان يأتيهما نداءات الباعة في الزقاق يصيحون:

- اشترِ كعك الأرز بالسمسم!

وكانت الدار عبارة عن بناية من الدور الرباعية، يتكون المبنى الرئيس من ثلاث غرف، وعلى جانبيه غرفتان إضافيتان، وقد غطيت أرضيته بالقرميد، وفي وسط الفناء تبرز مبخرة يشتعل حولها ثلاثة أعواد من البخور. بينما يقف داخل الدار رجل نحيل في منتصف العمر، يرتدي عباءة ويطلق لحيته ويمسك بإبريق منشغلاً بسقي بعض الزهور. فتقدم جاو بينغ فان يعرف صاحبه بالرجل:

”هذا هو السيد إي زونغ“.

- كل التقدير أيها العالم الجليل. قال لي آن بانغ وهو يضم يديه.

فوضع إي زونغ الإبريق جانباً، وضم يديه وقال يرد التحية:

- لا داعي للشكر أيها السيد، وإذا تحدثنا عن ذلك، فالشكر والتقدير للسيد جاو الذي أتى لي اليوم بزبون جديد، فهو ولي نعمتي.

فضحك الجميع، بينما جاءهم صوت أحد البائعة الجائلين في الزقاق ينادي على بضاعته:

- الزعرور المسكر!

فضحكوا من جديد. ثم قال لي آن بانغ:

- العالم الجليل يعيش وسط العامة.

- صدق المثل القائل: العرفان العظيم يعيش وسط الناس، والعراف العادي يفضل العزلة وسط الجبال والغابات. يقول جاو بينغ فان.

فلوح إي زونغ بيده نافياً:

- هذا كله مجرد خداع، فسمو العرفان لا علاقة له بالمكان.

فهز لي آن بانغ رأسه بالتأييد وقد أحس أن هذا الرد يجانبه بعض الصواب، ثم دخل الغرفة الرئيسية برفقة إي زونغ وجاو بينغ فان. فرأى على الطاولة مبخرة بها عود من البخور، وفتاة في السابعة أو الثامنة عشرة من عمرها تقوم بإعداد الشاي، وتقدمت الفتاة ووضعت الشاي على الطاولة، ثم صبت لهم الشاي قبل أن تغادر الغرفة. وبعد أن شربوا الكوب الأول، قام إي زونغ بصب الشاي لضيوفه، ثم سأل لي آن بانغ:

- وما هي طلباتكم أيها السيد؟

فأجاب عنه جاو بينغ فان قائلاً:

- واجهته بعض العقبات، وجاء ليسألکم عن الحلول المناسبة.

فأخذ إي زونغ بورقة بيضاء وقلم، ثم قال:

- تفضل بكتابة تاريخ ومكان ميلادك.

- وهل تعتمد أنت أيضاً على طريقة الاستنتاج؟ يسأل لي آن بانغ.

- نعم أعتمد على الاستنتاج، ولكن الآخرين يستخدمون القدر والملاح،

أما أنا فأعتمد على الألوان. يرد إي زونغ.

- ماذا تقصد؟ يسأل لي آن بانغ بينما لم يفهم ما قاله الرجل.

- نسيت أن أخبرك بأن طريقة العالم الجليل تختلف عن الطرق التي

يعتمدها غيره من علماء كتاب التغيرات، فهو يستخدم طريقة الألوان

السبعة الأحمر، البرتقالي، الأصفر، الأخضر، النيلي، الأزرق والبنفسجي،

وذلك لتلخيص العالم من حوله، فهو عالم ألوان بالإضافة إلى كونه من

علماء كتاب التغيرات. يقول جاو بينغ فان.

- وهل بإمكان الألوان السبعة تلخيص العالم؟ يقول لي آن بانغ وقد

شعر بأن الموضوع صار أكثر غموضاً.

- الألوان السبعة ألوان أساسية، وهي تختلف عن الأبراج في أن بينها

تفاعلاً كيميائياً، وهذا ما ينتج عنه حاصل ضرب الرقم سبعة في نفسه

تسعة وأربعين، فيحدث تفاعل كيميائي وفق الاختلاف في مكان الميلاد

والبيئة الخارجية وعوامل الطقس، وهذا ما ينتج عنه عملية الرفع بالرقم

تسعة وأربعين للرقم سبعة، حتى تصل إلى فوق المئة مليون. يقول إي زونغ.

فأحس لي أن بانغ أنه لا يزال لا يفهم ما يقصده العالم، مما جعله يشك في إذا ما كان هذا الرجل يتمتع بعلم غزير أم أنه دجال محتال، ولكن يبقى أن جاو بينغ فان أخبره بأن الرجل ساعده في تجاوز عقبته العام الماضي، وبالتالي فقد تكون لطريقة الألوان السبعة فائدتها، ولكن هل يمكن أن يتفاعل بشيء والموضوع بدأ معه بالشك في قدرات الرجل؟ فما كان منه إلا أن أخبره بتاريخ ومكان ميلاده. فدونها إي زونغ في الورقة، ثم أخذ يحسب مع نفسه بعض الوقت، قبل أن يكتب بضعة سطور في الورقة، ثم حسبها ثانية وكتب بضعة سطور جديدة، ثم أتى بمجموعة مجلدات، اختار من بينها مجلدًا وأخذ يقلب فيه فترة طويلة، ثم كتب بضعة سطور، ثم اختار مجلدًا آخر وأخذ يقلب فيه ثم كتب بضعة سطور، وكرر الأمر أكثر من عشر مرات حتى امتلأت الورقة، فقلب الورقة الثانية وكرر ما فعل في السابق حتى امتلأت الورقة الثانية والثالثة. ثم انهمك في مطالعة ما كتبه، أخيرًا رفع رأسه، وقال:

- دعني أبدأ بذكر العقبات التي واجهتك، فإذا الصواب جانبي سأكمل، وإذا حدث العكس لتعتبر أنني لا أملك المهارة الكافية ولتقبل اعتذاري أنني أضعت وقتك.

- تفضل أيها العالم الجليل. يقول لي أن بانغ.

- أنت وقعت في خطأ من اللون الأحمر. يقول إي زونغ.

- ماذا تقصد؟ يسأل لي أن بانغ.

- بل ومن أعلى درجات اللون الأحمر. يتابع إي زونغ.

- ماذا تقصد؟ كرر لي أن بانغ سؤاله وهو لا يزال لا يفهم.

- بداية سأذكر منصبك، أنت تعمل في منصب مسؤول كبير، وتواجه مشكلة في عملك، ولأعدائك يد في ذلك. يقول إي زونغ.

دهش لي أن بانغ، ثم بدأ يساوره الشك في أن يكون جاو بينغ فان قد أخبره بمشكلته قبل مجيئه، ثم أخذ يفكر في أن جاو بينغ فان إنسان ذكي وكانت تربطه به مصالح مشتركة، وكما ذكر له بالأمس أنهما في قارب واحد، فإذا وقع هو في دائرة التحقيق، فلن يكون الأمر بعيداً عن جاو نفسه. وفي ظل هذه الأزمة، فإنه لن يقدم على ما يخدع به نفسه والآخرين، ثم أخذ يشك في أن يكون إي زونغ شاهده على شاشة التلفاز وعرف أنه النائب الدائم للمحافظ، وأنه طالما جاء إليه يتحدث عن عقبات، فلا بد أن تكون ذات علاقة بعمله، ولكنه نظر في مختلف أرجاء الغرفة فلم يجد بها أي تلفاز، فانتبه جاو بينغ فان إلى ما يفكر فيه لي أن بانغ فقال:

- كما أن السيد إي زونغ لا يشاهد التلفاز، ولا يتصفح الإنترنت، حتى إنه لا يعرف أسماء جميع الأعضاء الدائمين باللجنة المركزية للحزب، ولم يكن يعرفك قبل الآن.

ولكن إذا لم يكن يعرفه قبل الآن، فإن هذا الكلام خطير جداً، ويثبت القدرة الخارقة لعلم الألوان. ثم تابع لي أن بانغ يسأل ولا يزال يساوره الشك:

- قلت بأنني وقعت في خطأ من اللون الأحمر، فما هي العلاقة بين هذا اللون وبين المسؤولين؟

- هذا ليس من اختراعي، فارتباط الألوان بالعملية السياسية أمر

معروف للجميع. يقول إي زونغ.

- أرجو التوضيح أيها العالم الجليل. يقول لي آن بانغ.

- سأضرب لك مثالاً على ذلك، ما هي الرايات الثماني التي كانت في عهد أسرة تشينغ⁽¹⁸⁾؟

- الراية الصفراء، الراية البيضاء، الراية الحمراء، الراية الزرقاء و...
يرد جاو بينغ فان نيابة عن صديقه.

- تم هذا التقسيم السياسي على أساس اللون، أليس كذلك؟ بل كانت هناك درجات للون الواحد، مثل الأصفر الخالص والأصفر الملون وغيرها من الدرجات. يقول إي زونغ موضحاً.

وأردف: وهناك أيضاً اللباس، فمن كان يرتدي اللون الأصفر؟ إنه الإمبراطور فقط، بينما كان هناك لباس آخر للمسؤولين حسب مناصبهم، كل هذا كان يتم تقسيمه وفق الألوان.

وتابع: وبعيداً عن العصور القديمة، فإذا تحدثنا عن الثورة التي قام بها حزبكم الموقر ألم تكن بقيادة الجيش الأحمر، وكان يطلق على عدوه الجيش الأبيض؟ بل إن هناك مسميات السلطات الحمراء والإرهاب الأسود؟

واستطرد: وإذا قصرنا الحديث على الوقت الحاضر، نجد العديد من الجماعات السياسية حول العالم تلقب بمسميات ذات علاقة بالألوان، فهناك المعسكر الأزرق، المعسكر الأخضر، المعسكر الأحمر والأصفر،

18- أسرة أو سلالة تشينغ الإمبراطورية: آخر الإمبراطوريات الصينية حكمت خلال الفترة 1644-1912. (المترجم)

أليس كذلك؟ بل إن الثورات التي يشنها البعض بهدف إسقاط الدول ذات علاقة بالألوان؟ وكذلك أعلام جميع الدول حول العالم؟

وهكذا تبدو العلاقة بين الألوان والسياسة علاقة وثيقة للغاية، ولكن لي آن بانغ لا يزال يرى أن هذه الحجج التي ساقها إي زونغ غير مقنعة، فقال إي زونغ وهو يقلب في الأوراق المكدسة أمامه بعد أن أنتبه إلى شكوك لي آن بانغ:

- وإذا تغاضينا عن العقبات التي تواجهكم مؤخرًا، فسأتحدث وفق ما تشير إليه تغيرات الألوان عن عقبات واجهتكم في مرحلة مبكرة من حياتكم، فقد وقعت في خطأ من درجات اللون الأحمر وأنت في التاسعة من عمرك.

فأحس لي آن بانغ أن هذا الكلام مجرد تخاريف، فكيف تكون هناك علاقة بين طفل في التاسعة والسياسة؟ فقد كان آنذاك تلميذًا بالمرحلة الابتدائية، ولم يكن حتى من قيادات فصله المدرسي. فقال إي زونغ وقد لاحظ هذه الشكوك على وجه لي آن بانغ:

- والسياسة إحدى درجات اللون الأحمر الذي أقصده، وكذلك مختلف الأحزاب والجماعات حول العالم، فكر جيدًا، هل تعرضت لأي حريق وأنت في التاسعة من عمرك؟

فتذكر لي آن بانغ فجأة، أنه كان قد سافر في الإجازة الشتوية وهو في التاسعة من عمره برفقة زوج خالته إلى عاصمة البلدية لبيع البصل، وذات ليلة غلبه النوم فنام في المكان المخصص للعربات التي تجرها الأحصنة، وعند منتصف الليل، اندلعت النيران في المكان، ففر العم مع من فر من الناس وهو يقبض على كيس النقود، وترك لي آن بانغ نائمًا

بالداخل، حتى جاء صاحب المكان واقتحم النيران وأنقذه، قبل أن يموت محروقاً. وعلى إثر ذلك حدثت قطيعة بين عائلة لي آن بانغ وعائلة زوج خالته. فقال لي آن بانغ وقد بدا على وجهه السرور والاعتناء بكلام إي زونغ.

- أَصَبَتْ أَيْهَا الْعَالَم هَذِهِ الْمَرَّةَ، فَقَدْ حَدَثَ مَا قَلْتَهُ.

فَقَالَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقْلِبُ فِي الْأَوْرَاقِ:

- فَفِي هَذِهِ الْأَلْوَانِ سِرُّ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، وَلَنْ أُضْرِبَ لَكَ الْمَزِيدَ مِنَ الْأَمْثَلَةِ، فَلَنْ يَكُونَ لِلْحَيَاةِ طَعْمٌ إِذَا تَمَّ الْكَشْفُ عَنْ جَمِيعِ الْأَسْرَارِ.

- أَيُّهَا الْعَالَمُ، دَعْنَا مِنْ مَنَاقِشَةٍ مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنِ مَوْضُوعِ الْيَوْمِ، وَمَا يَهْمُنَا الْآنَ مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ التَّغْلِبِ عَلَى هَذِهِ الْعُقَبَاتِ مِنْ "اللون الأحمر" الَّتِي تَوَاجَهُ صَدِيقِي؟ يَقُولُ جَاو بَيْنْغُ فَا نَ.

فَأَمْسَكَ إِيَّ زُونْغُ بَوْرَقَةً بَيْضَاءَ، ثُمَّ بَدَأَ يَحْسِبُ مَعَ نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ بَضْعَةَ سَطُورٍ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ سَبْعًا إِلَى ثَمَانِي مَرَّاتٍ حَتَّى امْتَلَأَتِ الْبُورَقَةُ. ثُمَّ أَخَذَ يَطَالَعُهَا مَلِيًّا، وَيَقَارِنُ مَحْتَوَاهَا بِالْأَوْرَاقِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي كَتَبَهَا قَبْلَ قَلِيلٍ. وَأَخِيرًا قَالَ وَهُوَ غَارِقٌ فِي بَحَارِ التَّفَكِيرِ:

- مِنْ نَاحِيَةِ الْوَقْتِ، الْفُرْصَةُ لَا تَزَالُ سَاحِئَةً لِلْحُلِّ، وَلَكِنْ لِمُدَّةِ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ فَقَطْ. لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَوْفَ يَنْتَهِي بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْآنِ.

فَشَعَرَ لِي آنُ بَانْغُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّوْتَرِ، وَلَكِنَّهُ أَدْرَكَ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ أَنَّ الرَّجُلَ يَبْدُو أَنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِقُدْرَاتٍ خَارِقَةٍ، لِأَنَّ الْمَوْعِدَ الْمَحْدَدَ لَزِيَارَةِ لَجْنَةِ التَّحْقِيقِ الْمَرْكَزِيَّةِ لِلْمَحَافِظَةِ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. كَمَا سَيَطْرُقُ هَذَا الشُّعُورُ بِالتَّوْتَرِ عَلَى جَاو بَيْنْغُ فَا نَ الَّذِي قَالَ فِي عَجَالَةٍ:

- طالما أن الأمور تبدو هكذا، فإننا نرجو سرعة تقديم النصيحة، فالوقت لا ينتظر.

فراح إي زونغ يقارن بين الأوراق التي في يده، وظل غارقاً في التفكير لوقت طويل، قبل أن يكسر هذا الصمت قائلاً:

- قد تكون هناك عشرة حلول في الحالات الأخرى، أما في مثل هذه الحالة المهمة فليس أمامنا سوى حل واحد فقط.

فزاد شعور لي أن بانغ بالتوتر. وقال جاو بينغ فان:

- وما هو الحل؟

- ولكن لا أستطيع النطق بهذا الحل؛ لأنه لفظ جارح. يقول إي زونغ متنهداً.

- اطمئن أيها العالم الجليل، فإن أي كلام تتفوه به سيكون سرّاً في ما بيننا. يقول جاو بينغ فان.

فغرق إي زونغ في التفكير من جديد دون أن ينطق بكلمة واحدة. فتابع جاو بينغ فان:

- اطمئن أيها العالم الجليل، فإننا لن نبخسك حقك.

هز الرجل راسه بالرفض قائلاً:

- ليس هذا قصدي.

ثم توقف برهة قبل أن يتابع:

- فأنا والسيد جاو صديقان قديمان، واحتراماً له ولمكانته عندي

سأتحدث، ولكما كل الحرية في تصديق كلامي من عدمه. حل الوقوع في خطأ من اللون الأحمر هو فض اللون الأحمر.

- وما كيفية فض اللون الأحمر؟ يقول جاو بينغ فان.

- أن يفض بكاره فتاة بكر. يرد إي زونغ.

فأصيب لي أن بانغ بهشنة شديدة، فيبدو أن الأمر جد خطير، وأن مواجهة هذه السهام الثلاثة تتطلب فض بكاره فتاة بكر، حتى تلتقي السياسة مع الألوان مع مشكلته هذه، يا له من تجاوز كبير. فنظر إلى جاو بينغ فان، فإذا به يجلس مذهولاً. فقال لي أن بانغ:

- وهل يمكن أيها العالم الجليل أن تتفضل بتوضيح العلاقة بين الأمرين؟

- هل رأيت لون سور القصر الإمبراطوري؟ فإن قيامك بفض اللون الأحمر يعني تخطي ذاك السور. يقول إي زونغ.

فراح لي أن بانغ يتذكر لون السور المحيط بالقصر الإمبراطوري، إنه حقاً أحمر اللون، فهل تخطي سور أحمر يحتاج لمثل هذه الطريقة؟ فهو لا يعلم شيئاً عن التفاعل الكيميائي بين الألوان المختلفة، فوجد نفسه في موقف لا يحسد عليه. وفي تلك اللحظة، جمع إي زونغ أوراقه الأربعة ثم جلس فوق الطاولة تعبيراً عن نهاية الحديث في هذا الموضوع.

- أيها العالم الجليل أرجو ألا يكون لهذا الحل علاقة بثرثرتي، لأنه حقاً صعب. يقول لي أن بانغ.

- ماذا تقصد؟ يسأل إي زونغ.

- أين نجد هذه البكر الآن؟ فلا يمكن أن نبحت عنها في المدارس

الابتدائية؟ ففي هذا أيضًا مخالفة واضحة للقانون. يرد لي أن بانغ.

- ابحث عنها جيدًا وستجدها دون مخالفة للقوانين، فهي موجودة.
يقول إي زونغ.

- أرجو المزيد من التوضيح أيها العالم الجليل.

- إذا دعني أقولها وأنا في غاية الخجل: ابحث عنها في المناطق
الجبالية الفقيرة.

أنهى الرجل حديثه ثم نهض، فاضطر لي أن بانغ وجاؤ بينغ فان أن
ينهضا احترامًا له. وأخرج جاؤ من حقيبته مبلغًا من المال كان يلفه في
ورقة صحيفة ووضعه فوق الطاولة. فلم يكلف إي زونغ نفسه بالنظر
إليه. ثم خرج ثلاثتهم إلى الفناء، فتوجه إي زونغ مباشرة إلى المبخرة،
وبعد أن أدى التحية أمامها ألقى فيها بالأوراق الأربعة التي كانت بيده
قبل قليل، وشاهدها وهي تحترق أمامه، ثم ودع لي أن بانغ وجاؤ بينغ
فان وهو يضم يديه لوداعهما. وما إن خرج لي وجاؤ من الفناء، حتى
أخذ إي زونغ الإبريق من يد الفتاة وواصل سقي الزهور.

وما إن خرج لي أن بانغ وجاؤ بينغ فان من ساحة إي زونغ، حتى راحا
يتأملان الشارع الذي يعج بالحياة، وسأل لي أن بانغ صاحبه:

- هل تعتقد أن إي زونغ رجل أمين؟

- اطمئن أيها القائد، فهو رجل يحترم مهنته، وينسى كل شيء بمجرد
خروج الزبون من بابه، ألم تره وهو يحرق الأوراق الأربعة أمامنا؟ يقول
جاؤ بينغ فان، ثم يستطرد:

- كما أن جميع زبائنه يقصدونه في أمور خطيرة، تخفي وراءها

أسرارًا كبيرة، وإذا لم يكن أمينًا لما بقي في مكانه حتى الآن؟ وتابع:

- كما أنه طلب منا أن نحفظ سره، فهو أشد منا حرصًا.

فهز لي آن بانغ رأسه بالتأكيد، قبل أن يسأل من جديد:

- وهل تثق في خرافاته؟

- ليس أمامنا الآن إلا أن نصدقه، وأرجو أن يكون صادقًا. يقول جاو.

وتابع:

- وإذا لم يكن كذلك، فيكفي أن نتبع وصفته ولن نخسر شيئًا.

فضحك لي آن بانغ ضحكة مصطنعة، وبما أنه وصلت به الحال الآن إلى طريق مسدود، فليس أمامه إلا أن يتمسك ببصيص الأمل، ولكنه قال بلهجة حزينة:

- حتى إذا صدقناه، فأين نجد الدواء الذي وصفه لنا؟ فأنا لا أصدق ما قاله بأن نبحث عن الفتاة البكر في المناطق الجبلية الفقيرة، فمعظم العاهرات في المدينة ينحدرن من تلك المناطق الفقيرة.

- إذا تحدثنا بالنسب، فالفرص المتاحة في تلك المناطق المغلقة أكبر بكثير من المدن الكبرى. يقول جاو بينغ فان.

- وإذا صدق ما تقول، فتبقى تلك المناطق مناطق نائية، وأخشى أن تقع المصيبة قبل الوصول إلى هدفنا هناك. يرد لي آن بانغ.

إلا أن جاو بينغ فان لوح له بيده قائلاً:

- الأمر يسير، اتركه لي.

- ماذا تقصد؟ يسأل لي أن بانغ.

- أقصد أنني أعرف الكثير عنهن من خلال الحفلات التي شاركت فيها

العام الحالي. يرد جاو بينغ فان.

-9-

وفي إحدى المناطق الجبلية بضواحي المدينة، كانت هناك بناية من الدور الرباعية تحمل الرقم "ب 18".

وفي مساء اليوم التالي، تمكن لي أن بانغ من أن يفض اللون الأحمر في البناية "ب 18".

وقبل لقائه بالفتاة، كان في غاية القلق لأن تفقده همومه التركيز في تلك اللحظة، وأن يفشل في مهمته، ومن ثم يفشل في التوصل إلى حل لأزماته، ففض غشاء بكاراة الفتاة من عدمه قد يبدو أمرًا يسيرًا بالنسبة له في مقابل فشله في حل أزماته الخطيرة. فكان كلما راودته هذه الفكرة، زاد شعوره بالقلق، فلم يجد بدءًا من الاستعانة بمؤثر خارجي، فبمجرد أن وصلت الفتاة، أخذ لي أن بانغ حمامًا وتناول حبة "فياجرا".

-10-

وكانت النتيجة العملية أفضل بكثير مما توقع.

فلم يتوقف الأمر عند نجاح لي أن بانغ في فض غشاء بكاراة الفتاة، بل كانت أمتع مرة في حياته.

كانت الفتاة تنحدر من إحدى المناطق الجبلية، تتمتع بوجه محمر وملامح جميلة كالأجنبيات، اسمها سونغ تساي شيا. فتاة في غاية البساطة، حتى إنها كانت تجيب عن جميع أسئلته بكل صراحة، ولم تسأله طول الوقت الذي قضاه معها عن اسمه.

وخلال الأيام الثلاثة التالية، جاءت ثلاثة أخبار، وهي على التوالي:

الخبر الأول: أن سونغ ياو وو رئيس مدينة ×× بعد مثوله للتحقيق أمام لجنة الانضباط المركزية، لم ينطق بكلمة واحدة. وقد التزم الصمت التام أمام اللجنة، كما حدث من جانغ تشون تشياو⁽¹⁹⁾ أحد أعضاء "عصابة الأربعة". وظل محافظاً على صمته لمدة يومين، وبعد منتصف ليل اليوم الثاني، طلب الذهاب إلى الحمام، فصحبه اثنان من الحراس. وما إن انتهى من قضاء حاجته، حتى استغل انشغال الحارسين ودفع باب الحمام، وصدّم رأسه في غطاء بالوعة الصرف الصحي، وهشم رأسه، ليموت في الحال بعد أن نزف كمية كبيرة من الدماء.

بينما تم معاقبة الحارسين على تقصيرهما.

الخبر الثاني: أن جويوتشن نائب مدير اللجنة الدائمة بمجلس نواب الشعب ذهب قبل أربعة أيام إلى المشفى، لإجراء فحوصات دورية، وظهرت نتيجة الفحوصات صباح أمس مبينة أنه مصاب بسرطان في مرحلة متأخرة. وبعد ظهر نفس اليوم صحبتته زوجته وابنه إلى بكين ليقوم بمشفى بكين للأورام السرطانية. وبالنظر إلى إصابته بسرطان في مرحلة متأخرة، فقد كان لكل من زوجته وابنه رأيان مختلفان حول

19- جانغ تشون تشياو(1917-2005): أحد قادة الحزب الشيوعي الصيني خلال فترة الثورة الثقافية الكبرى، شغل منصب عضو المكتب السياسي باللجنة المركزية للحزب ونائب رئيس مجلس الدولة الصيني وعضو "عصابة الأربعة"، عرف بالتزامه الصمت عند مثوله أمام التحقيقات مع أعضاء "عصابة الأربعة"، وحكم عليه بالإعدام، ثم تم تخفيف الحكم إلى السجن ثمانية عشر عاماً، وتم تجريدته من حقوقه السياسية كافة، قبل أن يموت بمشفى النهضة ببكين مصاباً بالسرطان. (المترجم)

إمكانية إجراء عملية لجويوتشن. وبالنظر إلى حالته الصحية ورغبة منهم في إنقاذ حياته، اضطر جويوتشن إلى الاستقالة من عمله بحكومة المقاطعة.

الخبر الثالث: قيام مكتب الأمن بالمقاطعة بفحص إحدى القضايا محل الشك، والتي تعود إلى أن تاجرًا في منتصف العمر صدم بسيارته سيارة مشروع صيانة أحد الطرق، ولم يصب التاجر بأذى، فيما لقيت فتاة شابة كانت في نفس السيارة مصرعها في الحال، فدفع التاجر لسائقه الشخصي أربعة ملايين يوان ليتحمل الجريمة عنه. وبعد فحص أوراق القضية، تمت معرفة الحقيقة، وإلقاء القبض على التاجر. وبسبب متابعة هذه القضية من قبل السيد ماو السكرتير الحزبي بالمقاطعة والسيد مدير أمن المقاطعة بصفة شخصية، فقد تم الكشف عن ملابساتها في خمسة أيام فقط.

فتملك لي آن بانغ الغضب بمجرد سماع الأخبار الثلاثة. فبعد أن سمع من دوان شياوتيه أن سونغ ياو وو شخص جبان، وأنه سوف يبيعهم جميعًا بمجرد المثل أمام لجنة الانضباط، لكنه لم يتصور أن يكتشف أنه بطل ثوري فضل أن يضحى بحياته على أن يبيع غيره. ولما كان لي آن بانغ يعلم أن سونغ ياو وو ترك بموته والدته وزوجته، فجعل يفكر في طريقة ليتعهد بها أسرة سونغ بالرعاية. بينما لم يكن لي آن بانغ يتصور أن يصاب جويوتشن بالسرطان. وأن جويوتشن سوف ينشغل من اليوم بإنقاذ حياته دون أن يفكر في إيذاء غيره. ولكن بصرف النظر عن ما كان بينهما من خلاف، فإن لي آن بانغ سوف ينسى كل شيء بل وسيشارك في حفل تأبينه عند موته، شريطة أن لا يصيبه منه أذى هذه المرة. أما ما يتعلق بقيام مكتب الأمن بإعادة فحص القضية

فحدث ولا حرج، فهذا مجرد شك من دوان شياوتيه، فهي مجرد سيارة اصطدمت بسيارة أحد مشاريع الطرق، نتج عنه موت فتاة ما، فالأمر لا يعدو أن يكون مجرد خلط بين القضيتين.

وبعد ثلاثة أيام، وصلت المقاطعة لجنة التحقيق المركزية، لإجراءات التحقيقات حول المرشحين الثلاثة لمنصب المحافظ. وبعد مضي عشرين يومًا من التحقيقات، قررت اللجنة ترقية السكرتير ماو بمنحه عضوية اللجنة، وترقية المحافظ جيو ليشغل منصب السكرتير الحزبي بالمقاطعة، وترقية لي آن بانغ إلى منصب محافظ مكلف لإحدى المقاطعات، فيما تولى أحد الأعضاء الدائمين باللجنة المركزية منصب محافظ مكلف لهذه المقاطعة، على أن يتولى كل منهما منصب المحافظ حتى انعقاد الانتخابات القادمة، بينما تولى نائب المحافظ لاجينغ منصب النائب الدائم للمحافظ الذي كان يشغله لي آن بانغ.

وهكذا تمت حركة التغييرات التي حددتها اللجنة المركزية.

وكان لي آن بانغ بالطبع سعيدًا بترقيته إلى منصب محافظ، ومما زاد سعادته أنه سينتقل للعمل في مقاطعة أخرى. فهذا من شأنه: أولاً: سيساعده في تغيير المكان الذي عمل به على مدار خمسة وثلاثين عامًا، وبالتالي وضع حد للأحقاد التي يعاني منها في هذه المقاطعة. ثانيًا: سيكون بإمكانه أن يصطحب معه ابنه العاق لي دونغ ليانغ، وستكون فرصة لأن يغير ابنه هذا المكان وينتقل إلى مكان غريب بحيث يصبح بإمكانه العثور على قفص مناسب لحبس هذا الحيوان، قبل أن يرسله إلى الجيش بعد أربعة أشهر. وفي غمرة سعادته، شعر لي آن بانغ بشيء من تأنيب الضمير، فقد ارتكب الكثير من الأخطاء في حق الحزب والشعب خلال عشرات السنين الماضية، تلك الأخطاء التي تعد

سرّاً بينه وبين نفسه، ولا يعلم عنها الحزب والشعب شيئاً، وقرر أنه من اليوم فصاعداً يجب أن يتعظ من أخطائه ويظهر نفسه، وأن يبدأ مرحلة جديدة من العمل في المقاطعة التي سينتقل للعمل بها، وأن يضاعف من جهده، وأن يكفر عن أخطائه، خاصة أنه يعلم جيداً أن هذا المنصب لم يأتِ بسهولة، وإنما جاء بالدم.

وبعد سماعه خبر انتقال لي أن بانغ للعمل محافظاً لمقاطعة أخرى، اقترح عليه دوان شياوتيه أن ينتقل للعمل معه هناك. فوافق لي أن بانغ على طلبه، على أن ينتظر حتى يتعرف على أحوال المقاطعة الجديدة ويثبّت أقدامه هناك، كما أخبره أن زوجته كانغ شوبينغ كانت ترغب في مرافقته إلى هناك من أول لحظة، لكنه طلب منها عدم الاستعجال، عندئذٍ لم يجرؤ دوان شياوتيه على أن يلح عليه بعد ما ذكره حول طلب زوجته.

وفي اليوم السابق لتسلم مهام عمله بالمقاطعة الأخرى، كان لي أن بانغ لا يزال يمارس عمله بديوان المقاطعة بكل جدية. وكان المحافظ جيو الذي ترقى مؤخراً ليشغل منصب سكرتير الحزب بالمقاطعة قد دعا أمس لعقد آخر اجتماع مجلس مقاطعة، وذلك لمناقشة تسليم وتسلم مهام العمل بالمقاطعة. وما إن انتهى الاجتماع، حتى قال المحافظ جيو:

- وفقاً لحركة التغييرات الأخيرة، فسيكون عملنا جميعاً داخل المقاطعة، باستثناء لي أن بانغ الذي سينتقل للعمل بمقاطعة أخرى، أرجو إبلاغ مطعم المقاطعة ليعد لنا غداً مأدبة عشاء لوداعه.

فأيد نواب المحافظ الفكرة وقالوا إن هذا من الواجب عليهم. بينما قال لي أن بانغ إنه سيسافر في صباح اليوم التالي إلى بلدية ×× بمدينة ××، للمشاركة في تدشين مدرسة ضمن مشروع "مدارس الأمل"، وبما

أن هذه البلدية تقع في منطقة جبلية نائية، فإن الطريق من عاصمة المقاطعة إلى تلك البلدية سيستغرق بالسيارة أكثر من عشر ساعات نهائياً وإياباً، وأنه يخشى أن يتأخر على موعد العشاء.

- بما أنك ستغادر بعد غد، فيجب أن تقوم بترتيب أمتعتك غداً، ويمكن أن يشارك لاوباي نيابة عنك في تدشين "مدرسة الأمل". يقول المحافظ جيو.

ولاوباي هو نائب المحافظ لشؤون التعليم، وسيكون من المناسب جداً مشاركته في هذه الفعالية.

- حسناً، سأذهب أنا. قال لاوباي في عجلة.

- مشروع "مدارس الأمل" يتبع قطاع المشروعات الخيرية والتي تقع ضمن مسؤولياتي في المحافظة، وبالرغم من أن العمل على هذه المشروعات يبدو سهلاً داخل المقاطعة، إلا أن الأمر يختلف على مستوى المدن والبلديات، فيصل الأمر لدرجة التوسل لأحدهم هنا أو هناك، كما أنها قد تكون فرصة لوداع الرفاق المسؤولين عن المشروعات الخيرية على مستوى المدن والبلديات. يرد لي أن بانغ.

وما إن سمع المحافظ جيو تعليق لي أن بانغ، حتى قال:

- إذا دعنا من الشكليات، وعليك بممارسة مسؤولياتك بالمقاطعة حتى آخر لحظة.

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي، تحرك لي أن بانغ والوفد المرافق له. وبمجرد خروج سيارتهم من المدينة، صادفتهم أعمال صيانة وزحام في الطريق. وتوقفت السيارة عند الظهيرة بينما كان لا يزال أمامهم

ما يزيد على ثمانين كيلومتراً إلى وجهتهم. فنزلوا جميعاً في ”منتجع ريفي“ إلى جانب الطريق، وتناول كل منهم سلطانية شعيرية بالدجاج، قبل أن يواصلوا رحلتهم. وعند وصول الوفد حدود المدينة التي تضم تلك البلدية، كان في انتظارهم قيادات المدينة مصطفىين على جانبي الطريق. وبما أن هذه المدرسة من مدارس ”مشروع الأمل“ كانت بتبرع من جاو بينغ فان، فكان جاو قد سبقهم إلى هناك وكان بين قيادات المدينة للترحيب بقدوم الوفد. وقدم قيادات المدينة الذين علموا بأمر ترقية لي آن بانغ التهنئة له على منصبه الجديد. وقال السكرتير الحزبي بالمدينة وهو يقبض على يدي لي آن بانغ:

- اسمحوا لي يا سيادة المحافظ لي أن أتقدم لكم بالشكر بالنيابة عن ما يزيد على خمسة ملايين نسمة من سكان هذه المدينة، نشكركم على تكرمكم بتخصيص آخر زيارة رسمية لكم قبل مغادرة مقاطعتنا لهذه المدينة، وهذا خير دليل على مشاعركم تجاه سكان المناطق الجبلية.

فصفق الجميع. كما صفق معهم جاو بينغ فان الذي كان يقف بين جموع المرحبين، ولم يبدُ منه ما يدل على علاقته الخاصة بلي آن بانغ.

- إذا كان من شكر، فيجب أن نشكر المدير جاو، فهو الذي سنّ هذه السنة، ولم تكن المناطق الجبلية لتعرف ”مدارس الأمل“ دون تبرعاته. قال لي آن بانغ وهو يشير إلى جاو بينغ فان.

فشكر الجميع جاو بينغ فان. بينما قال جاو وهو يلوح بيده نائياً:

- يبقى كل ما قدمته شيئاً بسيطاً أمام مجهودات المحافظ لي.

فصفق الجميع ثانية، ثم استقلوا الحافلة متوجهين إلى عمق الجبل. وسارت الحافلة لمدة ساعتين حتى وصلت حدود تلك البلدية، وهناك

وجدوا قيادات البلدة في انتظارهم على جانبي الطريق. نزل لي آن بانغ وسلم على الجميع، ثم توجهوا برفقة قيادات البلدية إلى عمق الجبل، ووصلوا بعد ساعتين إلى وجهتهم. حيث وجدوا أمامهم "مدرسة الأمل" وسط منطقة منبسطة في إحدى القرى الجبلية. طالعهم مدخل المدرسة المبني بالقرميد الأحمر تتخلله قطع باللون الأخضر، وبالداخل خمسة صفوف من الفصول الدراسية مبنية بمهارة فائقة بالقرميد حتى السقف، ورايات بألوان وأحجام ومختلفة ترفرف فوق سور الفناء. وعلم الصين يرفرف فوق سارٍ على مدخل المدرسة. وما إن نزل لي آن بانغ من السيارة، حتى استقبلته الجماهير التي كانت تصطف على جانبي الطريق يرتدون الملابس الجميلة استقبالا حافلا بالهتافات الحماسية والتصفيق. وعند دخوله المدرسة، استقبله مئات التلاميذ الذين كانوا يرتدون الزي الموحد ويملؤون فناء المدرسة، ثم تقدمت مجموعة من التلاميذ في السابعة أو الثامنة من العمر وقدموا للي آن بانغ ورفاقه الشارات الحمراء. ثم صعد أعضاء وفد المحافظة المنصة مرتدين الشارات الحمراء. ووسط صخب الهتافات ودوي الطبل، سحب لي آن بانغ جاو بينغ فان إلى جواره، ثم همس إليه قائلاً:

- يبدو أن تلك الأشياء المجهولة موجودة هنا.

ففهمه جاو بينغ فان على الفور دون الحاجة لأي توضيح، وقد عرف أنه يقصد الشارات الحمراء المعلقة على صدورهم، والتي تشير إلى الرايات الملونة فوق السور والقرميد الأحمر والأخضر عند مدخل المدرسة، فقال:

- صدق إي زونغ، فهذا العالم يتكون من ألوان قوس قزح.

وقال لي آن بانغ بعد تردد: وقد يكون هذا كله مجرد صدفة، أليس

كذلك؟

- حتى وإن كانت صدفة، فإنها ترتبط بمصيركم أيها القائد.
- ثم همس إليه لي أن بانغ وسط صخب وهتافات الجمهور:
- وهل تعلم سبب زيارتي لهذه المنطقة الجبلية اليوم؟
- تعبيراً عن مشاعركم العميقة تجاه مقاطعتنا قبل مغادرتكم أيها القائد.

فهز لي أن بانغ رأسه الموافقة قائلاً:

- هذا أحد الأسباب، ولكن تبقى هناك رغبة شخصية أخرى.
- وما هي؟ يسأل جاو بينغ فان مذهولاً.
- إذا صدق كلام العرّاف، فإنه يجب عليّ شكر تلك الفتاة واسمها سونغ تساي شيا. ثم همس إليه:
- وللعلم كانت بكرًا.

فذهل جاو بينغ فان، ثم قال وهو يرفع له إصبع الإبهام:

- وهذا خير تعبير عن مشاعركم العميقة لأن تكرم سكان المناطق الجبلية لأجل واحدة منهم.
- وتابع:

- وبناءً على ما تفضلتم به أيها القائد، أعلن تبرعي للمنطقة بمدرستين إضافيتين من "مدارس الأمل".

فقبض لي أن بانغ على يدي صاحبه، ثم سأله هامساً:

- بماذا نصحك العرّاف وقت أن كانت تجارتك تبلغ عنان السماء، حتى استحال خوفك أمناً؟

فقال جاو بينغ فان بعد برهة:

- بالرغم من أنني وعدته بعدم إفشاء السر، لكن طالما سألتني أيها القائد عن ذلك للمرة الثانية، فسأفصح لكم عن ذلك السر: أن أقسم نفسي نصفين.

- ماذا تقصد؟ يسأل لي آن بانغ.

- أن أتنازل عن نصف ثروتي بما يزيد على عشرة مليارات يوان لأحدهم تحت مسمى المساهمة. يرد جاو بينغ فان.

- وهل كان ذلك الشخص قاسياً إلى تلك الدرجة؟ سأل لي آن بانغ مندهشاً.

فهز جاو بينغ فان رأسه بالتأكيد قائلاً:

- في منتهى القسوة والطمع.

فقبض لي آن بانغ على يديه يواسيه، ثم صعد الجميع المنصة وسط صخب الجمهور. وطلب سكرتير المدينة من لي آن بانغ أن يزيح الستار عن لوحة "مدرسة الأمل" وأن يلقي كلمة بهذه المناسبة. ففعل لي آن بانغ. وخلال كلمته، تحدث لي آن بانغ عن طلب تأسيس "مدرسة الأمل"، كما أعلن أمام الجميع أن جاو بينغ فان سيتبرع بتأسيس مدرستين إضافيتين لأهالي المنطقة، وطالبهم بتقديم الشكر لجاو بينغ فان، فلوح جاو بيده، بينما ارتفعت أصوات التصفيق عالية.

وفي صباح اليوم التالي، سافر لي آن بانغ برفقة سكرتيه الخاص إلى تلك المقاطعة بالطائرة.

الفصل الثالث

أن تعرف الجميع

- ومرّ عام.

الفصل الرابع

يانغ كاي توه

-1-

عند انهيار جسر قوس قزح الثالث فوق نهر قوس قزح، كان يانغ كاي توه في زيارة لإحدى القرى للمشاركة في حفل زفاف ابن أخته. وبالرغم من كونه من أبناء هذه البلدية، وله فيها العديد من الأقارب والأصدقاء، إلا أنه لم يكن يميل إلى مشاركتهم في جميع مناسباتهم السعيدة والحزينة. ولم يكن ذلك بسبب عدم احترامه لهم، وإنما لرغبتهم في استغلال منصبه. فكان يانغ يشغل منصب مدير هيئة الطرق بنفس البلدية، وكان مسؤولاً عن إنشاء الطرق والجسور بالبلدية، مما جعل أقاربه وأصدقاءه يعتقدون أن كل ما يتعلق بالطرق والجسور في البلدية ملك لعائلة ليانغ كاي توه، فكيف يمكن أن يسمحوا لأحد أن يستولي على هذه الذبيحة السمينية التي ربوها بأنفسهم؟ فكانوا ما إن يلتقونه في مناسبة من المناسبات، حتى يطلب منه أحدهم أن يسند إليه هذا المشروع أو ذاك. ولم يكن الرجل من هؤلاء الذين لا يهتمون بأقاربهم

وأصدقائهم، فقبل خمس سنوات من الآن، أسند لمؤسسة تخص أحد أبناء أخته مشروع رصف الطريق من قرية ×× إلى قرية ××، بطول يبلغ كيلومتراً ونصف الكيلومتر، وبإجمالي خمسمئة ألف يوان، وفي المعتاد، كان يانغ يشرف على المشروعات الإنشائية التي يبلغ تكلفتها مئات الملايين من اليوانات، وكان هذا المشروع من المشروعات التي لا تذكر بالنسبة له، فرأى أن يسنده لأحد أبناء أخوته. وتم تنفيذ المشروع خلال شهر واحد، وبدا عند استلامه في غاية الجمال، إلا أنه بعد ثلاثة أشهر من استلامه، بدأت الحُفر تظهر على طول الطريق، وبدأت مشاكل انزلاق السيارات عند تساقط الأمطار، ويومًا بعد يوم، زادت الحُفر على طول الطريق حتى أصبح أسوأ مما كان عليه قبل تنفيذ عملية الرصف الجديدة، الأمر الذي سبب ليانغ كاي توه الكثير من المشاكل. فسأل يانغ والد الشاب الذي أشرف على تنفيذ المشروع وكان من أبناء عمومته عن المبلغ الذي أنفقه ابنه على المشروع، فأجاب الرجل بكل ثقة:

-عشرين ألف يوان.

أنفقوا عشرين ألف يوان على مشروع بخمسين ألفاً، واستبقوا لأنفسهم ثلاثين ألفاً. فكان أكثر ما أثار إعجابه في هذا الأمر جرأة هؤلاء. فلا يوجد في هذه البلدية من هو أكثر منهم حباً للفساد. وقد طالت حملة الحكومة المركزية على الفساد مؤخراً الكثير من الفاسدين، فوجد يانغ كاي توه في هذا سبباً لرفض طلبات أقربائه وأصدقائه، فما إن يتحدث إليه أحدهم في مشروع ما، حتى يرد قائلاً: "هل ترغبون في أن تلحقني تهمة الفساد؟" فكان هذا المبرر كافياً لأن يؤجلوا طلباتهم، وبالرغم من تأجيل رغباتهم في الحصول على المزيد من المشروعات، إلا أن ذلك لم يضع حدًا لنهاية طلباتهم الكثيرة منه، حتى قرر يانغ كاي توه البعد

عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

لكن ذلك كله لم يمنع يانغ كاي توه من المشاركة اليوم في حفل زفاف ابن أخته. لأن ابن أخته هذا يختلف عن غيره من أقاربه، فهو ابن أخته الكبيرة، التي لها مكانة خاصة عنده، فهي التي أنقذت حياته وهو صغير، ومن دونها لم يكن ليبقى يانغ كاي توه الذي يعرفه الجميع الآن. فعندما كان عمره عامًا واحدًا فقط، أصيب يانغ بالتهاب السحايا الذي كان منتشرًا آنذاك، وأصيب بارتفاع شديد في حرارة جسمه مع الالتهاب، قبل أن ينجو من الموت بعد ثلاثة أيام. ولما لم تكن الصين قد طبقت قانون تحديد النسل آنذاك، فكانت عائلته لديها سبعة من الأبناء والبنات، ومن ثم لم يكن أحد يهتم إذا زاد هذا العدد أو نقص. كما كانت والدته سيدة غريبة حادة الطباع، حتى إنها ألقت به قبل أن يبلغ الفطام في غرفة القش ليربي نفسه بنفسه. فكانت أخته الكبيرة صاحبة التسعة أعوام آنذاك تتسلل إليه ثلاث مرات يوميًا، وتحمل له الماء. حتى استعاد عافيته بعد ثلاثة أيام. ودون الماء الذي كانت تسقيه إياه أخته الكبيرة، لما استطاع يانغ أن ينجو من الموت. كما كانت صحته معتلة منذ صغره، فكان يتعرض لمضايقة زملائه في المدرسة، فتبكيه مضايقاتهم، وفي كل مرة كانت أخته هي التي تتصدر المشهد وتدافع عنه. وهكذا قرر يانغ كاي توه أن يكسر الحواجز كافة ويشارك في حفل زفاف ابن أخته، ليشرف أخته في هذه المناسبة. وبالنظر إلى منصبه كمدير إحدى الهيئات البلدية، فما إن وصل يانغ، حتى بدا وكأن الحفل قد ارتفع مستواه بوجود هذه الشخصية القيادية. وخلال المأدبة التي أعقبت حفل الزفاف في الساحة الأمامية لبيت أخته، أجلسوه إلى المقعد الرئيس على الطاولة الرئيسة. وجلس معه على نفس الطاولة عدد من أعمام وأخوات العروس، بالإضافة إلى اثنين

من الشخصيات المهمة في القرية وهما: عمدة ومحاسب القرية، وكان ليانغ كاي توه أحد أبناء عمومته يقيم ببلدية مجاورة، وكانت تلك البلدية تعرف بتصدير الأيدي العاملة خارج الصين، كإرسال عدد من أبنائها العاملين إلى إفريقيا للعمل في الإنشاءات ومد خطوط السكك الحديدية، من بينهم ابن عمته هذا الذي يعمل لحامًا في أحد المشروعات بدولة بتسوانا، وصادف الحفل موعد إجازته، وقد اسمرَّ وجهه كأبناء إفريقيا، فأجلسوه معهم على الطاولة الرئيسة بالنظر إلى أنه قادم من الخارج. وكان أهل العروس أناسًا قرويين، بدا عليهم الارتباك بجلوسهم مع يانغ كاي توه إلى مائدة واحدة، فكانت أعينهم لا ترتفع عن الأرض وهم يلتزمون الصمت. وكذلك ابن عمته العائد من الخارج، الذي كان ينظر في صمت إلى مسكن العروسين الجديد وسط الفناء، ويبدو منشغلًا بقراءة الملصقات المعلقة على الباب. عندئذٍ كسر عمدة القرية الصمت، وقال بلهجة يشوبها بعض التوتر:

- أيها المدير يانغ، أرى أنه لا يمكن أن يمضي هذا اليوم السعيد ونحن على هذه الحالة من المحافظة والتوتر، وإلا سيعود أهل العروس إلى بلدتهم ويقولون إننا لم نحسن ضيافتهم.

فأيده محاسب القرية قائلاً:

- نعم، يجب أن نستمتع اليوم بالطعام والشراب، وإلا سيكون هذا تقصيرًا في حق أقارب المدير يانغ، وليس في حق أهالي القرية فحسب. فزاد هذا من حماس يانغ كاي توه الذي كان يرغب في تشريف أسرة أخته، فقال:

- صدقتما، ولن يخرج أحد من هذا المكان اليوم حتى يشاركنا الشراب.

فضحك الجميع، وساد المكان بهجة. ثم قال عجوز من أهل العروس:
- سيادة المدير يا نغ، أنت تشارك يومياً في الكثير من الحفلات
الرسمية، ونحن قرويون بسطاء، فلا مجال لمنافستك في الشراب.
- ردك هذا يعني أنك لها أيها الشيخ. فشرب الخمر كالعامل، يرفضه
من يملك الثقة بنفسه. يقول يا نغ كاي توه.

فضحك الجميع من جديد. بينما قال عمدة القرية بحماس:

- إذاً علينا أن نضع شرطاً للشراب في هذه الجلسة.

- أي شرط تقصد؟ سأل العامل العائد من بتسوانا.

- أن يحتسي من يبدأ الشراب ثلاث كؤوس، وإذا زاد عدد الفائزين عن
النصف، يقومون بتناول ثلاث كؤوس بالإضافة إلى الكؤوس المخصصة
لهم، وإذا زاد عدد الخاسرين عن النصف، فعليه أن يشرب كؤوس
الخاسرين ثم يعاقب بثلاث كؤوس إضافية، وذلك وفقاً لقدرة كل منهم
على الشراب.

فما إن سمعوا هذا الشرط، حتى التزم الجميع الصمت، فقال عمدة
القرية للعجوز:

- ما رأيكم أيها العم أن أقوم أنا بتوزيع الورق، وأن تبدأ أنت المنافسة.
فلوح الرجل بيده نافياً:

- لا يمكن أيها العمدة، لقد تقدم بي العمر والفارق كبير جداً بين
المكسب والخسارة.

وقال المحاسب:

- أيها العم، لا يمكن أن تكونوا محافظين على الدوام، حتى لا يكون هناك تقصير في حق العروس.

عندئذٍ تقدم أحد الشباب من أهل العروس وقال:

- هل يمكن أن أجرب أنا طالما أن الأمر ليس فيه تعدُّ على القادة وكبار السن المتواجدين؟

ثم مد الشاب يده ليأخذ بإناء الخمر، فضرب العجوز على يده بعصا الطعام قائلاً:

- هل تفهم الأصول؟ يجب أن يكون المدير يانغ أول من يبدأ الشراب، فهو من قيادات هذه البلدية.

- لقاؤنا اليوم لقاء أقارب، لا مكان فيه للمناصب القيادية. يقول يانغ كاي توه.

ثم مدَّ يده للشاب قائلاً:

- إذا علينا أن نلعب بداية حجر - ورقة - مقص، والفائز يبدأ بالشراب. فنظر الشاب إلى العجوز، فابتسم له العجوز دون أن ينبس بكلمة، عندئذٍ مدَّ الشاب يده ليبدأ لعبة حجر - ورقة - مقص مع يانغ كاي توه. وعلت ضحكات الجمهور الذي التف حولهم للمشاهدة. عندئذٍ رن جرس هاتف الشاب، فتوقف عن اللعب ليخرج هاتفه ويستقبل المكالمة. فقال عمدة القرية:

- هذا سوء أدب أن تترك القائد ينتظرك لترد على الهاتف. سأضيف شرطاً جديداً، على الجميع أن يغلقوا هواتفهم، ومن يرن جرس هاتفه يعاقب باحتساء ثلاث كؤوس إضافية.

فأخرج يانغ كاي توه هاتفه وأغلقه أمام الجميع قائلاً:

- ولنلعب معاً لعبة حرب العجلات.

فأغلق الشاب هاتفه في عجلة، وكذلك فعل جميع الجالسين إلى نفس الطاولة. وزاد حماس الجميع لمشاهدة اللعبة، وكذلك أتى عدد من الضيوف الجالسين إلى الطاولات المجاورة وانضموا إليهم، كما جاءت أخت يانغ كاي توه التي قالت ناصحة أخاها:

- لا تجعل أصهارنا يسرفون في الشراب، حتى لا يعودوا بوجه غير الذي جاؤونا به.

- نحن لم نشرب بعد، وأين لنا بتلك الكمية من الخمر؟ يقول يانغ كاي توه.

وعلت أصوات الضحكات من جديد. ثم تصافح يانغ مع الشاب وبدأت المنافسة. وفاز يانغ كاي توه في لعبة حجر ورقة مقص، فعلا صوت التصفيق، ثم رفع يانغ كأسه وشرب ثلاث كؤوس متتالية وسط التصفيق الحاد من الجمهور، ليربح يانغ هذه الجولة من المنافسة. ثم ترك المجال للرجل العجوز من أهل العروس، ثم عمدة القرية، ثم ذلك الشاب من أهل العروس ثم... وهكذا انهمك الجميع في الشراب وسط أجواء حماسية، وأثنى الجميع على تواضع وبساطة يانغ كاي توه. وبعد مضي ساعتين، استلقى على الطاولة شاب ورجل في منتصف العمر من أهل العروس، بينما أسرع محاسب القرية والعامل العائد من بتسوانا إلى دورة المياه للتقيؤ ولم يعودا ثانية إلى الطاولة، بينما شعر يانغ كاي توه ببعض الدوار، وبدأ يتلعثم بعض الشيء، إلا أنه كان لا يزال يرفع يده ويشير إلى ذلك الشاب من أهل العروس لمواصلة المنافسة، وفي تلك اللحظة

جاءه سائقه في عجلة وقال وهو يمد إليه بهاتفه:

- هذا الاتصال لكم أيها المدير.

- مَنْ المتصل؟ لن أرد عليه. يقول يانغ كاي توه.

ثم قال متلعثمًا:

- ألم نطلب من الجميع إغلاق الهواتف، لماذا لم تغلق أنت هاتفك؟

- إنه السيد دو رئيس البلدية. همس إليه السائق.

فما إن عرف يانغ أن المتصل هو السيد دو رئيس البلدية، حتى أفاق من سكره، ثم أخذ الهاتف من السائق وهو يبتسم للشاب الذي ينتظره لمواصلة لعبة حجر ورقة مقص. ولم يتوقع يانغ أنه بمجرد أن رد على الاتصال، أن يأتيه صوت رئيس البلدية غاضبًا:

- يانغ كاي توه، يا لك من ابن عاهرة!

ذُهل يانغ كاي توه، فإذا كان هذا الموقف حدث في توقيت غير هذا، لكان رده إلى غضب رئيس البلدية، أما الآن وهو مسرف في الشراب، فما إن سمع رئيس البلدية يبدأه بالسباب حتى شعر بالاستياء، وبالرغم من علاقة الرئيس والمرؤوس التي تربط بينهما، إلا أنه لا يمكن أن يبدأه بسب أمه، فقال يانغ كاي توه وهو يبتعد عن الطاولة:

- أيها الرئيس دو، تفضل بقول ما لديك، وكيف تبدأني بالسباب هكذا؟

- لن أكتفي بالسباب، وإنما أرغب في تأديبك. دعني أسألك، لماذا تغلق هاتفك يا ابن العاهرة بالرغم من أن القوانين تنص على ألا يغلق أحد من القيادات هاتفه طول اليوم؟

- انظر، ها أنت تسبني ثانية.

- هل تعلم يا ابن العاهرة أن جسر قوس قزح الثالث انهار قبل ساعة

من الآن، وأودى بحياة ما يزيد على عشرين شخصًا!

ثم واصل السب:

- وأنا الآن في موقع الحادث، وأنت لا تزال تسكر هنالك يا ابن العاهرة!

فأحس يانغ كاي توه أن رأسه يكاد أن ينفجر، وأفاق من سكره في

التو.

وبما أن إنشاءات الطرق والجسور في البلدية تتبع هيئة الطرق، فإنها

هي المسؤولة في حالة وقوع أي حادث.

-2-

تم إنشاء جسر قوس قزح الثالث فوق نهر قوس قزح قبل خمس سنوات، بإجمالي استثمارات بلغت 680 مليون يوان. ونهر قوس قزح أحد فروع نهر اليانجستي، يجري من الغرب ناحية الشرق مروراً بهذه البلدية. وفي ما مضى كان هناك جسران فقط فوق نهر قوس قزح، أحدهما يقع شرق هذه البلدية، ويسمى جسر قوس قزح الأول، والآخر يقع وسط البلدية، ويسمى جسر قوس قزح الثاني. فيما كانت منطقة غرب البلدية منطقة جبلية معروفة بطرقها الجبلية المتعرجة والوعرة، وتدفق مياه النهر التي تجري بها، وصعوبة تنفيذ المشروعات بها، هذا بالإضافة إلى تدني اقتصاد تلك القرى الجبلية، وندرة سكانها، كما كانت أمواج مياه النهر المتدفقة سبباً في إعاقة الحركة بين شمال وجنوب المنطقة الغربية بالبلدية، وكانت المسافة المباشرة بين ضفة النهر وعاصمة البلدية عشرين كيلومتراً، إلا أن قيادات عدد من القرى الجبلية كانوا يقطعون سبعين إلى ثمانين كيلومتراً عند السفر إلى المدينة للمشاركة في الاجتماعات، مروراً بجسر قوس قزح الثاني. وقبل خمس سنوات من الآن، قدمت الدولة ثلث المبلغ، وحكومة المقاطعة الثلث الثاني، فيما تشاركت حكومة المدينة والبلدية في الثلث المتبقي من المبلغ اللازم لإنشاء جسر قوس قزح الثالث في المنطقة الجبلية بغرب البلدية. وكانت هيئة الطرق بالبلدية هي المسؤولة عن تصميم وتنفيذ الجسر الجديد، واستعانت الهيئة بمعهد التعمير والتخطيط بنفس المقاطعة لتخطيط المشروع، وطرحت تنفيذه في مناقصة، فازت فيها إحدى المؤسسات الإنشائية المعروفة بالمقاطعة، وشارك يانغ كاي توه في جميع المراحل، بل وكان بمثابة المنفذ للمشروع. وفي اليوم الذي

شهد فتح الجسر الجديد أمام السيارات، انتشرت الأعلام الحمراء بطول الجسر، مع الأصوات الصاخبة وإطلاق المفرقات احتفالاً بالجسر الجديد، وذلك بمشاركة رئيس المدينة الذي قص بنفسه شريط الافتتاح، كما عمت البهجة جموع الأهالي الذين شاركوا في الحفل، ونشرت صحيفة المقاطعة تغطية لافتتاح الجسر. وقبل إنشاء جسر قوس قزح الثالث، كانت حركة الأهالي على ضفتي النهر بطيئة للغاية، بينما بدأ التزاوج بين الجانبين على مدار السنوات الخمس الأخيرة منذ إنشاء الجسر. وقبل إنشاء جسر قوس قزح الثالث، كانت القرى الواقعة غرب البلدية ترزخ تحت وطأة الفقر، في حين شهد الجسر بعد إنشائه حركة نقل كبيرة لمحاصيل التفاح، الكمثرى، العناب وغيرها من المحاصيل الزراعية الجبلية، صاحبها ظهور الثراء على الأهالي. وكان يانغ كاي توه قد خرج أمس في زيارة تفقدية للطرق بالقرى الواقعة غرب البلدية، ومر بالجسر الثالث، وكان الجسر حينها شامخاً في موقعه فوق نهر قوس قزح، فكيف ينهار اليوم؟ ومن الذي فجره؟ هل تكون قوات الجيش الأمريكي، أم إحدى المنظمات الإرهابية؟ وكان السيد دو رئيس البلدية أخبره بانهيار الجسر، وموت ما يزيد على عشرين شخصاً، ولكن ماذا كان يفعل هؤلاء فوق الجسر؟ لم يكن يجرؤ على أن يسأل السيد دو عن مزيد من التفاصيل في الهاتف، كل ما يتذكره أن كأسه سقطت في التو فأفاق من سكره، وغادر منزل أخته في عجالة، ثم أمر السائق أن يتوجه مباشرة إلى جسر قوس قزح الثالث.

وبمجرد وصوله الجسر، ذهل يانغ كاي توه من هول الصدمة. فلم يعد الجسر هو نفس الجسر الذي مر من فوقه أمس، فقد تحول الجسر الذي كان شامخاً بالأمس القريب إلى كومة أطلال. وقد أصاب الانفجار وسط الجسر، ورأى عدداً من السيارات والشاحنات التي تحولت إلى

كتل حديدية ملقاة في مياه النهر تحت الجسر، وسيارة يبدو أنها اشتعلت بها النيران، ولا يزال يتصاعد منها الدخان، وكذلك الأطلال المكومة بالأعلى، والتي كانت تتساقط من بينها كتل خرسانية في مياه النهر. فأعاده المشهد المريع إلى سنوات الحرب. بينما تتعالى أصوات صفارات سيارات الشرطة والإسعاف على طول الطريق السريع، وأبطال الجيش يتنافسون على ضفتي النهر ووسط الماء في إنقاذ الناجين من ركاب الشاحنات والسيارات، والجماهير الغفيرة تصطف على ضفتي النهر للفرجة. وعند رأس الجسر، يقف السيد دو رئيس البلدية يصدر توجيهاته. فأسرع يانغ كاي توه الخطى إلى حيث يقف السيد دو، وما إن رآه رئيس البلدية أمامه، حتى استقبله بسيل من السباب وهو في أوج غضبه:

- إذا كنا في زمن الحرب، لثم تفسير ما قمت به كمن يفر من الحرب، وحينها كنت سأرميك بالرصاص يا ابن العاهرة. لتشم بنفسك رائحة الخمر التي تفوح منك.

وواصل السباب:

- والأفضل أن تنقلع من أمامي، وسأحاسبك على فعلتك لاحقاً.

فانسحب يانغ كاي توه من أمامه في التو، فيما سحب يد السيد يو مدير مكتب حكومة البلدية، وقال:

- ماذا حدث أيها المدير يو؟

ولما كان المدير يو إنساناً صادقاً، فقد أخبره خلصة بما حدث، فقال إن الجسر كان بحالته حتى ساعتين من الآن، قبل أن تمر من فوقه شاحنة تسير على ستة عشر عجلة قادمة من إحدى المقاطعات المجاورة، محملة

بكمية كبيرة من المفرقات، ومن كان يدري أنه بمجرد تقدم الشاحنة إلى منتصف الجسر، انفجرت حمولتها فجأة، واشتعل خزان الوقود الرئيس والاحتياطي، ثم انفجرت الشاحنة. ولك أن تتخيل انفجار حمولة مفرقات نارية وخزاني وقود، أليس أنها سيارة محملة بمتفجرات التي إن تي؟ وهكذا انفجر الجسر في الحال. وفي تلك اللحظة، كان هناك فوق الجسر أكثر من عشر سيارات تسير في الاتجاهين، أما السيارات التي كانت في أول الجسر، فما إن رأَت الانفجار حتى ضغط سائقوها المكابح بقوة، في الوقت الذي انفجرت فيه ست سيارات كانت في منتصف الجسر بالقرب من موقع انفجار الشاحنة، وكان من بين هذه السيارات الست، حافلة سياحية تتبع إحدى الشركات السياحية، كانت تقل ما يزيد على أربعين سائلاً. وبمجرد سقوط تلك السيارات تحت الجسر، مات اثنان وعشرون شخصاً في الحال، بينما أرسل البقية إلى المستشفيات، ولا أحد يعلم إذا ما كان عدد المصابين والوفيات سيزيد خلال الساعات القادمة. ما إن سمع يانغ كاي توه تفاصيل الحادث من المدير يو، حتى داهمه صدام مفاجئ، إلا أنه تمالك نفسه، وقال:

- هذا ما لم يكن يتوقعه أحد.

ثم واصل شاكيًا:

- ولكن الرئيس دو يصب غضبه كله عليّ أنا وحدي، وكأنني أنا الذي كنت أقود الشاحنة.

- لم تكن تقود الشحنة، لكنك المسؤول عن الجسر، فبقاؤك مرتبط بهذا الجسر، وكيف لا يغضب الرئيس دو وهاتفك كان مغلقاً عند وقوع الكارثة؟

فلم يجرؤ يانغ كاي توه أن يرد بكلمة واحدة. عندئذٍ اقترب منهما صوت صفارة إنذار، وإذا به صوت عدد من السيارات كانت تسير بسرعة شديدة إلى أن وقفت بجانب الجسر. وما إن فتح باب إحدى السيارات، حتى نزل منها رئيس هذه المدينة. فأسرع السيد دو رئيس البلدية لاستقبال رئيس المدينة. وما إن ألقى رئيس المدينة نظرة على المنقذين من الكارثة، حتى أصدر عددًا من التوجيهات، ثم صعد الجسر لمشاهدة الشقوق التي تمتد من بينها ألسنة اللهب. وقال متسائلاً:

- وهل كان انفجار الشاحنة كفيلاً بتفجير الجسر المكون من الخرسانة المسلحة؟ هل هناك مشكلة في الجودة المعمارية للجسر؟ وهل هناك شبهة فساد في هذا المشروع؟

ما إن سمع يانغ كاي توه ما قاله رئيس المدينة، حتى كاد رأسه أن ينفجر. فإذا لم يكن يقود تلك الشاحنة المتفجرة، فإن هيئة الطرق بالبلدية وهو شخصياً المسؤولون عن انهيار الجسر إذا كانت هناك مشكلة في جودته أو شبهة فساد في المشروع ككل. وراودته نفسه في أن يتقدم لتوضيح الأمر، ولكن رئيس المدينة لا يزال يتحدث ومن حوله رئيس البلدية وجمع من المسؤولين، فكيف له أن يتحدث في حضرة كل هؤلاء؟ وواصل رئيس المدينة تساؤلاته:

- ومن الذي أشرف على إنشاء هذا الجسر؟

فالتفت رئيس البلدية إلى من حوله يبحث عن الشخص المقصود، فما إن عثر على يانغ كاي توه، حتى أشار إليه قائلاً:

- هذا هو.

فوجه رئيس المدينة سؤاله ليانغ كاي توه:

- هل كنت المسؤول عن هذا الجسر عند إنشائه؟

فلم يعرف يانغ كاي توه بماذا يرد على رئيس المدينة، وقد أصابه الموقف بالذهول، فاكتفى بأن هز رأسه وابتسم ابتسامة بلهاء. فبدأ أن رئيس المدينة لم تعجبه هذه الابتسامة، فقال لرئيس البلدية وهو يقطب ما بين حاجبيه:

- أريد تشكيل لجنة في الحال للتحقيق في الحادث، على أن تقف على أسباب الحادث وجودة المواد المستخدمة في إنشاء الجسر.

فهز رئيس البلدية رأسه بالتأكيد. ثم واصل رئيس المدينة توجيهاته:

- هذا حادث كبير زاد عدد الوفيات فيه عن عشرين شخصًا، وسوف نرفع تقريرًا بذلك لحكومة المقاطعة والحكومة المركزية.

وواصل توجيهاته:

- غير مسموح بإخفاء أي معلومات. فعند وقوع حادث تدافع بإحدى المدارس بمدينة xx العام الماضي، تعمد المسؤولون إخفاء الرقم الحقيقي لأعداد الضحايا، مما تسبب في الإطاحة بعدد من القيادات هناك، فيجب أن تتعظوا بهم.

- نعم. يقول رئيس البلدية.

وفي تلك اللحظة، وصلت فرقة من قوات الإنقاذ النهري. فتوجه رئيس المدينة لقائد قوات الإنقاذ لمصافحته مقدمًا الشكر لفريق الإنقاذ. وبدأ الفريق في مباشرة أعمال الإنقاذ، واستقل رئيس المدينة سيارته وتبعه الموكب متوجهين إلى مشفى البلدية لزيارة مصابي الحادث. كما رافقهم إلى المشفى السيد دو رئيس البلدية. عندئذ استعاد يانغ كاي

توه وعيه وأفاق من سكره، وبدأ في اتخاذ بعض الإجراءات العاجلة، فبدأ بالاتصال بهيئة الطرق، وطلب من جميع موظفيها التوقف فوراً عن أي عمل يباشرونه، والتوجه فوراً إلى الجسر للمشاركة في عمليات الإنقاذ. كما طلب من نائب مدير المكتب للشؤون المالية سرعة تدبير ثلاثمائة ألف يوان، وشراء كمية من الهدايا والورود على أن يقابله بها في مشفى البلدية. كما طلب من مدير مكتبه صياغة كلمة اعتذار باسم هيئة الطرق بالبلدية، لتقديم الاعتذار لشعب البلدية على وقوع هذه الكارثة. وبمجرد الانتهاء من هذه الترتيبات، استقل يانغ كاي توه سيارته وانطلق بسرعة البرق إلى مشفى البلدية. ليجد نائب المدير للشؤون المالية في انتظاره هناك، حاملاً حقيبة نقود ومعه سيارة محملة بالهدايا والورود. كما أخبره النائب للشؤون المالية أن رئيس المدينة ورئيس البلدية قد خرجا للتو بعد زيارة مصابي الحادث. فهز يانغ كاي توه رأسه، ثم توجه من فوره إلى مكتب مدير المشفى، ووضع أمامه حقيبة النقود قائلاً:

- أيها المدير سون، إنقاذ أرواح المصابين الأهم على الإطلاق، ولا تحمل همًا للمال، وسنضع لدى المشفى أي مبالغ مطلوبة.

وواصل:

- لكن بشرط ألا يرتفع عدد الوفيات.

- لقد أصدر كلُّ من رئيس المدينة ورئيس البلدية توجيهاتهما، وسنبذل ما بوسعنا. ولكن هناك عشرة أشخاص من أصل خمسة وثلاثين مصابًا حالتهم خطيرة للغاية، وهم الآن يخضعون للعلاج بوحدة العناية المركزة، ومن الصعب الحكم على حالتهم. يقول مدير المشفى.

فقبض يانغ كاي توه على يد مدير المشفى وأخذ يهزها بقوة قائلاً:

- أخي العزيز، أرجو المساعدة فالحادث جاء في توقيت حرج للغاية.

ثم ذهب برفقة نائب مدير هيئة الطرق البلدية لزيارة المصابين. وبدأ يانغ بزيارة المصابين من أصحاب الإصابات الخفيفة الذين كانوا يرقدون بالعنابر العادية، حيث صافحهم وقدم لهم باقات الورود والهدايا، ثم توجه إلى وحدة العناية المركزية للاطمئنان على أصحاب الحالات الحرجة، ولما كان المشفى يمنع دخول الوحدة لغير أعضاء الطاقم الطبي، فقد اكتفى يانغ كاي توه بإلقاء نظرة على المصابين العشرة الذين يرقدون بالداخل من خلال الجدار الزجاجي. وما إن انتهيا من زيارة المصابين في المشفى حتى حل الظلام. وقد بدأ يانغ كاي توه يشعر بأن عقله أصبح فارغ تمامًا، ولا يدري ماذا سيفعل في الخطوة التالية. عندئذٍ خاطبه نائب المدير ناصحًا:

- سيادة المدير يانغ، لقد أهلكك نفسك طول اليوم، ويجب أن تعود الآن إلى المنزل لتأخذ قسطًا من الراحة.

وواصل:

- ولا فائدة من كل هذا القلق، طالما أن الأمور وصلت إلى هذا الحد.

فأحس يانغ كاي توه أن نائبه جانبه الصواب في ما قال، فتحرك صوب مدخل المشفى. ولكن ما إن وصل الدرج، حتى وقعت عيناه على أحد الممرضين يخرج مسرعًا من وحدة العناية المركزة وهو يصيح بصوت عالٍ:

- أسرع أيها الطبيب لي، لقد توقف نبض أحدهم.

فألقي يانغ كاي توه بنفسه على أحد المقاعد بالمشفى، وكاد نبضه

أن يتوقف هو الآخر. ثم رأى عددًا من الأطباء والممرضين يهرولون إلى وحدة الرعاية المركزية، فنهض من فورهِ واندفع تجاه وحدة العناية ينتظر الأخبار. وبعد عشر دقائق، خرج أحدهم يدفع مريضًا على عربة نقل المرضى وجسمه ملفوف كالملا بالضمادات. وهكذا زاد عدد الوفيات حالة جديدة. فألقى يانغ بنفسه ثانية على أحد المقاعد، ثم لم يجرؤ على مغادرة المشفى. وبعد ساعتين، خرجت حالة جديدة. فراح يانغ كاي توه يمشي جيئةً وذهابًا خارج عنبر المرضى، وقد بلغ به القلق مبلغًا لم يبلغه عند وفاة والديه. وأتى له نائب المدير بعلبة طعام، فلم يأكل منها ملعقة واحدة. وحين انتصف الليل، ساد الهدوء عنبر المرضى، فنام يانغ كاي توه على المقعد. ورن جرس هاتفه فجأة، فانتفض مذعورًا ينظر في شاشة الهاتف، وقد ساوره قلق شديد أن يكون المتصل رئيس البلدية، ولكن ما إن رأى اسم زوجته على الشاشة حتى اطمأن كثيرًا. ونظر من النافذة فإذا به قد طلع الصباح، وارتفعت الشمس، فأدرك أنه نام على مقعد ممر عنبر المرضى من أربع إلى خمس ساعات متواصلة، فأخذ تنهيدة وراح يفكر في نفسه ترى هل خرج أحدهم بأي من المرضى من وحدة الرعاية المركزية خلال نومه. وظن يانغ كاي توه أن سبب اتصال زوجته لأنها قلقته عليه لعدم عودته إلى البيت ليلة أمس، لكن لم يتوقع أنه بمجرد أن استقبل اتصالها، حتى جاءه صوتها غاضبًا تسبه قائلة:

- يانغ كاي توه، يا لك من ابن عاهرة!

فأغضبه انفعالها ليرد عليها بلهجة غاضبة:

- ماذا بك يا ابنة العاهرة، قولي ما لديك، ولماذا السباب؟

- لن أكتفي بالسباب، وإنما أرغب في تأديبك. دعني أسألك ما الذي

كان يضحك؟

فقال يانغ كاي توه وهو لا يعلم سبب غضبها:

- لم أضحك. أنا الآن في غاية القلق بالمشفى، فما الذي يضحكني إذاً.

- لا أقصد أنك تضحك بالمشفى، ما الذي كان يضحكك أمس في موقع

الحادث؟ قالت الزوجة.

فقال يانغ كاي توه باستغراب شديد:

- موقع الحادث؟ لم أكن أجرو حتى على البكاء في موقع الحادث

أمس، فكيف لي أن أضحك؟

- كفك مكابرة، لقد انتشرت صورتك على الإنترنت، وسأرسلها لك

الآن لترى بنفسك.

ثم أغلقت في وجهه الخط. وما هي إلا ثوانٍ معدودة، حتى ظهرت على

شاشة هاتفه رسالة ويشات من رقمها. ففتح يانغ كاي توه الرسالة،

فإنها بها صورة لموقع الحادث أمس يظهر فيها: كومة من أطلال الجسر

الثالث، ست سيارات مشوهة في النهر، من بينها شاحنة كبيرة لا يزال

يتصاعد منها الدخان، فيما يقف يانغ كاي توه أمام الأطلال فوق الجسر

ويكتسي وجهه بابتسامة عريضة. فيما كتب تحت الصورة عنوان رئيس:

لماذا كل هذه السعادة وأشقائك يموتون أمامك؟

وعنوان ثانوي:

مدير هيئة الطرق ببلدية ×× بمدينة ×× في موقع الحادث.

فأحس يانغ كاي توه أن رأسه على وشك الانفجار. وراح يسأل نفسه هل

كان حقاً يضحك في موقع الحادث أمس؟ لقد كان في غاية القلق، فكيف

له أن يضحك؟ وهل هذه حقاً صورته؟ أم أن أحدهم سولت له نفسه فقام بتركيب صورة قديمة له وهو يضحك من خلال الفوتوشوب على أنها من موقع الحادث ووضعتها على الإنترنت؟ فالجميع مشغولون منذ أمس بإنقاذ المصابين، وقد قضى هو نفسه ليلته في المشفى، فكيف قام أحدهم بهذه السخافات؟ إلا أنه أكتشف أن هذه الصورة صحيحة تماماً وخالية من شبهة التركيب. عندئذ تذكر فجأة أنه عندما كان في موقع الحادث أمس، وبعد أن أصابه الدهول بمجرد الوصول إلى الموقع، وتعرضه للسباب من رئيس البلدية، وإحساسه بأن عقله أصبح فارغاً تماماً، قبل أن يصل رئيس المدينة ويعلن تشككه في جودة الجسر وسؤاله عن المسؤول عن المشروع، ليشير إليه رئيس البلدية قائلاً: هذا هو! فأصيب يانغ كاي توه بالدهول الشديد، فسأله رئيس المدينة مباشرة: "هل أنت المسؤول؟" وفي اللحظة التي لم يجد فيها ما يرد به على رئيس المدينة، نددت عنه تلك الابتسامة البلهاء. وقد أحس بعدها بسخافة ما صدر منه، وندم أشد الندم. ثم أسرع بعدها إلى المشفى، حتى أنساه تزايد أعداد الوفيات أمر تلك الابتسامة. ولم يتوقع أن يكون قد قام أحدهم بتصويره وهو يبتسم، ووضع الصورة على الإنترنت. بل إن مغزى الابتسامة قد تغير تماماً بعد وضعها على الإنترنت من خلال ما عرفه من التعليق عليها. فالابتسامة البلهاء تحولت إلى سعادة، وتحول صاحبها من شخص مذهول تملكه القلق إلى آخر يستمتع بالمناظر المحيطة به. فمن ابن العاهرة الذي فعل ذلك؟ لقد استغل انشغال الجميع وفعلها خلسة، أليس كذلك؟ بل إنه عمل مشين لا يقل عن تركيب الصور باستخدام "الفوتوشوب"؟ وإن ما قام به نوع من خلط الأمور وتزييف الحقائق. عندئذ لم يتمالك يانغ كاي توه نفسه وبدأ صوته يدوي في الممر وهو يسب:

- ابن العاهرة!

وقد أربع صوته إحدى الممرضات التي خرجت للتو من وحدة العناية المركزية، حتى كادت أن تسقط من يدها طاولة الأدوات الطبية على الأرض، بل وأربع نائب مدير هيئة الطريق الذي لم يفارق يانغ كاي توه خلال تواجده بالمشفى. فأخذ نائب مدير الهيئة بالهاتف من يد يانغ كاي توه، وما إن رأى الصورة حتى تسمر مكانه، ثم أخرج هاتفه الشخصي وفتح صفحة الإنترنت فزاد ذهوله، وقد عرف أن الصورة قد تصدرت المواقع الإلكترونية على مستوى البلاد. ليصبح يانغ كاي توه بسبب هذه الابتسامة البلهاء مشهوراً في غمضة عين. بل ونعته مستخدمو الإنترنت بـ: ملك الابتسامة. وتجاوز عدد التعليقات أسفل الصورة مليون تعليق، جميعها سيل من الشتائم موجّهة له، تقول بأنه حيوان، عديم الضمير والشعور، لم يراعِ حرمة موت ما يزيد على عشرين شخصاً، ومنهم من راح يوجه له السؤال: هل كنت ستكون على هذه الحالة من السعادة إذا كان والداك أو زوجتك أو ابنك أو ابنتك بين الضحايا؟ وبما أن يانغ كاي توه يشغل منصب مدير إحدى الهيئات الحكومية، فلم يسلم المجتمع والحكومة من اتهامات البعض، بينما تصدرت عبارة: ابن العاهرة! تعليقات مستخدمي الإنترنت.

وما إن استدار نائب مدير الهيئة ونظر إلى يانغ كاي توه، حتى وجده يبتسم ابتسامة بلهاء وهو يجلس فوق مقعد بأحد الممرات بالمشفى.

وأدرك يانغ كاي توه صدق المثل القائل: تأتي المصائب حين تأتي جملة، وترى السرور يجيء في الفلوات. إذ كان يعلم أن حياة الإنسان لا يمكن أن تسير دائماً وفق ما يتمنى، وأن مشوار حياة أحدهم لن يخلو من التعرجات، لكنه لم يكن يتوقع أن تعترضه فجأة كل هذه التعرجات. فهو كمدير إحدى الهيئات بهذه البلدية، منصب صغير في حجم حبة السمسم، هذا المنصب الذي كان في عصر أسرة تشينغ من الدرجة الأخيرة في سلم المناصب، بل إنه الآن لا يرقى إلى التصنيف، لم يكن يتوقع بحال من الأحوال، أن تقوده ابتسامته البلهاء لأن يصبح ناراً على علم على مستوى الصين قاطبة. فشهرة يانغ كاي توه حالياً تفوق شهرة أمين الحزب بالمقاطعة، بل إن أمين الحزب لن يعرفه أحد خارج حدود مقاطعته، على العكس من يانغ ”ملك الابتسامة“ الذي أصبح الآن معروفاً لجميع أبناء الشعب الصيني، ذاك الذي حول ”الكارثة“ إلى ابتسامة، وحول المأساة إلى ملهاة. وفي المعتاد، نجد أن هذا الخلط في تحويل الابتسامة البلهاء إلى ”ابتسامة“ ومنح يانغ كاي توه لقب ”ملك الابتسامة“، كان كفيلاً بأن يقضي على يانغ كاي توه، ولكن من كان يتخيل أن هذا كله كان بداية نهايته، فقد انطلق البعض من ابتسامته البلهاء، للتركيز على ساعة يده، وقالوا إنها من ماركة الساعات السويسرية الشهيرة، وإن ثمنها مئة وخمسون ألف يوان. ثم واصل البعض البحث على الشبكة عن صور لمشاركاته في مختلف الأنشطة الرسمية على مستوى البلدية خلال السنوات الأخيرة، بهدف التركيز على الساعات التي كان يرتديها في تلك المناسبات، فلما لم يعثروا على بغيتهم، واصلوا البحث لسنوات أطول عن صورته في اجتماعات البلدية، فعثروا على ست ساعات من فئة الماركات الشهيرة، من بينها ساعة

يصل ثمنها إلى ما يزيد على مئتي ألف يوان، وأخرى يزيد ثمنها على ثلاثمئة ألف يوان، وثالثة يزيد ثمنها على خمسمئة ألف يوان، ورابعة من فئة الماركات العالمية النادرة، والتي يزيد ثمنها على مليون ومئتي ألف يوان، في حين يصل إجمالي ثمن الساعات السبع إلى مليوني وخمسمئة ألف يوان. ثم واصل هؤلاء البحث عن راتب يانغ كاي توه، ووجدوا أن قيادياً مثله يبلغ راتبه الشهري ثلاثة آلاف ومئة يوان، بإجمالي دخل سنوي أقل من أربعين ألف يوان، فإذا اعتمد على هذا الدخل الشرعي لشراء هذه الساعات السبع، فإن ذلك يتطلب أكثر من ستين عاماً من العمل المتواصل دون أن ينفق يواناً واحداً على طعامه وشرابه. ثم واصلوا البحث عن سنه، وعرفوا أنه أتم الخامسة والأربعين، وبالتالي فإنه إذا كان يعمل منذ نزوله من بطن أمه، فإنه لا يمكن أن يحصل على المبلغ الكافي لشراء هذه الساعات السبع، وأن ذلك كان يتطلب منه أن يعمل سبعة إلى ثمانية عشر عاماً في بطن أمه. فأطلقوا عليه لقباً جديداً "ملك الساعات". وقد ربط مستخدمو الإنترنت بين ساعة يد يانغ كاي توه وبين انهيار الجسر الثالث، وإن لم يكن هناك في الأساس أي علاقة بين ساعته وحادث الجسر. وما زاد شعوره بالظلم، أنه لم يكن يرتدي ساعات خلال السنوات الأخيرة منذ دعوة الحكومة المركزية لسياسة التقشف ومحاربة الفساد، ولكنه في صباح ذلك اليوم، ارتدى إحدى ساعاته وخرج لحضور حفل زفاف ابن أخته، رغبة منه في الظهور بمظهر مناسب أمام أهل العروس، بالإضافة إلى كون المناسبة مناسبة خاصة ليس لها علاقة باجتماعاته الرسمية، فوقع الحادث، مما اضطره لمغادرة الحفل والتوجه مباشرة إلى موقع الحادث، ونسي أمر الساعة بيده، ولكنه لم يكن يتوقع أن الشيء الذي نسيه هو ذاته الذي ركز عليه مستخدمو الإنترنت. فراح يانغ كاي توه يسب ويلعن:

- اللعنة على الإنترنت!

وهكذا تحول يانغ كاي توه تحت ضغط الرأي العام إلى ”ملك
الابتسامة“ و”ملك الساعات“، وتوجهت أنظار الشعب الصيني كله إلى
بلدية ×× بمدينة ××، قبل أن تعلن مدينة ×× في وسائل الإعلام القرارين
التاليين: أولاً: تشكيل لجنة مشتركة بين حكومتي المدينة والبلدية
للقوف على سبب انهيار جسر قوس قزح الثالث، على أن يتم تقديم
تفسيرات واضحة للجمهور في أقرب وقت ممكن. ثانياً: تقديم مدير
هيئة الطرق ببلدية ×× للجنة الانضباط من اليوم التالي لتشكيل اللجنة،
على أن يتم تقديم الأدلة الواضحة حول الساعات التي يمتلكها المدعو
في أقرب وقت ممكن.

-4-

في اليوم الذي مثل فيه يانغ كاي توه أمام لجنة الانضباط، لم يكن يعلم مسبقاً بهذا الأمر. وكان قد خرج إلى الجسر المنكوب على رأس وفد من منسوبي الهيئة للمشاركة في أعمال إعادة التهيئة. وقرر في نفسه عدم الاهتمام بالشائعات المنتشرة على صفحات الإنترنت، وبلقبي "ملك الابتسامة" و"ملك الساعات" اللذين أصبحا حديث الساعة لجميع أبناء الشعب الصيني. فالوائق من براءته لا يحتاج لشهادة براءة، والعاقل لا يسلم أذنه للشائعات، كما أنه لا يمكن أن يسلم نفسه لمستخدمي الإنترنت، وأنه لا ينتظر خيراً من هؤلاء السفلة، فقرر أنه لن يعيرهم اهتماماً، حتى يملوا من أكاذيبهم وهرائهم، كما أن تجاهله للشائعات سيعجل باختفائها، في حين أن دفاعه عن نفسه لن يجدي شيئاً، بل سيزيد الطين بلة. وراح يتمنى من أعماق قلبه أن تضرب الصين سلسلة من الأخبار المحزنة كالزلازل وكوارث المناجم، ونشوب حرب صينية يابانية في جزيرة دياويو، أو حتى كارثة ألبان فاسدة أو انحراف قطار أو قضية دعارة، فتتسبب في إلهاء الشعب الصيني عن "ملك الابتسامة" و"ملك الساعات"، أملاً في أن يتمكن من التقاط أنفاسه. ولكن الصين تنعم هذه الفترة بحالة من الأمن والأمان، والجميع يسير على الطريق المستقيم. فراح يلعن في سره:

- تَبّاً للكوارث التي لا تأتي إذا تمنيناها، وتتوالى حينما نخشاها!

تَبّاً للكوارث.

ولما فشل في الاستعانة بمؤثرات خارجية للتغطية على تلك الشائعات، لم يجد يانغ كاي توه بداً من الانهماك في العمل لمواجهة ما ينشر ضده،

وليبدو متماسكاً أمام الرأي العام ومستخدمي الإنترنت. فعلى مدار اليومين الماضيين، كان يجري بين الجسر الثالث ومشفى البلدية، حتى إنه لم يعد إلى بيته بل ولم ينعم بالنوم. ولكنه وجد عزاءه في سيطرة المشفى على حالة أصحاب الإصابات الخطيرة، والتي توقف معها ارتفاع أعداد الوفيات، فكان عدم سقوط ضحايا جدد بالنسبة له أكبر دليل على السيطرة على الحادث، مما جعله يأخذ نفساً عميقاً. وفضلاً عن مرافقته لفريق الإنقاذ للقيام بأعمال التهيئة والصيانة في موقع الحادث، قام يانغ كاي توه بمشاركة المهندسين والفنيين بهيئة الطرق بدراسة ووضع خطة صيانة للجسر المنكوب. حيث قضى المهندسون يومين في موقع الحادث للوقوف على حالة الجسر، من خلال الطرق على الشقوق التي أصابت الهيكل. وطالبهم يانغ كاي توه بتسليم الخطة المقترحة في غضون خمسة أيام، ليرفع بها لحكومتى البلدية والمدينة، استعداداً لاعتمادها من قيادات البلدية والمدينة، قبل أن يبدأ فريق عمل الهيئة في تنفيذها، والعمل على استعادة حركة السير بالجسر في غضون شهر. وفي صباح ذلك اليوم، وبينما كان يانغ كاي توه منشغلاً ببعض الأعمال في موقع الحادث، رن جرس هاتفه، فنظر في شاشة الهاتف، فوجد اسم دو رئيس البلدية. فزادت سرعة نبضات قلبه فوق مئة نبضة في الدقيقة. فمذ حادث انهيار الجسر، واعتياد رئيس البلدية أن يبدأ في كل اتصال بسيل من الشتائم، أصبح يانغ كاي توه يخاف منه أكثر مما كان يخاف من والدته التي كانت لا تتوقف عن سبه وضربه في صغره. ولكنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يرفض اتصال رئيس البلدية. فأمسك بهاتفه وهياً نفسه لسماع سيل من الشتائم، ولكن من كان يدري أن يأتيه رد رئيس البلدية بكل لطف قائلاً:

- أين أنت الآن يا لاولو يانغ؟

- أهلاً سيادة الرئيس، أنا في موقع الحادث. يرد يانغ كاي توه.

- سمعت أنكم انتهيت من إعداد خطة الصيانة، فكيف لم تقدم لي لإلقاء نظرة؟ يسأل رئيس البلدية.

فتفاجأ يانغ كاي توه بكلامه هذا، حيث كان رئيس البلدية على علم بكل ما يقوم به يانغ ورفاقه، فقال في نفسه أليست هذه بداية طيبة لأن نكون على قلب رجل واحد للقيام بعمل بناء، بدلاً من التركيز في مثل تلك الشائعات. فرد يانغ كاي توه:

- نعمل على هذه الخطة على مدار اليومين الأخيرين في موقع الحادث، ولم نرفع بها لسيادتكم لأنها لم تكتمل بعد.

- قيادات المقاطعة والمدينة مهتمون جداً بمعرفة موعد استئناف حركة السير على الجسر، فما رأيك أن تأتي إلى مقر البلدية لنتناقش الأمر معاً. يقول رئيس البلدية.

- حسناً سيادة الرئيس، سأصل حالاً. يرد يانغ كاي توه.

وما إن أغلق يانغ الخط، حتى أخذ بالرسم التوضيحي لمشروع الصيانة، واستقل سيارته وفر مسرعاً إلى مقر حكومة البلدية. وبمجرد وصوله مكتب رئيس البلدية بمقر الحكومة بعاصمة البلدية، وجد بالمكتب شخصين غربيين بمكتب رئيس البلدية. فظن للوهلة الأولى أنهما قد يكونا خبيرين جاءا من المقاطعة أو المدينة لمتابعة أعمال استئناف حركة السير على الجسر المنكوب، فلم يهتم بوجودهما، وأسرع بفتح الرسم التوضيحي على طاولة رئيس البلدية، وما إن همّ بالشرح، حتى استوقفه رئيس البلدية قائلاً:

- لاو يانغ، لا داعي لهذا الآن.

ثم قال وهو يشير إلى الرجلين:

- الرفيقان من لجنة الانضباط بالمدينة يريدان أن يتحدثا إليك في أمرين.

ثم استدار رئيس البلدية مغادراً مكتبه. هذا بينما بقي يانغ كاي توه في مكانه مذهولاً، وقد علم أن رئيس البلدية اتبع معه حيلة استدراج النمر من الجبل إلى السهل، وخدعه برغبته في مناقشة خطة استئناف حركة السير على الجسر. ومتى كانت لجنة الانضباط تواعد أحداً للحديث في أمر يسر! فود يانغ كاي توه أن يقول شيئاً ما، ولكن لم يدر ماذا يقول الآن وقد خرج الشخص الوحيد الذي كان يعرفه من الغرفة، وتبقى معه هذان الغريبان من لجنة الانضباط. فقال متلعثماً:

- وما هما السؤالان اللذان ترغبان في توجيههما لي؟

وكان كلاهما ذا ملامح جامدة، لا تبدو على وجهيهما أي تعابير، فقال أحدهما:

- بل هو أمر واحد.

- وما هو؟ يقول يانغ كاي توه.

- أنك الآن تمثل للتحقيق أمام لجنة الانضباط المركزية. يرد الرجل.

فأحس يانغ كاي توه أن رأسه يكاد ينفجر. فتحقيقات لجنة الانضباط تكون على انفراد، ومثولك أمام هذه اللجنة للتحقيق يعني أنك وقعت في مخالفة ما، أو على الأقل أنك في حكم المشتبه به. أما عن نوع وحجم المخالفة، فهذا كله يظهر بعد التحقيقات. وها هما لم يسألاه شيئاً حتى الآن، وأخبراه بنتيجة لا مجال لتغييرها. فأدرك يانغ كاي توه أنه لا فائدة تُرجى من التوضيح أو المقاومة. فسأل متلعثماً:

- ومتى سيبدأ التحقيق؟

- ستخرج معنا الآن. رد الرجل.

- ولكنني جئت فجأة، فهل تسمحان لي بالعودة إلى المنزل لأحضر بعض الملابس وأدوات تنظيف الأسنان.

- لا داعي، فقد أعدت لك اللجينة كل شيء. هز الرجل رأسه بالنفي.

- هل تسمحان لي بالاتصال بزوجتي لأخبرها أنني سأخرج في مهمة عمل. قال يانغ كاي توه وقد أخرج الهاتف من جيبه.

فهز الرجل رأسه ثانية، وقال:

- لا داعي لذلك أيضاً، ستخبرها اللجينة.

ثم مد الرجل يده ليانغ كاي توه في إشارة إلى أن يسلمه هاتفه. فتردد يانغ كاي توه قليلاً قبل أن يسلمه الهاتف عن طيب خاطر، وقد أدرك أنه ليس أمامه خيار آخر.

وخرج يانغ كاي توه من مكتب رئيس البلدية بصحبة الرجلين، وما إن نزلا إلى أسفل المبنى حتى استقل سيارتهما، ورأى يانغ سائقه نائماً داخل السيارة من شدة التعب على مدار اليومين الماضيين، وهكذا لم يعلم السائق شيئاً عن خروج يانغ بصحبة الرجلين. غادرت السيارة مبنى حكومة البلدية، ثم خرجت من حدود عاصمة البلدية متوجهة إلى المنطقة الجبلية. ولم يجرؤ يانغ على أن يسألهما عن وجهتهم. فصعدت بهم السيارة الجبل، وما إن اجتازت السيارة ذلك الجزء من الجبل، حتى سارت في اتجاه أحد الأودية الجبلية. وكانت الفصول في المنطقة الجبلية متأخرة عن خارجها، وقد اكتسى الجبل بزهور المشمش المتلائة. وعبرت السيارة الوادي الجبلي، لتصل إلى بحيرة صافية كالمرآة، تتميز بمياهها الزرقاء الصافية والبراقة، وإلى أمام البحيرة كان هناك مبنى

صغير. وأخيراً توقفت السيارة أمام المبنى الصغير، فوقعت عينا يانغ كاي توه على لافتة عند مدخل المبنى كتب عليها ”مركز الإعداد والتدريب المالي بمدينة xx“، فعرف يانغ كاي توه أنهم وصلوا أخيراً إلى مكان التحقيق. حيث درج المحققون التابعون للجنة الانضباط على إجراءات التحقيق في الفنادق أو في بيوت الشباب النائبة. فجعل يانغ كاي توه ينظر حوله إلى المناظر الطبيعية الخلابة، فالمكان على أقل تقدير أفضل بكثير من السجون التي يُحتجز فيها المجرمون.

وما إن نزل ثلاثتهم من السيارة، حتى قام أحد الرجلين اللذين جاء برفقتهم بإجراء اتصال تليفوني، ليخرج إليهم بعد دقيقتين أحدهم من داخل المبنى، ثم تفحص ذلك الرجل يانغ كاي توه، قبل أن يشير إليه بأن يتبعه إلى الداخل، بينما غادر الرجلان اللذان جاء برفقتهم في نفس السيارة التي جاؤوا بها. فعرف يانغ أنها كانا مسؤولان عن توصيله إلى هنا، بينما سيتولى آخرون أمر التحقيق. ودخل يانغ كاي توه المبنى برفقة مستقبلة، ثم ركبا المصعد إلى الطابق الخامس. وفي الطابق الخامس، سارا مع الممر حتى آخره، ثم توقفا أمام إحدى الغرف، فطرق ذلك الرجل الباب، ثم دفع الباب وتحدث إلى أحدهم بالداخل قائلاً:

- وصل الشخص المطلوب.

وكان هناك بالداخل رجل في منتصف العمر نحيل يرتدي نظارة، يجلس إلى طاولة أمام جهاز حاسب، وما إن سمع الصوت، حتى التفت وألقى نظرة إلى يانغ كاي توه ثم أشار إليه بالدخول. دخل يانغ كاي توه الغرفة، وأخذ يدقق النظر في جميع أرجائها، فإذا بها غرفة فندقية تحولت إلى ما يشبه غرفة المكتب. عندئذ استدار الرجل الذي دخل برفقته مغادراً. ثم أشار الرجل في منتصف العمر إلى مقعد أمام الطاولة وقال بلطف:

- تفضل بالجلوس سيادة المدير يانغ.

وما إن سمع يانغ كاي توه الرجل يناديه بمنصبه، بل وزاد على ذلك بقوله ”تفضل بالجلوس“، حتى أحس بأن الأمر لم يتطور بعد إلى مرحلة العداء، فهدأت أعصابه قليلاً. وانتظره الرجل إلى أن جلس، ثم أشار إلى كاميرا فيديو مثبتة على الحائط قائلاً:

- هل تمانع في تسجيل الحوار الذي سيتم بيننا؟

وبالنظر إلى قيام أحدهم بالتقاط صورة له في موقع الحادث ونشرها على الإنترنت، الأمر الذي كان له تأثير سيئ عليه بعد أن أطلقوا عليه ”ملك الابتسامة“ و”ملك الساعات“، فقد كان يانغ كاي توه لديه موقف رافض للتصوير أو تسجيل الفيديو، ولكنه يعلم أنه الآن يخضع للتحقيق، وأن اللجنة هي التي ثبتت هذه الكاميرا على الحائط، فهل يملك الرفض أو الممانعة؟ وقال في نفسه: هل سيؤدي الرفض إلى عدم تسجيل الحوار؟ وهل ستؤدي الممانعة إلى إخلاء الغرفة من الكاميرا؟ فالنتيجة سيان، عندئذ لم يجد بداً إلا أن هز رأسه بأنه لا يمانع في التسجيل. فقال الرجل في منتصف العمر:

- هل تعرف لماذا أتينا بك إلى هنا؟

فكر يانغ كاي توه قليلاً قبل أن يرد:

- أعرف.

- لماذا إذاً؟ قال صاحب النظارة.

- لأنني ابتسمت قبل يومين في توقيت لا يجوز فيه أن أبتسم. يرد يانغ كاي توه.

- وماذا أيضاً؟ يقول صاحب النظارة.

ففكر يانغ كاي توه قليلاً، وأدرك أنه لا يمكن أن يتهرب من السؤال، فقال:

- وبسبب موضوع الساعات.

عندئذ أدار الرجل صاحب النظارة جهاز الحاسب أمامه بزاوية مئة وثمانين درجة، حتى جعل الشاشة في مواجهة يانغ كاي توه، ليجد يانغ أمامه الساعات السبع التي سبق أن ارتداها، أو بمعنى آخر تلك التي بحث عنها مستخدمو الإنترنت، وجدها أمامه على الشاشة مرتبة بشكل متناسق، حتى إنه أحس بقيمتها الثمينة. عندئذ قال صاحب النظارة:

- حدثني عن أصل هذه الساعات.

وكان يانغ كاي توه قد خطط في نفسه على مدار اليومين الأخيرين، للرد على السؤال الخاص بأصل الساعات السبع، فكان يقضي يومه خلال اليومين الماضيين بين الجسر والمشفى، ومرافقة منسوبي الهيئة لدراسة ووضع التصميم التوضيحي لمشروع استئناف حركة السير على الجسر، والتفكير في رد مقنع حول أصل هذه الساعات السبع، وذلك تحسباً للرد على سؤال اللجنة، وقد اهتدى إلى ست خطط، ولكنه لم يقرر بعد أيّاً منها أكثر إقناعاً للرد على أي استفسار بشأن أصل الساعات السبع، إلى أن خضع للتحقيق من قبل اللجنة، إلا أنه حاول في عجالة أن يستجمع أفكاره، ولكن الوقت لا ينتظر الإنسان، وها هو صاحب النظارة ينتظر رده. فوجد نفسه مضطراً إلى الرد بإحدى الخطط التي اهتدى إليها قبل يومين قائلاً:

- جميعها تخص أشخاصاً آخرين.

وراح يوضح ما قال في عجالة:

- كان جدي لأمي يعمل في تصليح الساعات، مما جعلني أعشق الساعات منذ صغري، وبالطبع لم يكن لدي القدرة على شراء هذه الساعات، وإنما كنت أستعيرها من بعض أصدقائي، على أن أعيد كل ساعة لصاحبها بعد استخدامها.

ثم قال وهو يشير إلى إحداها:

- مثل هذه الساعة التي ارتديتها قبل عدة أيام، كان ذلك في حفل زفاف ابن أختي، لكي أظهر بمظهر جيد أمام أهل العروس، فلم يكن العريس شخصًا غريبًا، وإنما كان ابن أختي الكبرى، التي أنقذتني وأنا رضيع...

ولكنه أحس فجأة أنه تجاوز حدود الموضوع الذي يتحدثان فيه، فتوقف من فوره. بينما لم يلمه صاحب النظارة على ذلك واكتفى بأن أعاده إلى صلب الموضوع قائلاً:

- وممن استعرتها؟

وكان التفكير في إجابة لهذا السؤال هو أكثر ما أزعج يانغ كاي توه خلال اليومين الماضيين، حيث كان بإمكانه الرد بأنه استعار الساعات من أشخاص آخرين، ولكن لم يهده تفكيره إلى تحديد هويتهم، حتى إنه فكر في نحو ثلاثين اسمًا من أصدقائه العاديين، إلا أنه استبعدهم جميعًا، وذلك إما لأنهم ليس بإمكانهم شراء مثل تلك الساعات من دخلهم الشرعي، أو أنهم بإمكانهم شراؤها ولكن ليسوا أشخاصًا موثوقًا بهم، ولا يدري إذا ما تعرض لشدة ما، هل سيجدهم إلى جواره أم سيتخلون عنه؟ ولما كان صاحب النظارة ينتظر رده، فقال يانغ كاي توه وهو يشير إلى نفس الساعة:

- أما هذه فاستعرتها من ابن خالتي.

- وماذا يعمل ابن خالتك هذا؟ سأله صاحب النظارة.

- يعمل في مجال المقاولات في إفريقيا، وقد ربح مبلغًا معقولًا، وكان قد عاد إلى أرض الوطن قبل عدة أيام للمشاركة في زفاف ابن أختي. يقول يانغ كاي توه.

- وأين هو الآن؟ يقول صاحب النظارة.

- لقد عاد إلى بتسوانا. يرد يانغ كاي توه.

وهكذا قدم ابن خالته الذي يعمل لحامًا ببتسوانا على أنه صاحب هذه الساعة، ولم يتعمق معه صاحب النظارة في هذا السؤال، وواصل السؤال عن أصل الساعات الست الأخرى:

- وماذا عن الساعات الست الأخرى؟

لم يفكر يانغ كاي توه في أشخاص مناسبين للساعات الست المتبقية. وبما أنه لم يهتدِ لأسماء محددة، فلا يمكن أن يرد بشكل عشوائي. فكان يعلم أنه لا يمكن التهاون في مثل هذا الموقف؛ لأن ذلك سيوقعه في سقطة، والسقطة تتولد عنها سقطات أخرى، إلى أن ينهار كل شيء فوق رأسه. فقال:

- موضوع الساعات الست الأخرى يعود إلى سنوات عديدة مضت، وكنت أعيدها لأصحابها فور ارتدائها، ولا أتذكر شيئًا عنها الآن.

فلم يجبره صاحب النظارة على تذكر أصحاب الساعات الست، وتابع مبتسمًا:

- إذا أمهلك بعض الوقت لتفكر أيها المدير يانغ.

واستدار صاحب النظارة ناحية جهاز الحاسب وأغلقه، ثم هب واقفًا،

وقال وهو يرتدي معطفه:

- نكتفي بهذا القدر اليوم.

فهب يانغ كاي تاي واقفاً في نفس اللحظة، وقال بلهجة حائرة:

- وأين سأذهب الآن؟

رفع صاحب النظارة سماعة الهاتف على الطاولة وطلب رقمًا ما، لحظات قليلة ودخل إليه شابان يرتديان نفس السترة، حليقي الرأس تبدو عليهما القوة، فأشار إليهما قائلاً:

- هذان هما شياوفانغ وشياويوان، سيكونان مسؤولين عنك هذه الفترة.

فقال شياوفانغ:

- والآن دعنا ننتقل إلى غرفة أخرى أيها المدير يانغ.

فنظر يانغ كاي توه إلى صاحب النظارة، ثم لم يجد بداً من الخروج مع شياوفانغ وشياويوان. عبروا الممر، ركبوا المصعد إلى الطابق الثاني، وساروا إلى نهاية الممر في الطابق الثاني، ثم دفع شياو فانغ باب إحدى الغرف مشيراً إلى يانغ كاي توه بالدخول. ودخل يانغ كاي توه الغرفة، فإذا بها غرفة فندقية بها سرير وطاولة ومقعد، ومجموعة من الملفات فوق الطاولة. وقال شياويوان وهو يشير إلى الملفات فوق الطاولة:

- والآن دعنا نبدأ من هذه الملفات أيها المدير يانغ.

وما إن جلس يانغ كاي توه فوق المقعد، حتى اكتشف أن هذه الملفات عبارة عن نسخة من ميثاق الحزب، نسخة من "لائحة عضوية الحزب

الشيوعي“، واستمارة عضوية الحزب التي ملأها بنفسه قبل عشرين عامًا. وكان يانغ قد اطلع على ميثاق الحزب ولائحة العضوية خلال دراسته الجامعية، إلا أنه شعر بدهشة كبيرة لأن يرى استمارة العضوية التي ملأها بخط يده قبل عشرين عامًا، فلم يتوقع أن يراها الآن وهو ماثل أمام لجنة الانضباط، بعد أن كان نسيها تمامًا على مدار العشرين عامًا الماضية. ثم شعر بالإعجاب بالجهود التي قامت بها اللجنة، ولكنه في الوقت نفسه كان لديه فضول كبير لأن يقلب في استمارة عضوية الحزب. ففي أقصى يمين الصفحة الأولى من الاستمارة، كانت هناك صورة شخصية له وهو يرتدي قميصًا أبيض، بينما تتجلى على وجهه ابتسامة ناظرًا إلى الأمام. فهكذا كان شابًا قبل عشرين عامًا، ثم أخذ يدقق النظر في ”استمارة العضوية“ التي ملأها بخط جميل وفي بدايتها القسم: ”العمل على تحقيق رفاهية الشعب، والنضال الدائم من أجل الشيوعية“. عندئذٍ أدرك يانغ كاي توه أن ترتيبات اللجنة لأن يرى هذه الكلمات الآن؛ لأنها تجعله يشعر بالندم والذنب على ما صدر منه، ولما كان لم ينعم بالنوم خلال اليومين الماضيين وهو يجري هنا وهناك بين موقع الحادث والمشفى، فداهمه النعاس فجأة، وكان بإمكانه الصبر قبل دخول هذه الغرفة، لكنه ما إن رأى السرير أمامه، حتى شعر بالدوار، وعندما وصل للصفحة الثالثة من استمارة العضوية بدأ يغلبه النوم بشدة، فأصبح لا يرى الكلام بوضوح. عندئذٍ لكزه شياويانغ بمرفقه قائلاً:

- أمرك غريب أيها المدير يانغ، غيرك ما إن تقع عينه على استمارة عضويته، حتى تذرف عيناه بالدموع، فكيف أراك تستقبلها بهذه الرغبة في النوم؟

فأفاق يانغ كاي تو، وقال بلهجة خجولة:

- لأنني لم أنم طيلة ليلتين كاملتين.

- أيها المدير يانغ لم ندعك إلى هنا من أجل الراحة والاسترخاء، وإنما للإجابة عن أسئلتنا، وتوضيح ما يتعلق بأصل الساعات السبع. يقول شياو يوان.

- هل يمكن أن تسمحوا لي بأخذ قسط من النوم، وسأتحدث عن كل شيء بمجرد أن أفيق. يقول.

- تحدث أولاً ثم نم. يقول شياويوان.

- أشعر بأن عقلي قد تجمد، فكيف أتذكر أحداثاً مر عليها سنوات طويلة؟ يقول يانغ كاي توه.

فنظر شياويوان إلى صاحبه، ثم قال شياوفانغ:

- وماذا لو لم تصدق معنا؟

- إذا لم أصدق معكما، فبإمكانكما معاقبتي بالوقوف أمام الجدار، وحرمانني من النوم إلى الأبد. يرد يانغ كاي توه.

- حسناً، سنسمح للمدير يانغ بأن يأخذ قسطاً من النوم، وكلنا ثقة في وعيكم.

فقام يانغ كاي توه من أمام الطاولة، ثم ألقى برأسه فوق السرير. عندئذ غادر شياوفانغ الغرفة حاملاً معه الملفات التي كانت فوق الطاولة، بينما سحب شياويوان المقعد وجلس في مواجهة السرير. ففهم يانغ كاي توه أنه يجلس هكذا لمراقبته خشية أن ينتحر، فقال:

- بإمكانك أن تأخذ قسطاً من الراحة يا شياو يوان، فلن يأخذني تفكيري إلى بعيد.

- هذه أوامر. يقول شياويوان.

- إذا سأعتبك معي. يقول يانغ كاي توه.

ثم أدار رأسه وغط في النوم، حتى أفاق فجأة ولم يدرِ المدة التي نامها،
ووجد أنوار الغرفة مضاءة، وقد حل شياوفانغ محل صاحبه شياويوان.
فهب يانغ كاي توه جالسًا، وقال شياوفانغ:

- هل أفقت أيها المدير يانغ؟

فهز يانغ رأسه بالإيجاب وهو شبه نائم.

- إذا لتبدأ الآن في سرد أصل الساعات السبع. قال شياوفانغ.

فأفاق يانغ كاي توه في الحال، ولكنه شعر بالحرَج الشديد لأن تفكيره
لم يهده بعد إلى أسماء محددة يمكن أن ينسب إليها تلك الساعات، ثم
أخفض رأسه دون أن ينطق بكلمة واحدة. واستمر على هذا الوضع
خمس دقائق، فقال شياوفانغ:

- يبدو أن المدير يانغ غير صادق في وعده.

وتابع:

- إذا علينا تنفيذ ما قاله المدير يانغ، بأن نحرمه من النوم، ونتركه
يفيق وهو واقف أمام الجدار.

ثم أشار إلى الجدار في مواجهة السرير، فنهض يانغ كاي توه من
السرير، ووقف هنالك ملتصقًا بالجدار. وشعر لوهلة أن الجدار من
خلفه يبدو رخوًا بعض الشيء، فجعل يتحسس به بيده خلسة، فإذا به
عبارة عن جدار رخو، ربما يكون ذلك حتى لا يقوم أحد ممن يخضعون
للتحقيق بالانتحار من خلال الاصطدام بالجدار، فكر. ووقف يانغ كاي

توه هناك لمدة ساعتين، قبل أن يدخل شياويوان ويخرج شياوفانغ، فجلس شياويوان على المقعد لمراقبته. ثم مرت ساعتان، حتى بدأ يشعر بالتعب من الوقوف، عندئذ استغل انشغال شياويوان بالنظر إلى هاتفه، فجلس خلسة أملًا في أن يأخذ قسطًا ضئيلًا من الراحة. لكن ما إن قرفص حتى رفع شياويوان رأسه قائلاً:

- أيها المدير يانغ، هل تذكر أمر الساعات السبع؟

فهب يانغ كاي توه واقفًا في عجالة، وتراجع ملتصقًا بالجدار. ثم لا يدري بعدها كم مر من الوقت، حتى رأى الضوء من خلال النافذة، فداهمه الجوع فجأة. عندئذ تذكر أنه نسي أن يأكل ليوم كامل منذ أن غادر موقع الحادث عند الجسر الثالث حتى اللحظة، أو أن شياوفانغ وشياويوان هما اللذان نسيا أن يقدما له الطعام. فمجرد التفكير في الطعام هو الذي زاد شعوره بالجوع فجأة، ثم أصابه الهزال من شدة الجوع. فلم يجد بداً إلا أن توسل إلى شياويوان قائلاً:

- شياويوان، هل يمكن أن تسمح لي بتناول شيء من الطعام؟ فأنا لم أكل منذ أمس.

- سأسمح لك بتناول الطعام إذا تذكرت أمر الساعات السبع. يقول شياويوان.

فظل في مكانه ملتصقًا بالجدار ومعدته تشكو الجوع. وكان يانغ كاي توه قد عانى الجوع في صغره، ثم نسي هذا الشعور لمدة أربعين عامًا، وها هو يذوقه اليوم من جديد، فبدأت معدته تؤلمه من شدة الجوع، ثم أخذ تنهيدة طويلة وليس أمامه إلا أن يتحمل. ومن السهل أن يقوده الجوع إلى الإفصاح عن أي شيء يخفيه للتخلص من هذا الشعور، فضرب شياويوان على الطاولة، فانتفض يانغ مذعورًا. ولم

يدرِ كم مر من الوقت وهو ثابت في مكانه أمام الجدار، حتى اشتد به الجوع ولم تعد تحمله قدماه، عندئذُ فُتِح الباب، ودخل شياوفانغ. فقال يانغ كاي توه:

- هل يمكن أن تسمح لي بتناول شيء من الطعام، وأعدكما أنني سأفصح عن كل شيء.

- مستحيل، فقد خدعتنا بعدما أخذت قسطاً من النوم أمس. قال شياويوان وهو يضرب على الطاولة.

- ولكني لن أهدعكما ثانية. يقول يانغ كاي توه.

- لك ذلك بعد الإجابة عن سؤالنا، ودع عنك هذه الأوهام. يقول شياويوان.

- أكاد أسقط مغشياً عليّ من شدة الجوع، فكيف يمكنني تذكر أي شيء؟ يقول.

عندئذٍ تدخل شياوفانغ معترضاً على كلام صاحبه قائلاً:

- طالما أن الإنسان مسموح له بارتكاب الأخطاء، فيجب أن نسمح له بتصويبها، فعلينا أن نمنح المدير يانغ فرصة ثانية.

فخرج شياويوان من الغرفة، ثم عاد بعد عشر دقائق حاملاً سلطانية كبيرة من الأرز وطبقاً من اللحم المطبوخ يتصاعد منه البخار، وقال:

- ولكن يجب أن تصدق معنا هذه المرة أيها المدير يانغ.

وما إن رأى الطعام أمامه، حتى شعر بأن الحياة قد عادت إلى معدته وجسده كاملاً، فhez رأسه بالموافقة، ثم أخذ سلطانية الأرز وطبق اللحم وأنهى عليهما في دقيقتين. فجمع شياويوان السلطانية والطبق الفارغ،

بينما قال شياوفانغ:

- هيا أيها المدير يانغ حدثنا عن الساعات السبع.

فأخفض يانغ كاي توه رأسه من جديد دون أن ينطق بكلمة. ولم يكن صمته هذه المرة لأنه لا يرغب في الحديث عن الساعات، وإنما لأنه لم يهتدِ إلى الأشخاص الذين يمكنه أن يسندها إليهم. فندت عن شياوفانغ وشياويوان تنهيدة غيظ. بينما أسرع يانغ بالعودة إلى مكانه أمام السور. وبعد ساعة من الزمن، أحس يانغ بأن طبق اللحم الذي تناوله كان مالحًا، فبدأ يشعر بالعطش، ولم يدرِ إذا ما كان الطاهي تعمد إعداده مالحًا. ولكنه لم يجروء على طلب الماء من شياوفانغ وشياويوان، خاصة بعدما لم يصدق معهما بعد النوم وتناول الطعام. عندئذ خرج شياوفانغ، وبقي شياويوان لحراسته، ثم أمسك بقارورة الماء وأخذ يشرب وهو ينظر إلى هاتفه. ولم يكن يانغ ليحس بتلك الرغبة الشديدة في شرب الماء إذا لم يرَ أحدهم يشرب أمامه، فبعد أن كانت معدته تؤلمه قبل تناول الطعام من شدة الجوع، أصبح الآن يتألم بشكل أكبر من شدة العطش. وفي النهاية لم يحتمل المعركة التي تدور في معدته، فقال:

- شياويوان، هل تسمح لي أن آخذ رشفة من الماء، وسأتحدث بعدها بكل شيء.

فابتسم شياويوان قائلاً:

- خدعتنا مرتين، ولا يمكن أن نسمح لك بأن تفعلها للمرة الثالثة.

فلم يجروء يانغ كاي توه أن يرد عليه. وبدأ الظلام ينتشر تدريجيًا خارج النافذة. وبعد مضي ساعة، اشتد بيانغ كاي توه العطش، حتى أحس أنه أصبح مثل منشفة تم عصرها إلى آخر نقطة ماء، وأحس بأن

جسده أصبح مثل حزمة حطب يابس، إذا مسها عود ثقاب ستشتعل في الحال. ثم راح يانغ كاي توه يلهث من شدة العطش، قبل أن يسقط مغشياً عليه. فضرب شياويوان على الطاولة، فانتفض يانغ كاي توه ونهض متحاملاً على نفسه. وفي الوقت الذي بلغ به العطش مبلغه، دخل عليهما شخصان، فلم يتعرف عليهما يانغ في بداية الأمر، ثم أخذ يدقق النظر حتى لاحظ أنهما رجل وامرأة. ووقف الرجل عند باب الغرفة، وما إن رأت المرأة يانغ كاي توه حتى بقيت في مكانها مذهولة لدقائق، قبل أن ترتمي عليه وتصرخ باسمه:

- كاي توه!

فلما سمع يانغ كاي توه صوتها، عرف أن هذه المرأة التي ارتمت عليه هي أخته الكبرى. وقد ارتمت عليه أخته فجأة وبقوة حتى سقطا معاً على الأرض، ثم نهضت وقالت وهي تأخذه في حضنها:

- من فعل بك هكذا يا يانغ توه؟

وكان قد اشتد به العطش، وكأنه قد عاد إلى ذلك العام الذي أصيب فيه بالتهاب السحايا عندما كان عمره عاماً واحداً، عندما ألقت به أمه في غرفة القش ليربي نفسه بنفسه، وأنقذته أخته صاحبة التسعة أعوام التي كانت تنقل إليه الماء يومياً. فأحس وهو في حضن أخته أن الزمن عاد به إلى ذلك المشهد في غرفة القش، فقال وهو يتلعثم:

- أشعر بالعطش يا أختي.

ولكن أخته لم تأت إليه الآن كما كانت تفعل وهو في غرفة القش حاملة له الماء، ولم يعد بيدها الآن مساعدته، فنظر إلى ذلك الرجل الذي دخل معها، فإذا به ذلك الرجل في منتصف العمر صاحب النظارة الذي كان يستجوبه في الغرفة الأخرى. وأوماً صاحب النظارة إلى شياويوان،

فحمل شياويوان قارورة ماء من فوق الطاولة وقدمها لأخت يانغ كاي توه. ففتحت هي القارورة في عجالة، وأخذت تسقي أخيها. فأفرغ يانغ القارورة في جوفه في غمضة عين. وما إن شرب حتى شعر بأن الحياة عادت إلى جسده من جديد. فقال لأخته وهو يلهث:

- أشعر براحة كبيرة الآن يا أختي.

- إذاً فلتعترف يا كاي توه. وإذا قادت الاعتراف إلى دخول السجن، فإن السجن أفضل بكثير من هذه الغرفة المظلمة. على الأقل ستجد هناك الماء، وسيكون بإمكانك رؤية الضوء. بل وسأستطيع زيارتك كل شهر. قالت.

-5-

وقبل أن يستأنف التحقيق مع يانغ كاي توه، كان صاحب النظارة قد سمح له بأن يشرب كفايته من الماء، بل وسمح له أيضًا بأن يأخذ حمامًا، وأن يغير ملابسه الداخلية والخارجية بأخرى جديدة قدمتها له اللجنة، كما أصدر توجيهاته للمطبخ فأعدوا له سلطانية من حساء المعكرونة، وطبق معكرونة مضافاً إليه قطع البصل الأخضر والكزبرة والبيض، ولم يكن الطعام هذه المرة مالحًا، كما أضافوا له بعض الخل. وعندما جلس يانغ كاي توه أمام الرجل في منتصف العمر، كان قد استحال إلى شخص آخر بعد أن أصبح نظيفًا يرتدي ملابس نظيفة، ولا يشكو من الجوع أو العطش.

وأدار صاحب النظارة جهاز الحاسب أمامه بزاوية 180 درجة، موجهًا الشاشة ناحية يانغ كاي توه الجالس أمامه، ليرى يانغ الساعات السبع أمامه معروضة بشكل مرتب ومنظم. وقال صاحب النظارة:

- مَنْ هم الذين أهدوك هذه الساعات؟

- فلان، فلان، فلان، فلان، فلان، و...

فذكر له يانغ كاي توه سبعة أسماء متتالية. وواصل صاحب النظارة:

- ولماذا أهدوك إياها؟

- لأنني وافقت لهم على عدد من المشاريع. يقول.

- وما هي هذه المشاريع؟

- مشروع...، مشروع...، مشروع...، مشروع...، مشروع...، و...

- وماذا أهدوك غير الساعات؟

- لم يهدوني غيرها. هز يانغ كاي توه رأسه بالنفي.

فتابع صاحب النظارة مقطباً جبينه:

- يبدو أن المدير يانغ بحاجة إلى يومين إضافيين لمزيد من التفكير.

قال ذلك ثم هبّ واقفاً، وبدأ يرتدي معطفه. فشعر يانغ كاي توه لوهلة بالخوف، فوقف في عجالة وجعل يعترض طريق صاحب النظارة قائلاً:

- تذكرت.

فخلع صاحب النظارة معطفه وجلس ثانية، ثم قال:

- ماذا أيضاً؟

- ذهب، مجوهرات، ملابس وحقائب ماركات عالمية، وقسائم شرائية

و...

فهز صاحب النظارة رأسه، ثم قال وهو يحدق في يانغ كاي توه:

- وماذا أيضاً؟

فنظر إليه يانغ كاي توه نظرة خاطفة، ثم قال بعد تردد:

- ومبالغ نقدية.

- ومن هم؟ وماذا أهداك كل منهم على حدة؟ سأل صاحب النظارة.

- أحتاج للتفكير في كل هدية على حدة. يقول.

- فكر كما تشاء. قال صاحب النظارة بعد أن ارتشف رشفة من كوب

الشاي.

فكر يانغ كاي توه لمدة خمس دقائق، ثم قال متردداً بعض الشيء:
- لقد مر وقت طويل، وربما لن أتذكر ذلك بدقة، وقد أظلم أحدهم إذا
أخطأت.

- لا تقلق، سنراجع كل صفقة على حدة. يقول صاحب النظارة.
- قدم لي جانغ سان... ألفاً، لي سه... ألفاً، وانغ وو... ألفاً، جاو ليو...
مليوناً. قال مضطرباً.

وتابع:

- لقد أفصحت عن كل شيء، وليس هناك ما أقوله حتى إذا هددتم
بقتلي.

فقال صاحب النظارة مبتسماً:

- وأنا أثق فيك أيها المدير يانغ، اشرب الشاي.
فرفع يانغ كاي توه كوب الشاي الموضوع أمامه، وأخذ منه رشفة.
وتابع صاحب النظارة:
- لديّ آخر سؤال لك.
- وما هو؟ يقول.

سحب صاحب النظارة درج الطاولة، وأخرج منه هاتفاً محمولاً،
فتعرف يانغ كاي توه في الحال على هاتفه، والذي كان قد أخذه منه
عضوا اللجنة قبل عدة أيام في مكتب السيد دو رئيس البلدية. ثم بحث
صاحب النظارة عن رسالة ويشات في الهاتف، وطلب منه أن يقرأها. فما
إن نظر يانغ إلى الرسالة حتى تذكرها، وكانت رسالة ويشات أرسلتها
له سيدة تدعى "سوشوانغ" قبل عشرة أيام، وكانت الرسالة من خمس

كلمات:

أخي تشيان جين⁽²⁰⁾ تعال بسرعة.

وما إن وقعت عيناه على الرسالة، حتى بقي يانغ كاي توه في مكانه مدهولاً. وقال صاحب النظارة:

- هذا الرقم من عاصمة المقاطعة، فماذا يقصد بهذه الرسالة؟

فأخفض يانغ كاي توه رأسه دون أن ينطق بكلمة. فواصل صاحب النظارة:

- ومن تكون سوشوانغ؟

إلا أن يانغ كاي توه لا يزال يلتزم الصمت. عندئذ واصل صاحب النظارة:

- كنت أعتقد أننا سننتهي اليوم من هذا الأمر، ولم أكن أتخيل أنك بحاجة لمزيد من الوقت للتفكير. ثم وقف وارتدى معطفه وهمّ بالخروج، فاعترض يانغ كاي توه طريقه قائلاً:

- سأتكلم أيها القائد.

خلع الرجل معطفه، ثم جلس وقال:

- تكلم.

فتردد يانغ كاي توه قليلاً قبل أن يقول:

- أشعر بالحرج.

20- تشيان جين: بمعنى مبالغ كبيرة، كما تستخدم في بعض المناطق الصينية للإشارة إلى الفتيات. (المترجم)

- لا يوجد بهذه الغرفة أحد سوانا، لتتلق بالحقيقة.

- أرجو ألا تسيء الفهم، فإن كلمة "تشيان جين" التي ذكرت في الرسالة لا تشير إلى المال، وإنما تعني "فتاة بمبلغ كبير"، وبمعنى آخر أنها تطلب مني السفر إلى العاصمة لأنها رتبت لي لقاءً بإحداهن.

- تقصد أن سوشوانغ قوادة؟ يقول صاحب النظارة.

ففكر يانغ كاي توه قليلاً ثم قال:

- يمكن أن نقول هكذا.

فضرب صاحب النظارة فجأة على الطاولة، وقال بحدة:

- تبعد العاصمة عن بلدك ما يزيد على أربعمئة كيلومتر، نصفها طرق جبلية، قد تستغرق المسافة إلى هناك يوماً كاملاً بالسيارة، فهل تقطع كل هذه المسافة من أجل "عاهرة"، من يصدق ذلك؟ وهل خلت بلديتكم منهن؟

- لا تخلو بلديتنا منهن، ولكن تلك التي وجدتها لي سوشوانغ تختلف عن نظيراتها في بلديتنا. قال يانغ كاي توه باكياً.

- وما وجه الاختلاف؟ أجمل منهن؟ قال صاحب النظارة.

- فضلاً عن الجمال، فإنها تتميز بشيء آخر.

- وما هو؟

- أنها ليست "عاهرة"، وإنما بكر.

فبقي صاحب النظارة في مكانه مذهولاً، ثم ضرب فجأة على الطاولة وقال:

- يانغ كاي توه، هل بلغ بك الفساد إلى هذا الحد؟ فأصبحت لا ترغب في العاهرات، ولا يشبع غريزتك إلا البكر.

فقال يانغ كاي توه خافضاً رأسه:

- هذا ليس ما أقصده قط.

- وماذا تقصد إذناً؟ قال صاحب النظارة.

- أشعر بالحرَج.

فقال صاحب النظارة بحدة:

- تكلم!

- أعاني منذ صغري من ضعف بنيّتي الجسدية، وكذلك من قدرتي الجنسية، ولكن ما إن أسمع بأن إحداهن بكر، حتى أتحمس وأظل بكامل قوتي لمدة شهر كامل.

فقال صاحب النظارة وهو مذهول:

- تقصد أنك تستخدمها كعلاج لضعفك؟

- يمكن أن نقول كذلك.

ثم تمتم:

- نعم، فلكل شيء سبب.

فغضب صاحب النظارة، ورغم غضبه من كلام يانغ، إلا أنه عاد بسرعة وقال بجديّة:

- ولكن الأمر ليس بهذه البساطة أيها المدير يانغ، فالمنطق يقول

إن سوشوانغ هي التي تجلب لك الفتيات البكر، وبالتالي يجب أن تدفع لها أنت، ولكن عندما قمنا بفحص حسابك البنكي، وجدنا أنها هي التي حولت لك مبالغ مالية عشر مرات على مدار الأعوام الستة الماضية، فما تعليقك على ذلك؟

فأخض يانغ كاي توه رأسه دون أن ينطق بكلمة واحدة. ولكنه قال بعد صمت طويل:

- لأنني أعتد لها عددًا من المشاريع الإنشائية.

- وما هي المشاريع التي حصلت عليها سوشوانغ من خلالك؟ قال صاحب النظارة.

- هي لا تطلب ذلك لنفسها، فهي مجرد وسيط، أما المشاريع فتذهب لشركة.... للإنشاء والتعمير بعاصمة المقاطعة. يقول.

- وما هي المشاريع التي حصلت عليها هذه الشركة؟ يقول صاحب النظارة.

فقال يانغ كاي توه بعد تفكير:

- مشروع...، مشروع...، مشروع... ومشروع... و....

- وهل كان مشروع إنشاء جسر قوس قزح الثالث من نصيب هذه الشركة؟

- حصلوا عليه في البداية، قبل أن يتنازلوا عنه لشركة أخرى.

فهز صاحب النظارة رأسه بالإيجاب، ثم أخذ منه الجوال، وقال وهو يغلق جهاز الحاسب أمامه:

- نكتفي بهذا القدر اليوم أيها المدير يانغ.

ثم نهض صاحب النظارة وأخذ يرتدي معطفه. فقال يانغ كاي توه وهو لا يزال جالسًا في مكانه:

- لم أفهم أيها القائد.

فأحس صاحب النظارة بالذهول من رده، ثم خلع المعطف وجالس ثانية وقال:

- ماذا تقصد؟

- كنت قد حذفتم هذه الرسالة قبل عشرة أيام، فكيف وجدتها على هاتفي؟

- لتقل أنت كيف وجدتها؟ قال صاحب النظارة وهو يضحك.

ففهم يانغ كاي توه أن الذي حصل على تفاصيل حسابه البنكي، لا يصعب عليه الحصول على جميع الرسائل على جواله. فقال:

- ولكن لدي سؤال أيها القائد.

- وما هو؟

- أريد أن أعرف من وراء نشر تلك الصورة لي على الإنترنت.

- الجمهور. ولقد كان هناك الكثير منهم في موقع الحادث آنذاك، وقد أصبحت الهواتف الجواله في يد الجميع الآن.

فهز يانغ كاي توه رأسه بالنفي قائلاً:

- شغلني التفكير في هذا السؤال عدة أيام، ولا يمكن أن يكون أحد من الجمهور وراءه.

- فمن يكون إذًا؟

فقال يانغ كاي توه غاضبًا:

- من يريد استغلال وقوع الحادث وسقوط الضحايا ويقدمني كبش فداء لما حدث.

ثم صاح بصوت عالٍ:

- وقولهم بأنني قبلت الرشوة، فهل نسوا أولاد العاهرة أنني أعرف كل شيء عن فسادهم.

- هل معك أدلة يمكن تقديمها للجنة.

فقال يانغ بلهجة باكية:

- كيف سأتمكن من تقديم الأدلة وقد أوشكت على دخول السجن؟ وهذا خير دليل على بطشهم.

وواصل:

- وبالإضافة إلى ذلك، فكيف سأكون مطمئنًا على زوجتي وابني أنا في السجن؟

فنهض صاحب النظارة من جديد، ثم قال وهو يرتدي معطفه:

- يبدو أننا تجاوزنا موضوعنا أيها المدير يانغ، أليس كذلك؟

فلزم يانغ كاي توه الصمت.

الفصل الخامس

نيوشياولي

-1-

افتتحت نيوشياولي مطعمًا أطلقت عليه ”مأكولات شياولي“. وقد عرف جميع أهل البلدة بسفرها إلى مقاطعة ×× للبحث عن زوجة أخيها الهاربة سونغ تساي شيا، ونجاحها في التوصل إليها بعد معاناة لأكثر من شهر. أما عن حقيقة تمكنها من إثبات تهمة الزواج الكاذب على سونغ تساي شيا، فقالت إنها رفعت ضدها قضية، لم تكتفِ فيها بمطالبتها برد المئة ألف يوان، بل طالبتها أيضًا بتعويضها بمبلغ عشرين ألف يوان عما لحق بعائلتها من أذى نفسي، وبتكاليف رحلتها من مسقط رأسها إلى مدينة تشين خان بمقاطعة ×× وانقطاعها عن العمل خلال تلك الفترة، ليلبلغ إجمالي ما طالبتها به مئة وعشرين ألف يوان. ولما لم تكن عائلة

سونغ تساي شيا تمتلك هذا المبلغ، فقد حكمت المحكمة المحلية ببيع منزل العائلة، وبذلك تمكنت نيوشياولي من العودة إلى مسقط رأسها بمئة وعشرين ألف يوان. لتصبح هذه القصة البطولية واحدة من مآثر نيوشياولي التي تناقلها الأهالي في مسقط رأسها. وتمكنت نيوشياولي من سداد دين صاحب مكتب الصرافة توشياوروي، وأسست بما تبقى معها مطعمًا للمأكولات الشعبية، تم افتتاحه في الثامن من يوليو، وفي الثامن عشر من نفس الشهر تزوجت من فينغ جين خوا، لتطرق السعادة بابها مرتين في شهر واحد. فيما كانت مضايقات لاوشين الأمر الوحيد الذي نغص عليها حياتها منذ عودتها من مقاطعة xx. فقبل افتتاح المطعم، كان لاوشين يأتي يوميًا إلى القرية، ويلح عليها قائلاً:

- أعيدي إليّ زوجتي وابني.

وزوجته هي جوجيوخوا التي كانت قد سافرت مع نيوشياولي إلى مقاطعة xx للبحث عن سونغ تساي شيا، وابنه هو القرد الصغير صاحب الأربعة أعوام الذي صحبهما في تلك الرحلة. بيد أنه في كل مرة كان يأتي لمضايقتها ومطالبتها بزوجته وابنه، كانت ترد غاضبة:

- وهل أنا مطالبة بمساعدتك في البحث عن زوجتك وابنك، بعد أن سرقتني زوجتك، فيجب أن تعيد إليّ الثلاثة آلاف يوان قبل أن تطالبني بردهما.

فيدق لاوشين الأرض بقدمه غاضبًا:

- سأشتكك!

- افعل ما بوسعك، زواجك منها باطل، واحتجازك إياها مخالفة قانونية، وسيلقي رجال الأمن القبض عليك قبل أن يستمعوا لشكواك!

فيختار لاوشين الصمت. لكنه يسكت قليلاً ثم يقول:

- ما رأيك أن أفعل كما فعلت في البحث عن سونغ تساي شيا، وأتحمل أنا تكاليف السفر على أن ترافقيني إلى هناك للبحث عنهما.

- كيف لرجل مثلك لا يمنع شيء من السفر أن يطلب من امرأة أن تقوده. يقول فينغ جين خوا خطيب نيوشياولي.

- لأنها سافرت من قبل إلى مقاطعة ×× للبحث عن سونغ تساي شيا، وعثرت عليها من المرة الأولى، وهو ما يعني أنها أصبحت خبيرة بالمكان، أليس كذلك؟ يقول لاوشين وهو يشير إلى نيوشياولي.

- ولكننا نستعد الآن لافتتاح المطعم، وليس لديها الوقت للسفر معك. يقول فينغ جين خوا.

فيثور لاوشين غاضباً، ثم يقول بعد أن قرفص أمام باب بيت نيوشياولي:

- لن أتزحزح من هنا قبل أن تعيدا إليّ زوجتي وابني.

- فلقد ضاعا وهما بين أيديكما، وأنتما المسؤولين عن إعادتهما لي. يتابع.

- كما أنكما فقدتما في المرة الأولى شخصية واحدة فقط، أما الآن فأنا فقدت شخصين.

وبعد انتقال نيوشياولي إلى البلدة لإدارة المطعم، تبعها لاوشين وكان يقرفص أمام باب مطعم "مأكولات شياولي". وكانت تعرف منذ أن كانت في مقاطعة ×× أنها لن تسلم من مضايقاته بعد هروب جوجيوخوا والقرد الصغير، ولكنها لم تكن تتوقع بحال من الأحوال أن يلاحقها لاوشين هكذا وكأنه يؤدي دواماً يومياً. فقال فينغ جين خوا:

- لاوشين، لم نمنعك من الجلوس أما باب البيت وقت أن كنا في نيوجياجوانغ، أما الآن فنحن في محل عمل، فهل تعلم أن جلوسك أمام الباب هكذا مثل الكلب يعوق تجارتنا؟

فرجع لاوشين رأسه وقال وهو يطالع المطعم الجديد:

- بإمكانني عدم الجلوس أمام المطعم، مقابل أن تعيدا لي السبعين ألف يوان التي دفعتها لجوجيوخو قبل ثلاث سنوات.

فقالت نيوشياولي وهي لا تدري أتضحك أم تبكي مما سمعت:

- كيف تطالبنا بالمبلغ وهي التي سرقتك منك؟

ثم ركله فينغ جين خوا ركلتين قائلاً:

- إذا لم تنصرف من هنا فسوف أجرك من رقبتك وألقي بك في النهر!

وما إن تلقى لاوشين الركلتين، حتى هب واقفاً وعيناه لا تفارق فينغ جين خوا، قبل أن يفر من أمامه إلى أقرب مساحة فارغة بعيداً عن باب المطعم، الأمر الذي أضحك نيوشياولي وخطبها، قبل أن يقول له فينغ ساخراً:

- سأرفع لك القبعة إذا مكثت في مكانك هذا لمدة عام كامل!

وكان "مطعم مأكولات نيوشياولي" يقع إلى يسار مدخل مصنع الملابس الذي كانت تعمل به نيوشياولي من قبل. والذي يعمل به أكثر من أربعمئة عامل وعاملة، يعملون على ورديتين، بحيث لا تتوقف ماكينات المصنع على مدار أربع وعشرين ساعة، وعندما كانت نيوشياولي تعمل بالمصنع، كانت تخرج في عجلة إلى خارج المصنع لشراء فطيرة مقلية أو فطيرة محشوة باللحم كوجبة الغداء أو العشاء، وبالرغم من أن الفطائر كانت لذيدة إلا أنها كانت جافة، تشعرها بالعطش بمجرد

تناولها. وخلال رحلتها إلى مقاطعة xx للبحث عن سونغ تساي شيا، وبعد فشلها في العثور عليها على مدار خمسة عشر يومًا، قبل أن تسافر مع سوشوانغ إلى إحدى المقاطعات المجاورة، والتي مكثت بها أكثر من عشرين يومًا، ترددت خلالها برفقة سوشوانغ وآخرين على المطاعم الواقعة على ضفة النهر بعاصمة المقاطعة، وتناولت أحد الأطباق الشعبية المعروفة بـ “حساء أمعاء الغنم”، والذي يتميز بطعمه اللذيذ إلى جانب الفطائر المقلية، والذي يجعل المرء يشعر براحة كبيرة في معدته بعد تناوله، واستطاعت شياولي أن تتعلم طريقة إعداد هذا الطبق المحلي. وفور عودتها من مقاطعة xx، قامت شياولي بأمرين لا ثالث لهما، أولاً: توقفت عن العمل بمصنع الملابس، ثانيًا: استأجرت شقة من غرفتين عند مدخل المصنع، وأسست بها مطعمًا لبيع حساء أمعاء الغنم والفطائر المقلية. كما كانت قد قسمت مبلغ المئة وعشرين ألف يوان التي عادت بها من مقاطعة xx، والتي قالت إنها التعويض الذي حصلت عليه من عائلة سونغ تساي شيا، أعلنت أنها بداية سددت مبلغ مئة ألف وثمانية آلاف وثمانمئة يوان لصاحب شركة الصرافة، وإن كانت القيمة الفعلية التي دفعتها له هي تسعة وتسعون ألفًا ومئتا يوان فقط، بحساب نسبة فائدة سنوية 2% بعد أن تم تخفيضها من 3% مقابل ما قام به توشياوري من إقحام لسانه داخل فمها، وأخبرت خطيبها فينغ جين خوا وأخاها نيوشياوشه أنها أسست المطعم برأس مال ستة عشر ألف يوان، وإن كانت في واقع الأمر تمتلك خمسة وعشرين ألفًا وستمئة يوان. وحددت نيوشياولي أسعار أطباق مطعمها، بواقع يوانين لسلطانية حساء أمعاء الغنم، ونصف يوان للفطيرة المحمرة، ليكون إجمالي الاثنين معًا بزيادة نصف يوان فقط عن مقابل فطيرة مقلية أو فطيرة محشوة باللحم. وبينما كانت الفطائر المقلية والمحشوة باللحم تباع على عربة في الشارع، بحيث يتناول الزبائن طعامهم في الشارع،

فقد كان مطعم "مأكولات شياولي" يتميز بأنه مقام داخل شقة بالدور الأرضي، مجهزة بعدد من الطاولات والمقاعد، بحيث يتناول الزبائن طعامهم وهم جلوس. هذا بالإضافة إلى إعلان نيوشياولي أن إضافة الحساء للزبائن الذين يشترون سلطانية حساء لحم الغنم إلى أن يأخذ الواحد منهم كفايته دون مقابل. وبعد افتتاح مطعم "مأكولات شياولي"، بدأت عاملات مصنع الملابس يتوافدن عليه لتناول الفطائر وحساء لحم الغنم، ولم يعد أحد يقصد عربة الفطائر المقلية والمحشوة باللحم. بل ولم يقتصر الأمر على عاملات المصنع، وإنما كان يقصده العديد من زبائن المسبح الواقع إلى يمين مدخل المصنع، والذين كانوا يقصدون مطعم "مأكولات شياولي" قبل أو بعد زيارتهم للمسبح لتناول الفطائر أو حساء لحم الغنم. وكذلك الحال بالنسبة للعاملين في المسبح ممن يقدمون خدمات مساج الظهر والعناية بالقدمين، أو الفتيات القادمات من شمال شرق الصين اللاتي يقدمن خدماتهم لرواد المسبح. ومع مرور الوقت، توطدت العلاقة بين نيوشياولي وصاحب المسبح، لتبدأ خدمة توصيل الطعام للمسبح. ومع رواج تجارتها وانشغالها بزبائن المطعم، بدأت نيوشياولي تنسى تدريجياً أمر لاوشين الذي كان يجلس على مسافة من باب المطعم. لتكتشف مصادفة بعد نحو شهرين أنه لم يعد يداوم على الجلوس في مكانه كما كانت الحال من قبل، فبعد أن كان لا يغيب يوماً عن الجلوس بالقرب من مطعمها، أصبحت تراه الآن على فترات متقطعة بعد الظهر. وعندما سألت عن أمره، عرفت أن ذلك لم يحدث نتيجة لتغيير لاوشين رأيه في ما يتعلق بملاحقتها، وإنما حرصاً على وقته الذي يضيع، وأنه بذلك لن يتمكن من الحصول على أجره من العمل في مصنع الطوب، ومن ثم قرر العودة إلى العمل بالمصنع، مع حرصه على استغلال بعض الوقت للمجيء إلى البلدة لملاحقة نيوشياولي، حتى تفهم أنه لم يتنازل عن ملاحقتها حتى يتحقق هدفه.

وبعد ظهر ذلك اليوم، وما إن خرجت نيوشياولي من المطعم لقضاء حاجتها، حتى وجدت لاوشين جالساً في مكانه المعتاد. وما إن دنت منه أكثر، حتى رآته يرتدي الخوذة الفولاذية التي يرتديها أثناء عمله في مصنع الطوب، ويرتدي كذلك السترة والحذاء القطني في هذا الوقت من فصل الصيف. فسألته:

- ألا تشعر بالحر من ارتداء هذه السترة القطنية في هذا اليوم القائظ يا لاوشين؟

فاكتفى لاوشين بالنظر إليها بعينين غائمتين. إلا أنها بعد عودتها من قضاء حاجتها، اكتشفت أنه لم يعد يرتدي الخوذة الفولاذية والسترة القطنية، وأصبح عاري الكتفين، كاشفاً عن جلده الأبيض.

ومرت ثلاث أشهر، وانقضى الصيف وجاء الخريف. حتى شعرت نيوشياولي فجأة أن لاوشين لم يظهر في مكانه بالقرب من المطعم منذ أكثر من شهر. فظنت في بادئ الأمر أنه يئس من جلوسه المستمر دون نتيجة، فقرر عدم المجيء إلى البلدة، حتى نسيت أمره تدريجياً. وفي مساء ذلك اليوم، وعند خروجها من المطعم لقضاء حاجتها، اكتشفت نيوشياولي شيئاً أسود متكوراً على مسافة بعيدة منها. فظنت أنه كلب ينتظر أحدهم يلقي إليه بفضلات الطعام، ولكن ما إن دنت منه حتى وجدته إنساناً يغط في النوم. ثم أخفضت رأسها تتحقق منه، فإذا به لاوشين. وهب تيار هواء شديد، فتطاير الغبار على وجه لاوشين، حتى ملأ الغبار عينيه وأنفه. ثم انحنت نيوشياولي لتوقظه. وما إن فتح لاوشين عينيه، حتى انتفض مذعوراً عند رؤية شياولي التي بدأتها بالسؤال:

- هل أكلت يا لاوشين؟

فهز رأسه نافياً وهو منشغل بفرك عينيه.

فاستدارت شياولي مسرعة إلى المطعم، وأمسكت بفطيرة وسلطانية
ملأتها بحساء أمعاء الغنم عائدة إلى حيث يجلس لاوشين. فراح لاوشين
ينظر إليها قبل أن يمد يده ويأخذ الفطيرة وسلطانية الحساء.

- لماذا لم تأتِ منذ فترة طويلة؟ سألت.

وما إن سمع لاوشين سؤالها هذا، حتى وضع سلطانية الحساء وأجهش
بالبكاء بصورة أفزعها. ثم قال باكياً:

- لقد سافرت إلى مقاطعة x.

فزاد هذا من فزعها، قبل أن تسأله في عجلة:

- وهل عثرت على جوجيوخوا والقرد الصغير؟

- وجدت عنوان أهلها وهمياً. قال وهو يهز رأسه بالنفي.

وتابع:

- لكنني لم أستسلم، وقضيت خمسة عشر يوماً بحثت عنها في جميع
قرى تشين خان، وقد وجدت أكثر من مئة وعشر سيدات يحملن اسم
جوجيوخوا باثنتي عشرة قرية تابعة للبلدة، ولم أجد بينهن زوجتي.

وكانت نيوشياولي خاصت هذه التجربة التي يتحدث عنها لاوشين قبل
سنة شهر.

- طالما لم تعثر عليها من المرة الأولى، فليس أمامك إلا أن تنتظر
الفرصة المناسبة. قالت.

- وهذا ما أتى بي اليوم، وقد أردت انتظارك حتى تنتهي من عمك
لأسالك عن أمر ما. قال.

- وما هو؟

- كيف عثرتِ على سونغ تساي شيا ببلدية تشين خان قبل ستة أشهر مضت؟ علمًا بأنني عندما فشلت في العثور على زوجتي بتشين خان، بحثت عن سونغ تساي شيا، فاكتشفت أن عنوانها هو أيضًا وهمي.

فعبزت شياولي عن الرد في التو، فقالت بعد لحظات من الذهول:

- لقد كلفني هذا العنوان الوهمي عناء البحث عنها لأكثر من شهر، حتى عثرت عليها أخيرًا بمحض الصدفة.

- وكيف لم أتمكن من الاتصال بك طول مدة إقامتي بتشين خان؟ قال.

وكانت نيوشياولي قد غيرت رقم هاتفها بعد عودتها من تلك المقاطعة، ولم تخبر لاوشين برقمها الجديد. فقالت:

- وكيف أجد الوقت لمتابعة الهاتف وسط هذا الانشغال في المطعم؟

- بالرغم من ذلك كله لم أستسلم منذ عودتي من مقاطعة xx، فهل بإمكانك أن تخبريني بعنوان عائلة سونغ تساي شيا الحقيقي؟ فقد كانت تعرف زوجتي، كما أنني أخطط للسفر إلى مقاطعة xx مرة ثانية، وفي حال تمكنت من الوصول إلى سونغ تساي شيا، فإنها ستقودني للعثور على زوجتي والقرد الصغير.

فقالت نيوشياولي في عجالة:

- أذكر أنني عندما طالبت عائلتها بالتعويض، قامت الحكومة المحلية ببيع منزل العائلة في مزاد علني، وبالتالي تم تشريد العائلة، ولا أعلم إلى أين انتقلوا بعد ذلك.

- تقصدين أنه قد ضاع آخر أمل في العثور عليها. قال وهو يديق

الأرض بقدميه.

ثم تابع متنهداً:

- وماذا أفعل الآن؟

- هل ستأتي إلى هنا غداً يا لاوشين؟ سألته.

- لم أعد أحتكم على يوان واحد بعد عودتي من مقاطعة xx، وبالتالي يجب أن أعود غداً إلى مصنع الطوب. أجب.

- وما رأيك أن تأتي للعمل معي بالمطعم. قالت.

فحذق فيها لاوشين زاهلاً للحظات. قبل أن تتابع نيوشياولي:

- وسيساعدك العمل معي بالمطعم على: أولاً: التمكن من ملاحقتي يومياً دون أن تأتي خصيصاً إلى البلدة للجلوس أمام باب المطعم. ثانياً: ستجد بيئة عمل أفضل بكثير من فرن الطوب، فلن تتعرض للرياح أو الأمطار خلال عملك في غسل الأطباق والخضراوات.

فقال لاوشين متشككاً:

- ليس لك أطماع أخرى من وراء هذا العرض؟

فقالت نيوشياولي ضاحكة:

- قلت للتو إنك لم تعد تحتكم على يوان واحد، فما هي الأطماع التي يمكن أن أسعى إليها؟ كل ما في الأمر أنه تأخذني بك الشفقة.

وتابعت:

- والأمر متروك لك.

ومنذ افتتاح مطعم "مأكولات شياولي"، اعتمدت نيوشياولي على عدد من العمال والعاملات لمساعدتها في المطعم. وكانت قد اعتمدت في بداية الأمر على أخيها نيوشياوشه. وقد شعر نيوشياوشه بسعادة بالغة بهذه الفرصة لكسب بعض المال، إلا أنه ترك العمل بالمطعم قبل أن يكمل شهرين. وخلال عمله معها بالمطعم، كانت نيوشياولي تقوم بإعداد الفطائر وحساء أمعاء الغنم إلى جانب محاسبة الزبائن، بينما يتولى نيوشياوشه حمل أطباق الفطائر وسلطانيات الحساء للزبائن، ولم يكن يشعر بأي تعب في ذلك، بل كان يرتاح لهذه المهام، وعندما يقل عدد الزبائن بالمطعم، يقوم بانتقاء الخضروات وكنس أرضية المطعم، وكان يساعد أخته في تلقيم الفحم عند انشغالها بصناعة الفطائر، وكذلك رش التوابل داخل سلطانيات الحساء التي تنتهي شياولي من إعدادها، في حين كان يزعه سخرية بعض الزبائن منه. فبعد هروب سونغ تساي شيا، سافرت أخته لمساعدته في البحث عنها والمطالبة بالتعويض، كما أنها لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تهرب منه زوجته، فكانت قد هربت منه زوجته الأولى خلال عملهما بالمدينة، وتركت له ابنتهما، وقد تناقلت الألسن حكاية هروب زوجته مع إضافة بعض الجوانب للقصاص الأصلية، كما حدث مع قصة سفر نيوشياولي إلى تلك المقاطعة للبحث عن سونغ تساي شيا وتمكنها من العثور عليها ومطالبة عائلتها بالتعويض، وهذا ما كان يدفع البعض للمجيء إلى المطعم لتناول الطعام، إلى جانب رؤية هذا الأخ وهذه الأخت. لرؤية ما يميز كل منهما عن الآخر، فبينما يأتي هؤلاء لرؤية نيوشياولي وما تتمتع به من قدرات ومواهب، يأتي آخرون لرؤية أخيها الكسول نيوشياوشه. ومع مرور الوقت، زاد عدد الزبائن الذين يقدمون لرؤية والسخرية

من نيوشياوشه مقارنة بهؤلاء الراغبين في رؤية شياولي. ولم يكن نيوشياوشه ينتبه لغرضهم في بداية الأمر، فما إن يدخل أحدهم المطعم ويطلب حاجته من الطعام، حتى يحمل إليه شياوشه طلبه من الفطائر والحساء، قبل أن يعود إلى المطبخ لمساعدة شياولي، فيسمع الزبون يصيح في صالة الطعام:

- أريد بعض الخل.

أو:

- أريد مزيداً من الشطة.

فيحمل له نيوشياوشه طلبه من الخل والشطة، فيستغل الزبون هذه الفرصة وينشغل بالنظر إلى نيوشياوشه. ومع تكرار هذا الموقف من زبائن المطعم، بدأ شياوشه يشعر بأن هناك مغزى آخر لنظراتهم. حتى ضاق به الأمر، فطلب من أخته شراء عشر زجاجات خل، ووضعت على كل طاولة زجاجة، وإعداد المزيد من الشطة، ووضعت سلطانية شطة على كل طاولة على حدة. وبالتالي لم يعد لأحد من الزبائن حاجة لطلب الخل أو الشطة، لكن اللافتة التي يعلقها المطعم تشير إلى أن بإمكان الزبائن إضافة المزيد من الحساء مجاناً، فاستغل الكثير من الزبائن هذه النقطة لمناجاة نيوشياوشه لإضافة الحساء، ومن ثم التمكن من النظر إليه كما يحلو لهم. وعندما انتبه نيوشياوشه إلى طلباتهم المبالغ فيها بإضافة الحساء، عرف أن لهم مغزى آخر من تكرار طلب الحساء، فقال لأحدهم وهو يجمع السلطانيات الفارغة محدثة صوتاً مسموعاً:

- ها أنت لم تنه كمية الحساء الإضافية التي طلبتها، ألا ترى أنك بذلك

تسخر من سيدك؟

وبعد مرور شهر، لم يعد لدى الزبائن تلك الرغبة في الفرجة على

نيوشياوشه، وأصبحوا يطلبون الحساء الإضافي لحاجتهم لذلك فقط. ولكن الأمر ترك شيئاً في نفس نيوشياوشه، فكان ما إن يسمع طلب أحدهم بإضافة المزيد من الحساء، حتى يظن أنه يقصد السخرية منه. وفي ظهيرة أحد الأيام، دخل المطعم لاجياو ساعي البريد بالبلدة لتناول سلطانية حساء أمعاء الغنم، وذلك بعد أن جف حلقه من تسليم الطرود البريدية طول فترة الصباح، حتى إنه طلب إضافة المزيد من الحساء أربع مرات متتالية، دون أدنى مغزى آخر. إلا أن نيوشياوشه ظن أنه يرمي بذلك إلى السخرية منه، خاصة أنه لم يُنه تناول السلطانية الإضافية الرابعة، فأخذ شياوشه يتمتم غاضباً:

- كل هذا الإسراف بسبب أن الحساء مجاني أيها الجائع!

فسمع لاجياو وهو على وشك المغادرة ما قاله نيوشياوشه، فثار غضبه، ثم استدار وقال وهو يشير إلى اللافتة المعلقة على الحائط "بإمكانك إضافة ما تريد من الحساء مجاناً" قائلاً:

- هذا ما أعلنتم عنه بأنفسكم، فكيف تقولون ما لا تفعلون؟

واستأنف قائلاً:

- وكيف تسمح لنفسك بالسخرية من الآخرين بسبب قليل من الحساء العفن؟

إلا أن نيوشياوشه لم يتمالك نفسه وصب عليه كل الغضب الذي اختزنه بداخله خلال الفترة الماضية قائلاً:

- تجرؤ على أن تسبني؟ إذا لم تلزم حدودك فسأؤدبك؟

وبضحكة متهكمة رد لاجياو:

- لم أرك منذ عدة أيام، ولم أتخيل أنك أصبحت بهذه الجرأة، وعرفت

معنى التأديب!

ثم ألقى بزجاجة الخل التي كانت على الطاولة على رأس نيوشياوشه، ولحسن الحظ أن شياوشه تفادها فسقطت على الأرض فتناثر الزجاج على الأرض وانسكب الخل على الأرض. وتجمع الزبائن الموجودون بالمطعم لفض الاشتباك بينهما، كما جاءت نيوشياولي مسرعة من المطبخ وتدخلت لتهدئة الموقف، إلا أن كلا منهما ظل متمسكاً برأيه. فبصق لاجياو على الأرض ثم قال وهو يشير إلى نيوشياوشه:

- لم ينته الأمر بعد، وبيننا لقاء آخر لأؤدبك أيها الجبان!

ثم انتهت موجة الغضب، وما إن غادر لاجياو المطعم، حتى قام نيوشياوشه بنزع اللافتة المعلقة على الحائط، وقام بتمزيقها، ثم قال وهو يقرص أمامها:

- لتذهب هذه التجارة البائسة التي جعلتني أتعرض للمهانة إلى الجحيم.

ثم انتشرت في المكان رائحة شيء يحترق، فقد احترقت صينية الفطائر التي تركتها نيوشياولي في المطبخ. وعندما وجدت نيوشياولي أخيها نيوشياوشه غير مناسب للعمل في التجارة، أعادته إلى مسقط رأسيهما بقرية نيوجياجانغ، واشترت له قطيعاً من الغنم ليقوم برعيها على ضفة النهر. وهذا غضب نيوشياوشه بمجرد الابتعاد عن التعامل المباشر مع الآخرين، وقضاء الوقت الكامل مع الأغنام. وبعد عودة نيوشياوشه إلى القرية، فكرت نيوشياولي أن تطلب من خطيبها وزوجها المستقبلي فينغ جين خوا مشاركتها في إدارة المطعم، إلا أن فينغ جين خوا عز عليه أن يترك ورشته لصيانة الدراجات البخارية، وأخبرها بأن عدم رغبته في العمل معها ليست بسبب أنه يعز عليه ترك

الورشة، وإنما ترك حرفته. وقال موضحًا:

- وصدق من قال ”حرفة الـيدين خير من مال الـجدين“.

واستأنف:

- وصدق المثل القائل ”لا تضع البيض كله في سلة واحدة“، والأفضل أن تعملِي أنتِ في مطعمك وأنا في ورشتي، فإذا سقط أحدنا، يسندُه الآخر.

فأرت نيوشياولي أنه محق في ما قال. ولكن تجارتها تزداد رواجًا يومًا بعد يوم، ولا يمكن أن تديرها بمفردها. وكانت فكرت في الاستعانة بصديقاتها في مصنع الملابس، إلا أنها أعادت التفكير في تحول العلاقة بينها وبينهن من صداقة إلى علاقة عاملات بصاحبة العمل، وخشيت عدم قدرتها على ضبط هذه العلاقة الجديدة بينها وبين صديقات الأمس وعاملات اليوم، بالإضافة إلى أنه كلما كانت العلاقة وطيدة زاد ذلك من إمكانية تعرضها للحسد، وربما لن تتمكن صديقاتها من السيطرة على مشاعرهن تجاه تجارتها التي تزداد رواجًا يومًا بعد يوم، ومن ثم قررت ألا تقحم نفسها في مثل هذه المشاكل. وطبقت نفس المبدأ الخاص بصديقاتها على أقربائها وجيرانها في مسقط رأسها. حتى وجدت نفسها بدلًا من أن تبحث عن يساعدها في العمل، فقد فتحت على نفسها أبواب المتاعب. ثم وجدت نفسها مضطرة لوضع إعلان أمام المطعم لطلب عمال. وفي صباح اليوم التالي، استقبلت نحو عشرة متقدمين من الجنسين، ولكنها لم ترتح إلى أي منهم، حيث وجدت من بينهم مَنْ يبدو عليه أنه متكاسل فاقد الهممة، ومَنْ يبدو عليه أنه مهمل في نفسه، ومَنْ يبدو عليه أنه ماكر، ومَنْ يبدو عليه الكسل والتراخي. وبعد ظهر اليوم نفسه، استقبلت سيدة في مطلع الثلاثينيات، تبدو جميلة ونظيفة، كما يبدو أنها بارعة في عملها، وتحدث بأسلوب راقٍ ومهذب، مما جعل

نيوشياولي تعجب بها من النظرة الأولى. فسألته من أي المناطق تكون، فردت عليها السيدة السؤال بسؤال:

- يبدو أنك لا تعرفيني، أليس كذلك؟

فأخذت نيوشياولي تتفحصها، قبل أن تهز رأسها نافية. فتابعت المرأة:

- اسمي تشيافين، وكنت أقوم من قبل ببيع الفطائر عند هذا المدخل، وسبق أن تناولت فطائري عندما كنتِ تعملين بمصنع الملابس.

فأخذت نيوشياولي تتفحصها ثانية بدقة، حتى بدا أنها تذكرتها، فقالت:

- وكيف توقفتِ عن بيع الفطائر إنذا؟

- لم يعد أحد يرغب في شراء فطائري منذ أن بدأتِ في بيع حساء أمعاء الغنم. قالت.

ففهمت شياولي أنها تسببت في قطع رزق السيدة. ثم ساروها الشعور بالقلق لأن تكون السيدة تكرهها لأجل هذا السبب، ففكرت في عدم قبولها للعمل معها، ولكن يبدو أن تشيافين فطنت إلى ما تفكر فيه شياولي، فقالت:

- لتذهب تجارة بيع الفطائر إلى الجحيم، فلم أعد بحاجة إلى نصب العربة يوميًا، والخوف من هبوب الرياح وهطول الأمطار.

واستأنفت:

- فأنا أفضل العمل لدى الآخرين، فبينما يجد صاحب العمل نفسه أمام مخاطر عدة، يكون العامل في مأمن من ذلك كله، طالما أنه يؤدي عمله

على الوجه المطلوب.

فأحست شياولي أن تشيافين محقة في ما قالت. قبل أن تتابع تشيافين:

- وقد كنت زميلة أخت فينغ جين خوا الكبيرة في المرحلة المتوسطة، وبإمكانك أن ترجعي إليهم إذا كنت لا تصدقينني.
وأضافت:

- ويعد سنوات من العمل المتواصل، كنت أفكر في التوقف لالتقاط الأنفاس، ولكنني الآن مطلقة منذ ثلاث سنوات ومعني طفلة، وقد أنفقت مالي كله في ترميم شقتي الشهر الماضي.
فأحست شياولي أن كلامها واقعي جداً، فعاودتها الرغبة في توظيفها، سائلة إياها:

- وكم ستطلبين إذا جئت للعمل معي؟

- لتعطيني ألفي يوان في الشهر. قالت.

وبالرغم من أن هذا الرقم يزيد بمقدار مئتي يوان عن راتب العاملات بمصنع الملابس، إلا أن العمل بالمطعم أصعب من العمل بالمصنع، فهو رقم غير مبالغ فيه. وفي مساء اليوم نفسه، تحدثت نيوشياولي إلى فينغ جين خوا في أمر تشيافين، فقال فينغ جين خوا:

- أنت صاحبة القرار في مطعمك، ولو كان الأمر بيدي لما رأيت حاجة لتوظيف الأشخاص الذي يعتمدون على الوساطة.

ولكن أين تجد هؤلاء الذين لا يعتمدون على الوساطة في هذه البلدة؟ فقررت نيوشياولي توظيف تشيافين. ثم اتصلت بها لتخبرها بذلك، وفي

صباح اليوم التالي، استلمت تشيافين عملها بالمطعم، عندئذ أحست نيوشياولي أنها أزاحت من فوق كاهلها حملاً ثقيلاً. فقد اعتمدت تشيافين على خبرتها في إعداد الفطائر المقلية لتتمكن بعد ثلاثة أيام فقط من تعلم إعداد الفطائر المحمرة، وعندما كان يعاونها أخوها نيوشياوشه في المطعم، ونظرًا لقلة حيلته، كانت شياولي توكل له حمل أطباق الفطائر وسلطانيات الحساء، أما الآن ومع قدرة تشيافين على إعداد الفطائر، فقد تبقى لشياولي إعداد الحساء، وبدأت تستغل الوقت والجهد المتبقي في حمل الأطباق والسلطانيات وغيرها من الأعمال التي لا تحتاج للتركيز. ولمست في تشيافين سرعة التعلم وحبها لتعلم المزيد من الأعمال، فبعد أن تعلمت طريقة إعداد الفطائر، بدأت تتعلم من شياولي طريقة إعداد حساء أمعاء الغنم، لتتمكن في غضون خمسة عشر يومًا من إعداد الحساء بمهارة لا تقل عن مهارة نيوشياولي، وبعد شهر من بدء العمل بالمطعم، كانت شياولي تعتمد عليها في إعداد الفطائر والحساء، بينما تقوم هي بمحاسبة الزبائن وحمل الأطباق والسلطانيات. ومع مرور الوقت، بدأت تجارتها تزاد رواجًا، فوظفت نيوشياولي عجزًا يدعى لاوسون، ليتولى حمل الأطباق والسلطانيات وغسلها، وتفرغت هي لحساب واستقبال الزبائن. فكانت تجلس خلف طاولة دفع الحساب وتشعر بإحساس رب العمل وهي تراقب العمال وانشغالهم بطلبات الزبائن الذين يكتظ بهم المطعم. وبعد ثلاثة أشهر، اكتشفت نيوشياولي عدم أمانة لاوسون، الذي كان يحمل إلى بيته سرًا كميات من أمعاء الغنم المبردة، أو ما يتبقى من الفطائر في نهاية اليوم، فقررت الاستغناء عنه. وفي اليوم التالي لإقالة لاوسون، قابلت بالصدفة لاوشين نائمًا في مكان ما خارج المطعم. فشغلها أمره انطلاقًا من أنه أصبح الآن بلا مأوى، وحاله مثيرة للشفقة بحكم العلاقة الملتبسة التي تربطه بجوجيوخوا والقرد الصغير، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى رأته في نموذجًا

للإنسان المخلص، فقررت بعد التشاور معه الاستعانة به للعمل معها في المطعم. واتفقت معه على راتب شهري ألف وخمسمئة يوان وهو نفس المبلغ الذي كان يتقاضاه لاوسون. وفي أول يوم عمل له، أخذت نيوشياولي تراقبه، لتكتشف أنه رغم قصر قامته، إلا أنه يتمتع بمهارة وسرعة ملحوظة في العمل، بما في ذلك حمل الأطباق والسلطانيات وغسلها، بالإضافة إلى أنه لا يدخر جهداً في العمل، فكان يشتغل الوقت الذي يقل فيه عدد الزبائن ويقوم بكنس ومسح أرضية المطعم، بل ويتعداها إلى الكنس أمام باب المطعم وصولاً إلى المنطقة التي كان يجلس بها بالقرب من الباب، فهو في أداء عمله أفضل بكثير من اللص لاوسون. وفي أحد الأيام، وبعد انتهاء الدوام، سألته نيوشياولي:

- هل تشعر بالتعب يا لاوشين؟

فانشغل لاوشين بمسح عرق رأسه دون أن يرد عليها. فتدخلت تشيافين قائلة:

- مهما يكن التعب فلن يكون بحجم ما كان يعانيه في حمل الطوب.

فرد لاوشين:

- الأمر لا يتعلق بالتعب في حد ذاته، فهذا العمل لا يتسبب في تقشر الجلد كما كان يحدث معي في مصنع الطوب.

فضحك الجميع. وكانت قرية شينجياجوانغ تبعد عن البلدة مسافة سبعة كيلومترات ونصف الكيلومتر، وكان لاوشين يخرج من بيته مبكراً ويقود دراجته قادماً إلى عمله بالبلدة، ليعود ثانية بعد انتهاء الدوام بالمطعم مساءً. وبعد ثلاثة أيام من عمله معها، وجدت نيوشياولي أن الأمر سيكون شاقاً عليه، فطلبت منه أن يأتي بفراشه للنوم بالمطعم، وذلك لتوفير مشقة الطريق التي يقطعها يومياً، بالإضافة إلى مساعدتها

في حراسة المطعم ليلاً، فضلاً عن أنه يعاني حالياً من الوحدة منذ هروب زوجته وابنه. وقد سره كثيراً هذا العرض. وبالرغم من أن المطعم لم يكن به سرير معد للنوم، إلا أنه كان يقوم بعد انتهاء العمل بالمطعم بضم طاولتين ثم يضع فوقهما فراشه، وينعم بنوم هادئ. ومرت خمسة عشر يوماً في لمح البصر، وفي عصر أحد الأيام، وعندما كان المطعم خالياً من الزبائن بما أنه لم يكن وقت تناول الطعام، وبينما كانت نيوشياولي وتشيافين تنشغلان بفرز الخضراوات، وكان لاوشين منشغلاً بالكنس أمام مدخل المطعم، همست تشيافين إلى شياولي بأن لاوشين لا ينام داخل المطعم. فقالت نيوشياولي مذهولة:

- وأين ينام إذا؟

فأشارت تشيافين إلى المسبح الذي يقع في الجهة المقابلة للمطعم.

- وكيف عرفت ذلك؟ سألت نيوشياولي.

- عند قدومي لإشعال النار صباح اليوم، لم أجد أحداً بالداخل، فظننت أن لاوشين خرج لقضاء حاجته، وبعد لحظات رأيته يتسلل بسرعة من المسبح، وما إن رأيته حتى شعر بحرج كبير. قالت.

ولما كانت نيوشياولي تعرف أن المسبح به عدد من فتيات شمال شرق البلاد، فظننت أن لاوشين قد يكون ذهب إلى هناك لمواعدة إحداهن. وبعد ظهر ذلك اليوم، قابلت نيوشياولي بالصدفة صاحب المسبح، فسألته عن أمر لاوشين، فأخبرها أن تردد لاوشين على المسبح ليلاً ليس لمواعدة الفتيات، وإنما للقيام بعمل إضافي. فعندما يخلو المسبح من الزبائن عند منتصف الليل، وبعد أن يتم تصريف المياه، يأتي لاوشين لتنظيف المسبح، ثم يقوم بعدها بتنظيف الحمامات، ويستغرق منه ذلك ساعتين ومثلهم في تنظيف مسبح وحمامات السيدات، وذلك مقابل عشرين

يوأناً في الليلة. وما إن سمعت نيوشياولي ما قاله صاحب المسبح، حتى أعجبت أولاً بذكاء لاوشين الذي استطاع أن يتعرف على المكان والأشخاص المحيطين به خلال هذه الفترة الوجيزة التي لا تتجاوز خمسة عشر يوماً، بل إنه بحث لنفسه عن عمل إضافي، ثانياً أحست أن انشغال لاوشين طول اليوم في المطعم وبالليل في المسبح، قد يؤثر على عمله في مطعم ”مأكولات شياولي“. وبعد انتهاء دوام ذلك اليوم، طلبت شياولي من تشيافين الانصراف، وأخبرتها أنها ستبقى بعض الوقت لترتيب المطبخ، وبينما هي منشغلة بوضع ما تبقى من أمعاء الغنم والخضروات في الثلاجة، قالت للاوشين:

- سمعت أنك لا تنام في المطعم؟

فاحمر وجه لاوشين على الفور، وقال متلعثماً:

- هذا لأنني أذهب إلى المسبح لتنظيف الأحواض والحمامات.

فلما رأت منه نيوشياولي هذه الصراحة، قالت:

- لا تخشى أن يؤثر هذا العمل المتواصل على راحتك؟

- أنا معتاد على قلة النوم منذ صغري.

وتابع:

- وهل حدث أن رأيتني أغفو نهاراً منذ عملي بالمسبح على مدار الأيام

السته أو السبعة الماضية؟

ففكرت نيوشياولي قليلاً، وتذكرت أنها حقاً لم ترَ منه ذلك خلال عمله بالمطعم، بل ولم تشعر بتأثير ذلك على أدائه المعهود، فتابعت تسأل:

- وهل هذا العمل ليل نهار لكسب أكبر قدر من المال بهدف السفر إلى

مقاطعة ×× للبحث عن جوجيوخوا والقرد الصغير؟

ولكن مَنْ يدري أن لاوشين هز رأسه بالنفي. فتابعت نيوشياولي مندهشة:

- هل عدلت عن التفكير في البحث عنهما؟

- لم أعدل عن التفكير في ذلك، وإنما لأنني سأضيع مالي دون أن أعثر عليهما. قال متنهداً.

واستأنف:

- فقد أدركت منذ عودتي من مقاطعة ××، أن هروبهما دليل على عدم رغبتهما في العودة، فمن الصعب التقرب إلى شخص يهرب منك بمحض رغبته.

- لديك حق، ولكن لا تحصر أحلامك وآمالك في شخص واحد.

وتابعت:

- وبما أنك لن تسافر للبحث عنهما ثانية، فيجب أن ترأف بنفسك، وأن تتوقف عن غسيل الأحواض والحمامات في المسبح.

- بل إن عدم البحث عنهما سيدفعني إلى أن أبذل قصارى جهدي.

- ماذا تقصد؟ سألت.

- كنت قد دفعت في جوجيوخوا سبعين ألف يوان، اقترضتها كاملة من أقربائي وأصدقائي، سددت منها خلال الأعوام الأخيرة ما يزيد على ثلاثين ألف يوان، ليتبقى ما يزيد على ثلاثين ألف يوان مضافاً إليها ثلاثة آلاف يوان أنفقتها في رحلتي إلى مقاطعة ××، ليصل إجمالي المبلغ المتبقي إلى ما يزيد على أربعين ألف يوان، وهو رقم كبير بالنسبة لي.

وتابع:

- كما أنني كنت أفكر أنني إذا عثرت على جوجيوخوا ورفضت العودة معي، سأطالبها بالتعويض، ولكنني عدت بخفي حنين، والآن مَنْ غيري سيسدد المبلغ المتبقي؟

فذهلت نيوشياولي مما سمعت، وتذكرت أنها ساورتها هذه الأفكار عندما فشلت في العثور على سونغ تساي شيا، قبل أن تسافر مع سوشوانغ إلى المقاطعة المجاورة لجمع مئة ألف يوان. عندئذٍ حدجها لاوشين بنظرة خاطفة قائلاً:

- ولكن يبقى أنك إنسانة أنانية.

- ماذا تقصد؟ قالت.

- لأنك لم تخبريني أنك عثرت على سونغ تساي شيا. قال.

وتابع:

- نجحت في العثور على سونغ تساي شيا، وحصلت منها على تعويض بمبلغ كبير، وأنا هنا على الحديد.

ولم يكن بمقدورها أن تخبره الحقيقة؛ لأنها لم تعثر عليها مثلما حدث معه في بحثه عن زوجته وابنه. فقالت مضطربة:

- لم أخبرك لأن الأمر حدث بالصدفة، وكيف يمكن أن أعلمك هذه الصدفة؟

فسكت لاوشين، قبل أن يقول بعد صمت وهو يتنهد:

- أخشى ألا أرى جوجيوخوا والقرد الصغير قبل أن أفارق هذه الحياة.

وتابع:

- ولا يهمني رؤية جوجيوخوا، فأنا فقط أشتاق للقرد الصغير.

ولما كانت نيوشياولي تعرف أن القرد الصغير ليس ابنه من صلبه، وأن جوجيوخوا جاءت به معها من مقاطعة xx، كما تذكر ما أخبرتها به جوجيوخوا من أن لاوشين ضعيف بالليل، فقالت:

- ولماذا تشتاق له وهو ليس من صلبك؟

- بالرغم من أنه ليس من صلبي، لكنني أحببته وتعلقت به بحكم العشرة الطويلة. يقول.

واستأنف:

- وفي ما مضى، كان القرد الصغير يتسلل إلى فراشي ليلاً، ونظمتحدث معاً حتى يغلبه النوم.

ثم قال لاوشين وهو يحرق في الظلام خارج النافذة:

- ولا أعلم إذا كان الآن نائماً أم ما زال مستيقظاً.

وما إن انتهيا من الحديث في هذا الموضوع، حتى عادت نيوشياولي إلى بيتها، فيما انشغل لاوشين بترتيب المطعم، قبل أن يذهب إلى المسبح لغسل الأحواض والحمامات. ومن خلال حديثهما معاً عن عمله الإضافي في المسبح، سمعت نيوشياولي بعض التفاصيل التي جعلتها لا تعرف أتضحك أم تبكي.

ومر الربيع وجاء الصيف. وفي الصيف، زاد عدد الباحثين عن النزهة ليلاً، علقت شياولي عددًا من المصابيح خارج مطعم "مأكولات شياولي"، ووضعت عددًا من الطاوات والمقاعد، غطت بها مساحة

وصلت إلى المكان الذي كان يجلس فيه لاوشين من قبل، وبدأت وردية ليلية. وكانت تبيع خلال الوردية الليلية نحو مئتي إلى ثلاثمئة سلطانية من حساء أمعاء الغنم، بالإضافة إلى مبيعات الخمور والمقבלات، فزادت نسبة مبيعاتها اليومية بنسبة 30 بالمئة. ومع هذا الرواج الذي كان يشهده المطعم، لاحظت نيوشياولي زهول تشيافين، حتى إنها أحرقت في ذلك اليوم قدر الحساء الذي كانت تعد به سلطانيات حساء أمعاء الغنم. ولكن نيوشياولي لم تغضب لذلك، واكتفت بسؤالها قائلة:

- ماذا بك يا تشيافين؟

- هناك أمر ما أشعر بالخجل الشديد لأن أتحدث معك بشأنه. قالت.

- وما هو؟ سألت شياولي.

- كان من الأفضل ألا أتحدث فيه في ظل هذا الرواج الذي يشهده المطعم، ولكن خالتي مريضة وترقد الآن بمشفى البلدة، وأرغب في الاستئذان لزيارتها. قالت.

وتابعت:

- وقد فقدت أُمِّي منذ الصغر، وهي التي ربنتني.

- وأين الخجل في مثل هذا الموقف. بإمكانك أن تذهبي غدًا في الصباح الباكر لزيارة خالتك. قالت نيوشياولي.

ففرحت تشيافين بهذا الرد. ثم تابعت شياولي توصيها:

- ولا يخفى عليك ضغط العمل بالمطعم، فأرجو أن تذهبي وتعودي مبكرًا.

ومرت ثلاثة أيام ولم تعد تشيافين. فاتصلت بها نيوشياولي، فأجابتها

وهي تتلعثم بأنها لا ترغب في العودة ثانية. فدهشت نيوشياولي من موقف تشيافين، وبدأت تشك في مرض خالتها، فسألتها:

- هل سمعت شيئاً في حقك؟

- لم أسمع شيئاً.

- هل أسأت إليك في شيء؟

- كلا، لم يحدث.

ثم تذكرت نيوشياولي شيئاً فجأة، فتابعت تسألها:

- هل ترين أنه يجب أن أرفع لك راتبك الشهري؟

- ليس لذلك كله علاقة بالأمر، فأنا فقط لا أرغب في العودة.

وبما أنها لا ترغب في العودة، فلم تفلح معها محاولات نيوشياولي. وبعد رحيل تشيافين، وجدت نيوشياولي نفسها مضطرة للبحث عن عاملة أخرى، وكانت العاملة الجديدة امرأة في الأربعينيات من عمرها، تدعى لوه دارونغ. وبالرغم من أنها لم تكن تمتلك نفس مهارة تشيافين، إلا أنها كانت على أي حال مخلصّة في عملها، مما جعل نيوشياولي قلقة بشأنها. إلا أن سير العمل في المطعم نهاراً وليلاً لم يتأثر بشكل كبير. ولكن يبقى أن نيوشياولي لم تعرف بعد السبب وراء رحيل تشيافين. ومع مرور الوقت، نسيت أمرها. ولم يطرأ على بالها، أنه بعد شهر من رحيلها تم افتتاح مطعم مأكولات شعبية عند الباب الخلفي لمصنع الملابس يحمل اسم "مأكولات تشيافين"، وكان المطعم الجديد يقدم حساء أمعاء الغنم والفظائر المحمرة، بل ويعلق على الحائط لافتة كبيرة كُتبت عليها "بإمكانكم إضافة المزيد من الحساء مجاناً"، بل وكانت تشيافين تقدم الطعام في وردية ليلية أمام المطعم، حتى إن عدد

زبائن مطعم ”مأكولات شياولي“ تناقص بمعدل الثلث في اليوم الأول لافتتاح مطعم ”مأكولات تشيافين“. فأحست نيوشياولي بأن رأسها يكاد ينفجر. عندئذٍ أدركت سبب رحيل تشيافين المفاجئ، وأدركت السبب الذي دفعها للعمل في مطعم ”مأكولات شياولي“، وعرفت حقيقة هذه المرأة التي تظهر الطيبة وتضمر الشر، كمن يعرف أحدهم معرفة سطحية ولا يعرف ما يدور بداخله. وبما أن تشيافين كانت زميلة أخت فينغ جين خوا، ففي مساء اليوم نفسه، قالت شياولي لفينغ غاضبة:

- هلا ذهبت إلى الباب الخلفي لمصنع الملابس لترى ماذا تفعل زميلة أختك!

- حقاً صدق من قال إنك تعرف أحدهم معرفة سطحية ولا تعرف ما يدور بداخله. قال مؤكداً على كلامها.

وتابع:

- نصحتك من البداية ألا تعتمدى عليها ولم تعلمي بالنصيحة.

واستأنف:

- ولعلمك فإن تشيافين كانت تعمل في بيع الفطائر المقلية منذ ثلاث أو أربع سنوات عند مدخل المصنع، وأنتِ التي أجبرتها على الرحيل بفتح مطعمك، أليس كذلك؟ وقد عادت الآن لتجارتها من جديد ولتردد لكِ الصفة.

فأحست أنه محق في ما قال، وتأكدت من أن صبر تشيافين على العمل معها على مدار ستة أشهر كان بغرض الانتقام. فبإمكانك أن تديرى مطعمك، وبإمكان غيرك أن يفعل نفس الشيء، كما أن تشيافين لم ترتكب مخالفة بفتح المطعم، ثم تنهدت شياولي تنهيدة عميقة. وبعد

ظهر اليوم التالي، وخلال فترة راحة المطعم، اشتكت لوه دارونغ من التهاب في مفصل كتفها، فاستغلت فترة الراحة لتذهب إلى صيدلية البلدة لشراء لاصقة طبية، لتبقى نيوشياولي بمفردها لفرز الخضراوات، قبل أن يدنو منها لاوشين قائلاً:

- أريد أن أخبرك بأمر ما، ولكن أرجو ألا تغضبي.

- ماذا لديك؟ قالت.

- هناك علاقة غير عادية بين زوجك وتشيافين. يقول.

فقالت وقد أحست أن رأسها على وشك الانفجار:

- ماذا تقصد؟

- بينهما علاقة حميمة.

- لا تفترى على أحد يا لاوشين، فإن كنت لا أعرف تشيافين، فكيف لا أعرف فينغ جين خوا ونحن لا نفارق بعضنا بعضاً؟ قالت بلهجة غاضبة.

- هذا ما يقولون عنه إنك تعرف أحدهم معرفة سطحية ولا تعرف ما يعتمل بداخله. يقول.

- ولكن هذا ليس أمراً بسيطاً يا لاوشين، ويجب أن تدلل على كلامك.

- هذا ما رأيته بعيني.

وما إن رآته نيوشياولي جاداً في كلامه، حتى سألته بجدية:

- وأين رأيتهما؟

- هنا. قال وهو يشير إلى المطعم.

فجعلت شياولي تنظر حولها، ثم قالت وقد وجدت نفسها في موقف لا تحسد عليه:

- وكيف يحدث ذلك في هذا المكان الذي يعج بالزبائن يوميًا؟

- المكان يكون خاليًا في المساء. يقول.

- ولكنك تكون موجودًا، أليس كذلك؟

- استغلا تواجدي في المسبح.

- ولكن فينغ جين خوا لا يخرج من البيت مساء. قالت بعد تفكير.

فدنا لاوشين منها، ثم قال هامسًا:

- هل تذكرين عندما عدتِ إلى مسقط رأسك للاطمئنان على ابنة أخيك

بانجيو في اليوم الثاني من الشهر القمري الأول؟

فكرت نيوشياولي قليلاً، فتذكرت أنها حقًا كانت قد عادت إلى مسقط

رأسها في ذلك اليوم، فهزت رأسها بالتأكيد. وتابع لاوشين:

- خرجت مساء ذلك اليوم إلى المسبح لغسل الأحواض والحمامات،

وفي منتصف العمل داهمني الجوع، فقفلت عائداً إلى المطعم لآخذ

فطيرة، ولكن من يدري أنني بمجرد أن اقتربت من باب المطعم سمعت

تأوهات بالداخل، فظننت أنه لص داهم المكان، فشعرت بالخوف، ونظرًا

لقامتي القصيرة وقلة حيلتي، لم أجرؤ على الدخول، واكتفيت بالنظر

من خصاص الباب، وما إن فعلت حتى أصبت بالذهول، فإذا بزوجك

وتشيفين معًا عاريين يفعلان تلك العلاقة، هنا فوق هذه الطاولة...

فانسحبت عائداً إلى المسبح خوفاً من المشاكل. ولم أجرؤ على الحديث

في هذا الموضوع عندما كانت تشيفين على رأس العمل بالمطعم، أما

الآن فيجب أن أفصح أمر هذه المرأة ناكرة الجميل.

عندئذٍ أحست نيوشياولي وكأن رأسها ينفجر. وبقدمها ركلت الطاولة التي أشار إليها لاوشين قبل قليل، ثم خرجت مسرعة للبحث عن فينغ جين خوا في ورشته. وما إن ابتعدت قليلاً عن باب المطعم، حتى اكتشفت أنها نسيت جوالها، فقفلت عائدة إلى المطعم لتأخذه، وعند دخولها من الباب، رأت لاوشين جالساً أسفل الحائط يضحك خلسة وهو يغطي فمه. ففهمت نيوشياولي السبب الذي دفعه لفضح أمر تشيافين، وأنه كان يقصد بذلك فضح أمر فينغ جين خوا، وفهمت أيضاً أن لاوشين مثله مثل تشيافين التي تركتها لتفتح مطعمًا جديدًا، فكلاهما كان يخطط للانتقام. وأعجبت نيوشياولي بصبرهما حتى يتمكن من تحقيق أهدافهما. ولكن شياولي ليس لديها الوقت الآن لمواجهة لاوشين، فخرجت مسرعة قاصدة ورشة فينغ جين خوا.

-3-

جاءت نيوشياولي مسرعة إلى ورشة فينغ جين خوا لإصلاح الدراجات النارية، فوجدته منشغلاً بإصلاح إحدى الدراجات، ويدها ملطختان بالشحم، وقطع الغيار تملأ الأرض من حوله. وما إن دخلت نيوشياولي الورشة، حتى أنزلت ستارة باب الورشة. فهب فينغ جين خوا واقفاً وقال مندهشاً من تصرفها المفاجئ:

- ماذا بك؟ لم يحن موعد إغلاق الورشة بعد.

- أريد أن أتحدث معك في أمر خاص. قالت.

- وما هو؟ قال وهو يمسح يديه الملطختين بالشحم.

وأخذت نيوشياولي بمقعد وجلست أمام الستارة، ثم دخلت في الموضوع مباشرة، وقالت:

- ماذا بينك وبين تشيافين؟

فأخذه الذهول بعض الوقت، قبل أن يرد باستغراب:

- ماذا تقصدين؟ لا أفهم ما تقولين؟

ولاحظت نيوشياولي أنه عندما سمع فينغ جين خوا هذا السؤال ارتبك بعض الشيء، وهو ما حملها على أن تحكم أنه حقاً يرتبط بعلاقة خاصة مع تشيافين. فقالت:

- سأدخل في الموضوع مباشرة طالما أنك لا تفهم، متى بدأت

علاقتكما الجنسية؟

- علاقتنا الجنسية؟ تشيافين زميلة أختي الكبرى، وتكبرني بخمس سنوات. من قال لك هذا الكلام؟ قال مذهولاً.

- لاوشين. رأكماً معاً داخل المطعم مساء اليوم الثاني من الشهر القمري الأول.

فأخذ فينغ جين خوا يمسح يديه بقطعة شاش، ثم قال وهو يتوجه إلى خارج الورشة:

- كذاب، سأذهب للبحث عنه وإلقائه في النهر.

ولكنه وجد ستارة الباب مغلقة ونيوشياولي تجلس أمام الباب، ثم قالت وهي تشير إلى مقعد في وسط الورشة:
- اجلس.

فجلس فينغ جين خوا مضطرباً ينتظر سؤالاً من نيوشياولي. لكنها لم تنطق بكلمة واحدة، واكتفت بالجلوس في صمت. فوجدها فرصة ولم يبادر بالحديث معها، فجلسا على هذه الحالة لمدة ساعتين دون أن يتحدث أحدهما بكلمة واحدة. ثم بدأ الظلام ينتشر خارج النافذة، قبل أن يصل إلى داخل الورشة. وفجأة تذكر فينغ جين خوا أمراً ما، فقال لنيوشياولي محذراً:

- اقترب المساء، وحن وقت الوردية الليلية بالمطعم.

- لا حاجة لي بالمطعم. قالت.

وتابعت:

- ولا تفكر في الخروج من هنا قبل أن تقول الحقيقة.

- ألم أقل لك بأنه لا تجمعني بها أي علاقة. قال غاضباً.

- إذاً فليس أمامنا سوى الجلوس هنا.

فبقيا في مكانهما داخل الورشة حتى لف الظلام المكان، فقامت هي وأشعلت الضوء. ومرت ساعتان جديدتان، حتى شعر فينغ بالجوع. ونظر في ساعته، فإذا هي العاشرة مساءً، فسألها:

- ألا تشعرين بالجوع؟

- بلى جائعة.

- ما رأيك أن نخرج سوياً لتناول العشاء؟

- سيمكننا الخروج بمجرد أن أسمع منك الحقيقة.

- قلت لك ليس بيني وبينها شيء، فهل أخلق علاقة ما حتى تصدقيني؟ قال وهو يصفق بيديه.

- إذاً فليس أمامنا سوى الجلوس هنا.

فبقيا في مكانهما داخل الورشة. وعند منتصف الليل، زاد شعور فينغ جين خوا بالجوع، فراح يندم على أنه لم يكن يعرف ما سيحدث معه اليوم، ولم يأكل أمس سوى سلطانية من حساء الشعيرية، وقد بدأت معدته تقصره من شدة الجوع فلم يدخل جوفه شيء منذ أكثر من عشر ساعات، وإن كانت ليست هي المرة الأولى التي يعاني فيها من الجوع. فبعد حادث شجاره مع أحد زملائه بالمدرسة وهو في الثامنة من عمره، عندما ألقى على زميله قطعة طوب فأصابته رأسه، لم يجرؤ على العودة إلى البيت خوفاً من أن يضربه أبوه، فصبر حتى اشتد به الجوع، ولم يحدث معه ذلك منذ أكثر من عشرة أعوام، حتى ذاق اليوم مرارة الجوع. وقد استطاع الصبر طول الليل، وما إن بزغ الفجر حتى بدأ يتلوى من شدة الجوع، أحس وكأن جيشاً من الحشرات ينهش أمعائه، قبل أن

تبدأ هذه الحشرات في الزحف والبحث عن شيء تأكله وهي تصرخ بشدة. فنظر إلى نيوشياولي الجالسة أمامه، فإذا بها تطالعه دون أن يبدو على وجهها أي تغيير أو تأثر لحالته، فاكتمفى بأن بصق تعبيراً عن غضبه، ثم واصل الجلوس في مكانه. بقيا في مكانهما حتى بدأ ضوء الصباح ينتشر تدريجياً، وتسلمت الشمس من النافذة. وبما أن ستارة باب الورشة كانت مغلقة، فقد ظن المارة أن فينغ جين خوا في راحة اليوم، وأنه لم يأت ليفتح الورشة، فلم ينادِ عليه أحد من الزبائن. وعند الظهيرة، زال شعوره بالجوع، وداهمه عطش شديد، قبل أن يتذكر أنه لم يشرب رشفة ماء منذ عصر أمس، ولم يفكر في الشرب لأن فمه كان لا يزال رطباً، أما الآن وما إن فكر في شرب الماء، حتى أحس بأن جميع خلايا جسمه بحاجة شديدة للماء، وبالرغم من أنه استطاع تحمل الشعور بالجوع ليلة أمس، إلا أنه الآن بدأ يعاني أضعاف ما كان عند شعوره بالجوع. وبعد الظهر، بدأ يشعر بأن هناك جيشاً من الحشرات العطشى ينهش في أعصابه وخلايا جسمه، ويجاهد ليمتص آخر نقطة ماء في جسده، وأحس بأنه مثل منشفة تم عصرها إلى آخر نقطة ماء، وأن شعر رأسه يحترق من شدة الجفاف، وأصبح جسده كحزمة حطب إذا لمسها عود ثقاب ستشتعل على الفور. ثم أخذ يتحسس شفتيه وقد غطتها البثور المتقيحة، ثم نظر إلى نيوشياولي، فإذا شفتاها قد تغطتا بالبثور، ولكنها ما تزال على عنادها تطالع فينغ جين خوا دون أن يبدو عليها شيء. ثم قال متتهداً:

- سأقول لك الحقيقة ولكن ليس لأنني لا أطيق الصبر، وإنما شفقة عليك.

- تكلم. قالت.

- نعم تجمعني بها علاقة.

- منذ متى؟ سألت.

- قبل خمسة أعوام. يرد.

فأحست نيوشياولي وكأن رأسها قد انفجر. ولم يكن الانفجار بسبب العلاقة التي تجمع بين فينغ جين خوا وتشيافين، وإنما بسبب المدة التي بدأت منها هذه العلاقة، فبينما كانت تعتقد أن الأمر حدث منذ فترة قريبة، لكن من كان يدري أن علاقتهما ترجع إلى خمس سنوات، فقبل خمس سنوات وعندما بدأت هي علاقتها به، كان أول ما جذبها إليه أخلاقه، لكن من كان يتخيل أنه كان يفعل مع تشافين تلك العلاقة في الوقت نفسه الذي بدأت علاقته بخطيبته شياولي، وهو ما يؤكد أيضاً أن فينغ كان يفعل مع تشافين تلك العلاقة في الوقت الذي كانت لا تزال متزوجة، هذا لأن طلاقها تم قبل ثلاث سنوات فقط، فقد كانت تفعل تلك العلاقة مع زوجها ومعه في الوقت نفسه، تَبَّاً لهذا العهر، هكذا راحت تسبهما في نفسها، قبل أن تسأله:

- تعرف أنها تكبرك بخمس سنوات، وأنت كنت تمارس معها تلك العلاقة وهي متزوجة، فما الذي يعجبك فيها؟

فكر قليلاً ثم قال:

- لأنها مثيرة أثناء العلاقة.

فبقيت نيوشياولي ذاهلة في مكانها، ومضت تفكر في تشيافين التي تبدو سيدة هادئة ورزينة طول النهار، مَنْ كان يتخيل أنها مثيرة بالليل، ثم تذكرت أن فينغ جين خوا هو أيضاً كان شديد الإثارة عندما كان يمارس هذه العلاقة معها، وهذا أحد الأسباب التي دفعتها للزواج منه، فهل تعلم هذه الإثارة من تشيافين؟ بل إن قدرتهما على الإثارة دليل على أن نيوشياولي لا تتمتع بالإثارة التي يقصدها، فقالت وعيناها تذرف:

- ولماذا لم تتزوجها طالما أعجبتك إثارتها، وما الذي دفعك لخطبتي؟

- لأنها كانت لا تزال متزوجة. يرد.

- لكنها مطلقة منذ ثلاث سنوات، فلماذا لم تتزوجا؟

- لأن معها طفلاً، وأنا أريد الاستمتاع بها فقط وليس الزواج؟

- الآن فهمت السبب في عدم اهتمامك بي مساءً ولم يمضِ على زواجنا سوى عام واحد فقط.

- هذان أمران مختلفان تمامًا. قال وهو يشير بيده نافيًا.

وفجأة تذكرت نيوشياولي أمرًا ما، فقالت:

- وأين كنتما تلتقيان لممارسة تلك العلاقة، وما الذي دفعكما للهروب

إلى مطعمي؟

فأخفض فينغ جين خوا رأسه ولم ينبس بكلمة. فأمسكت نيوشياولي بقطعة غيار دراجة نارية كانت ملقاة على الأرض، وألقت بها تجاهه. فتفادها فينغ جين خوا قبل أن يقول بصوت خفيض:

- هي التي قالت إن المكان هناك سيكون محفزًا.

وهذا إن دل فإنما يدل على الحقد والكره الذي تكنه تشيافين لنيوشياولي، بل ويبدو أن الأمر تجاوز تأثير مطعم "مأكولات شياولي" على تجارتها، فقد تكون تظن بأنها اختطفتم منها فينغ جين خوا. ثم فجأة تذكرت نيوشياولي أمرًا آخر، فقالت:

- هذا يعني أنكما تناقشتما في موضوع تأسيس مطعم مأكولات

تشافين؟

- لقد نصحتها ألا تفعل ذلك؛ لأن الأمر سيكون واضحًا، ولكنها لم تسمع نصيحتي. قال وهو يشير بيده نافيًا.

ثم تابع بصوت خفيض:

- فهي عنيدة في بعض الأحيان.

وإن كانت نيوشياولي تراها ليست عنيدة، وإنما شريرة. فنهضت شياولي وفتحت ستارة باب الورشة، فاندفع شعاع الشمس إلى الداخل، لدرجة تجعل المرء لا يستطيع أن يفتح عينيه من شدة الضوء. ثم قالت وهي تنظر إلى فينغ جين خوا:

- طلقني.

وتابعت:

- ولتعلم أنني لا أطلب الطلاق لأنك خنتني، وإنما لأنك خنتني مع مَنْ تكرهني.

واستأنفت:

- وليس لأنك خدعتني، وإنما لأنه لم يكن لك أن تخدعني قبل خمس سنوات، ولا يهمني إن كنت خدعتني قبل خمس سنوات، ولكن لأنك لا تزال تخدعني بعد زواجنا.

ثم خرجت مسرعة.

-4-

كان الموظف المسؤول عن إنهاء إجراءات الطلاق بالبلدة يدعى لاوقو. رجل فوق الأربعين، قصير القامة، أصلع، وهو نفسه الذي أنهى إجراءات زواجهما قبل عام مضى. وبعد افتتاح مطعم "مأكولات شياولي"، كان لاوقو يتردد يومياً في الظهيرة على المطعم لتناول حساء أمعاء الغنم. فسألهما لاوقو:

- وما السبب في طلب الطلاق؟

وقبل حضورهما إلى هنا لإنهاء إجراءات الطلاق، كان فينغ قد طلب منها عدم الإفصاح عن السبب الحقيقي، أي عدم نشر علاقته بتشيافين، فوافقته نيوشياولي على ذلك قائلة:

- ولكن ليس خوفاً عليكما من الفضيحة، ولكن خوفاً على نفسي، فأنا التي كنت عمياء عن حقيقتكما.

- صحيح. يقول.

ولكن أدرك على الفور أنه أخطأ في رده عليها، فلزم الصمت. وتابعت هي:

- طالما لا ترغب في الإفصاح عن السبب الحقيقي، فعليك أن تفكر في سبب آخر ترد به عند إنهاء إجراءات الطلاق.

فلم يجد فينغ جين خوا أمامه سوى الموافقة، فقال ردّاً على سؤال لاوقو:

- عدم التوافق العاطفي.

فقال لاقوو مقطباً:

- هذا ما أسمعه من جميع المترددين على المكتب للطلاق، وهو سبب مبهم، يصعب عليّ فهمه والحكم عليه.

فنظر فينغ إلى نيوشياولي ثم قال ردّاً على لاقوو:

- إنَّذا دعني أوضح لك، نشب بيننا شجار منذ عصر أمس حتى عصر اليوم، ولم يدخل جوفنا شيء طول الليل، حتى كدنا أن نموت من شدة الجوع والعطش، ولتَرَ هذه البثور حول فمينا.

فنظر لاقوو إلى شفتيهما، ثم قال وهو يهز رأسه بالتأكيد:

- سبب مقنع، فقد كاد أن يودي بحياتكما، ولكن هل اتفقتما على اقتسام ثروتكما؟

- تدير عائلتنا الصغيرة تجارتين، حيث أدير أنا ورشة لإصلاح الدراجات النارية، وتدير هي مطعمًا للمأكولات الشعبية، وقد اتفقتما في ما بيننا أن تعود الورشة وأرباحها لي، والمطعم بأرباحه لها. يقول فينغ جين خوا.

- لقد أحسنتما بالاتفاق على أن يدير كل منكما تجارته. قال لاقوو وهو يهز رأسه بالتأكيد.

ثم أخرج من درج مكتبه استمارتين من استثمارات طلب الطلاق، وفي اللحظة التي همّ أن يبدأ في تسجيل بعض البيانات، دق جرس المكتب، وبعد أن أنهى الاتصال، قال لاقوو:

- أرجو أن تنتظرا قليلاً، إنه المدير يطلبني في أمر ما.

وبعد خمس دقائق، عاد إليهما وقال:

- يجب تأجيل الطلاق إلى وقت آخر.

فقالت نيوشياولي باستعجال:

- لماذا؟

- لأن هناك شيئاً آخر يربط بينكما. رد لوقو.

- وما ذلك الشيء الذي يمكن أن أخفيه. قال فينغ جين خوا.

- ليس أنت، إنما هي. يرد لوقو.

ثم أشار إلى نيوشياولي، فأصابها هي وفينغ جين خوا الذهول، قبل أن يتابع فينغ:

- ماذا بها؟

عندئذٍ دخل المكتب رجلان وامرأة، أما الرجل الأول فكان شياوليو أحد أفراد مركز شرطة البلدة، في حين لم يكن أحد منهما يعرف الرجل والمرأة اللذين دخلا برفقة شياوليو. وما إن رأى ثلاثتهم نيوشياولي، حتى أخذ ثلاثتهم نفساً عميقاً، قبل أن يقول شياوليو:

- بحثنا عنكما كثيراً، وعندما وجدنا المطعم والورشة مغلقين، ظننا أنكما هربتما.

ومشيراً إلى الرجل والمرأة الغريبين، قال شياوليو لنيوشياولي:

- إنهما من مكتب الأمن العام بعاصمة مقاطعة xx، جاء للبحث عنك.

وكان الرجل والمرأة في غاية اللطف، فقالت المرأة وهي تتفحص نيوشياولي:

- نعم إنها هي، نفس المرأة التي ظهرت في الفيديو.

ثم أضاف الرجل الغريب وهو يتفحص أيضًا نيوشياولي:

- نعم إنها تبدو مثل الأجنيات.

ثم أظهرت المرأة بطاقتها الشرطة لنيوشياولي قائلة:

- يبدو أنك ستخرجين معنا الآن.

- لماذا؟ قالت نيوشياولي مذعورة.

- وهل نسيت ما فعلت بعاصمة مقاطعة xx؟ قال الرجل.

فبدأ من لهجة الرجل أن الأمر جد خطير. وبالرغم من أنهما يقومان بإنهاء إجراءات الطلاق، إلا أن فينغ جين خوا قال مدافعًا عن نيوشياولي:

- يبدو أن هناك خطأ ما، فلم يسبق لها أن زارت هذه المدينة.

فقال الرجل بابتسامة ساخرة:

- دعها تقول بنفسها إذا كانت زارتها أم لا.

- لا داعي للإنكار، فقد تم القبض على سوشوانغ. أضافت المرأة.

فابيض وجهها من الخوف، وقالت في محاولة منها لمنع الرجل والمرأة في مواصلة الضغط عليها:

- سأخرج معكما.

ثم استدارت تسأل لاقو:

- هل تم الطلاق بيني وبين فينغ جين خوا يا لاقو؟

- لا لم تنته من الإجراءات بعد. رد لاقو وهو يقلب يديه مستغربًا.

- تقصد أننا لا نزال زوجين؟ سألت.

ثم أدارت رأسها وقالت للمرأة الغريبة:

- هل بإمكانني الحديث إلى زوجي قبل الخروج معكما؟

فنظرت المرأة إلى رفيقها، فراح يتفحص نافذة الغرفة، وما إن وقعت عينه على السور الحديدي أمام النافذة حتى هز رأسه بالموافقة. فخرج الرجل والمرأة وشياوليو ولاوقو خارج الغرفة، وتركا نيوشياولي وفينغ جين خوا بمفردهما. فقال فينغ متلعثمًا وقد أصابه الدهول الشديد:

- متى سافرت إلى عاصمة مقاطعة ××؟ وكيف لم أعرف بذلك، وماذا فعلت هناك؟

- لا مجال لهذه الأسئلة الآن، ولي عندك رجاء.

- ما هو؟ سأل في ذهول.

- بعد خروجي معهما، أرجو منك باسم زواجنا الذي استمر لمدة عام، هل بإمكانك مساعدتي في نقل رسالة ما؟

- وما هي؟

فاحتضنته نيوشياولي، وقربت فمها إلى فمه تقبله، ووسط ذهول فينغ جين خوا مما يحدث، اكتشف أنها أخرجت من جيبها شيئًا ما ودسته في يده. فأحس فينغ أنها بطاقة بنكية. ويبدو أنه فهم من ذلك شيئًا ما، وفي عجلة دس البطاقة في جيبه. ثم أحس بأن شفثيه تؤلمانه، فنظر إلى نيوشياولي، فإذا بالدم يسيل من شفثيها، قبل أن يحس بالدم يسيل من شفثيه أيضًا، ففهم فجأة أن هذا بسبب أن البثور التي كانت تغطي شفثيهما منذ أمس قد انفتحت. ثم قربت نيوشياولي شفثيها الداميتين إلى أذنه وقالت همسًا:

- هذه البطاقة بها تسعون ألف يوان إجمالي أرباح المطعم خلال

العام المنصرم، وقد كنت أخطط مؤخرًا لافتتاح مطعم جديد عند الباب الخلفي لمصنع الملابس لمنافسة تشيافين، لكن يبدو أن الأمر مستحيل الآن.

- أرجو أن تساعدني في توصيل هذا المبلغ لأخي بقرية نيوجيا جوانغ. أما الرقم السري للبطاقة فهو تاريخ ميلاد بانجيو. على أن يخصص منه عشرين ألف يوان لبانجيو لتكمل دراستها، ويتزوج بالمبلغ المتبقي. تابعت.

سافرت نيوشياولي إلى عاصمة مقاطعة ×× في حراسة الشرطيين الغربيين. وخلال رحلتها إلى البلدية ثم من البلدية إلى المدينة بالحافلة، أو خلال استقلال التاكسي برفقة الشرطيين من محطة الحافلات إلى محطة القطار، إلى سماع صافرة القطار في المحطة، أعادتها هذه الذكريات إلى ما حدث معها قبل عام مضى. وذلك عندما سافرت من مسقط رأسها إلى مقاطعة ×× للبحث عن سونغ تساي شيا، وهو نفس المسار الذي قطعه مع جوجيوخوا والقرد الصغير. كانت نفس الرحلة، مرت بنفس المناظر، سمعت نفس الأصوات، لكن تغيرت الأشخاص، من جوجيوخوا والقرد الصغير إلى هذين الشرطيين. مما جعلها تشعر بأن الرحلة التي قطعتها قبل عام كامل وكأنها كانت بالأمس القريب، ومن جانب آخر شعرت بأنه مر عليها سنوات طويلة بسبب كثرة الأحداث التي مرت بها خلال العام المنصرم. وعند الانتظار في محطة القطار، اصطحبها الشرطيان إلى أكشاك الطعام في الجهة الجنوبية من المحطة لتناول حساء لحم الغنم والفطائر. وكان هو نفس المكان الذي قصدته مع جوجيوخوا والقرد الصغير العام الماضي، في حين أنهم لم يطلبوا الفطائر آنذاك، واكتفوا بالحساء مع الخبز الذي كانت تحمله جوجيوخوا. بل ورأت نفس صاحب المحل الذي اشترت منه العام الماضي، رجل بدين يرتدي قبعة بيضاء ويطلق شاربه. كما لاحظت أن سعر الحساء قد زاد خلال هذه الفترة، ليرتفع من ثلاثة يوانات العام الماضي إلى أربعة يوانات للسلطانية الواحدة. وبينما هي تنشغل بتناول الحساء، رفعت رأسها لترى في الجهة المقابلة لافتة من لافتات عيد الربيع أمام باب أحد مطاعم الدجاج المحمر مكتوبًا عليها: تجارتنا رائجة على مستوى البلاد، تجارة تربحك الذهب، وبما أنهم الآن في الشهر السابع من السنة

القمرية، فإنه يكون قد مر على اللافتة سبعة أشهر حتى بليت وفقدت ألوانها، وقد سقط جزء كبير منها، وبقي يرفرف بفعل الرياح. وفجأة تذكرت نيوشياولي أمراً ما، أنها تعلق نفس اللافتة على باب مطعمها بمسقط رأسها، وأنه حتى الأمس كان المطعم يعج بالزبائن، قبل أن يغلق أبوابه اليوم، فيبدو أن كل شيء تغير بين الأمس واليوم، عندئذٍ لم تتمالك نفسها وانسابت دموعها.

وفي غرفة الاستجواب بمكتب الأمن العام بمدينة xx عاصمة مقاطعة xx، استجوبتها شرطية أخرى غير تلك التي رافقتها من مسقط رأسها إلى هذه المقاطعة، فبينما كانت الشرطية التي رافقتها إلى هنا سيدة في الثلاثينيات من عمرها، كانت هذه الشرطية سيدة فوق الأربعين. وقبل بدء الاستجواب، طلبت منها الشرطية مشاهدة عدد من مقاطع الفيديو. وكانت نيوشياولي التي ظهرت في هذه المقاطع تمارس العلاقة مع رجال مختلفين، كانت هي وجميع الرجال الذين ظهرت معهم عراة كما ولدتهم أمهاتهم، وكان بين هؤلاء الرجال الطويل والقصير، السمين والنحيل، ومن قضى وقتاً طويلاً في ممارسة العلاقة معها، ومن قضى وقتاً أقصر، وكذلك ممارسة العلاقة في مواضع وبحركات ومقدمات مختلفة. وبعد مشاهدة جميع المقاطع، أوقفت الشرطية الصورة على لقطة محددة وقالت لنيوشياولي:

- هل هذه أنتِ يا نيوشياولي؟

فراحت نيوشياولي تنظر إلى الشرطية دون أن تنبس بكلمة.

- كان اسمك آنذاك سونغ تساي شيا، أليس كذلك؟ تابعت الشرطية.

فاكتفت نيوشياولي بالنظر إلى الشرطية دون أن تنبس بكلمة.

- وهل تعرفين هؤلاء الرجال الذين ظهروا معكِ في هذه المقاطع؟

التزمت نيوشياولي الصمت.

- وهل كنتِ تعلمين مسبقاً بالهدف من تسجيل هذه المقاطع؟

ولكنها لا تزال تلتزم الصمت. فأشارت الشرطة إلى الحاسب وقالت وهي تضرب على الطاولة:

- لا فائدة من الإنكار، فأمامي المجرم وأداة الجريمة.

عندئذٍ سألتها نيوشياولي:

- مَنْ الذي قام بتصوير هذه المقاطع؟

فذهلت الشرطة وقال غاضبة:

- مَنْ يسأل مَنْ هنا؟

فتابعت نيوشياولي ووجهت إليها نفس السؤال:

- مَنْ الذي قام بتصوير هذه المقاطع؟

- أجيبني عن سؤالي أولاً. قالت الشرطة.

فقال نيوشياولي بعناد:

- لن تحصلني مني على شيء قبل أن تجيبني عن سؤالي.

فنظرت إليها الشرطة طويلاً قبل أن تقول:

- حسناً سأخبرك، إنه رجل يدعى فو صاحب شركة تطوير عقاري.

فكرت نيوشياولي قليلاً، فتذكرت ذلك الرجل. تذكرت أنها قابلته في اليوم الأول من وصولها إلى هذه المدينة برفقة سوشوانغ، وذلك في إحدى غرف مطعم لتناول اللحوم على ضفة النيل، وكان رجلاً في منتصف العمر، صاحب وجه حمار، أصلع، قدمته لها سوشوانغ على أنه صاحب مصنع ملابس، قبل أن تخبرها بعد ذلك أنه يمتلك شركة تطوير عقاري، وهو رجل ثري قام بتشييد العديد من المباني في هذه المدينة،

ثم ما كان بعدها من المبلغ الذي عرضه المدير فو، وما طلبته منها سوشوانغ من التظاهر بأنها بكر، وما تلى ذلك من ممارستها العلاقة مع عدد من الرجال، وسؤالها عن هوية هؤلاء الرجال، وجواب سوشوانغ عن سؤالها بأنهم أكثر من المدير فو مألًا ونفوذًا. وموافقتها بأنها ستقبل بممارسة العلاقة عشر مرات فقط، ثم ما حدث بعد ذلك من طلبها مرتين إضافيتين، وقد كانت نيوشياولي تظن آنذاك أنها بمجرد حصولها على مبلغ مئة وعشرين ألف يوان ستسافر بعيداً حيث مسقط رأسها، ولن تلتقي بسوشوانغ وفو ثانية مدى الحياة، وهذا ما قالته لها سوشوانغ أيضاً، ولكن مَنْ كان يتوقع أن فو كان يضع في الغرفة التي كانت تمارس فيها العلاقة مع هؤلاء الرجال كاميرات فيديو لتصوير ما يجري بالغرفة؟ ولا تزال نيوشياولي تذكر أن تلك الغرفة كانت بإحدى الدور الرباعية التي تحمل رقم "ب 18"، والتي كانت تقع بدورها في إحدى ضواحي عاصمة المقاطعة. وأنها لم تكن تقبل بممارسة تلك العلاقة مع هؤلاء إذا كانت تعلم أن هناك مَنْ سيقوم بتصويرها في هذا الوضع، حتى لو كلفها ذلك حياتها. كما تذكر تلك الفتاتين اللتين قابلتهما في المطعم، وكانت إحدهن تدعى وانغ جينغ خونغ، والثانية لي باي تشين، وما حدث من قيامهما بالسخرية من ذلك الرجل الذي يدعى فو ومن وجهه الطويل وصلعته، وقد حاول فو أن يرد عليهما، إلا أنه قبل أن ينطق بكلمة واحدة، عاجلته بجولة جديدة من السخرية، فوجد نفسه غير قادر على الدفاع عن نفسه أو مجاراتهما. وقد كان الرجل يبدو آنذاك لطيفاً وذا مزاج جيد، ولكن مَنْ كان يدري أنه يضمركل هذا الشر والأذى للآخرين، وأنه سيقوم بتصويرها دون علمها؟ فكيف تفعل إذا ذاع أمر هذه المقاطع؟ فقالت:

- وما الذي دفعه إلى تصويري؟

- لم يفعل ذلك لأجلك أنتِ. قالت الشرطة.

- فلماذا إذاً؟ قالت.

- لتهديد هؤلاء الرجال الذين ظهروا في هذه المقاطع.

- ولماذا يهددهم؟

- لأنهم من أصحاب المال والنفوذ، وتربطه بهم علاقات عمل، ويخشى أن يتخلوا عنه.

عندئذٍ فهمت نيوشياولي غرض المدير فو من تصوير هذه المقاطع، ولكنها لم تكن تعلم شيئاً عن خطته في تهديد هؤلاء الرجال من عدمه، وقد وصل الأمر الآن إلى تهديدها هي. فقالت وهي لا تعرف أتضحك أم تبكي:

- يهددهم أو يهددونه هذا أمر خاص بهم، فلماذا تم القبض عليّ؟

ف نظرت الشرطية إلى نيوشياولي، وقالت بابتسامة ساخرة:

- الأمر ليس بهذه البساطة.

- ماذا تقصدين؟ سألت نيوشياولي.

فردت الشرطية:

- طالما أن التصوير تم بغرض التهديد، فما هي جريمة التهديد؟ إنها الابتزاز، وبمشاركتك في هذه المقاطع المشينة تكونين شريكة في الجريمة، وقد وقعت في جريمة الابتزاز.

فقالت نيوشياولي بعد أن تذكرت وانغ جينغ خونغ وباي تشين:

- لقد كان لديه نساء غيري يمارسن نفس العلاقة، فهل يعني ذلك أنهن ارتكبن جريمة الابتزاز؟

فهزت الشرطية رأسها نافية:

- إنهن يمارسن البغاء فحسب، وهذا مخالف للقانون ولا يعد جريمة.

- لماذا؟

- لأنه لم يتم بتصويرهن؟

فقال نيوشياولي وهي تشعر بالظلم:

- ولماذا خصني أنا بالتصوير؟

- لأنك كنتِ تمارسين تلك العلاقة مع كبار المسؤولين، بل وكان من بينهم محافظ إحدى المقاطعات.

فذهلت نياشياولي، فكانت فقط تعرف أنها مارست تلك العلاقة مع عدد من الرجال، وكان بينهم الطويل والقصير، السمين والنحيل، ومن قضى وقتاً طويلاً في ممارسة العلاقة معها، ومن قضى وقتاً أقصر، وكذلك ممارسة العلاقة في مواضع وبحركات ومقدمات مختلفة، وكانت تعرف أنهم من أصحاب المال والنفوذ، ولكن مَنْ كان يتخيل أن يكون من بينهم محافظ لإحدى المقاطعات؟

وتابعت الشرطية:

- وفضلاً عن المحافظ، كان من بينهم اثنان من رؤساء المدن، وعدد من مدراء البنوك، ومدير أحد مكاتب الطرق والجسور بإحدى البلديات، وهم يخضعون الآن للتحقيق، ويمكن أن يتم تخفيف عقوبتك إذا تعاونت معنا خلال التحقيقات.

فقال نيوشياولي وقد ازدادت حيرتها:

- لماذا يتعمد إلحاق الضرر بي ويقدمني لممارسة العلاقة مع هؤلاء المسؤولين ولم يكن بيني وبينه أي عداوة؟

عندئذٍ ابتسمت الشرطة قائلة:

- ربما يكون لأنك أجمل من الأخريات، ولأنك تبدين كالأجنبيات.

فتسمرت نيوشياولي في مكانها مذهولة. ثم تابعت الشرطة استجوابها قائلة:

- والآن هل ستتعاونين معنا؟

- ولكن لدي سؤال آخر. قالت نيوشياولي.

- ما هو؟

- كيف وصلتكم إليّ وقد كان اسمي هنا العام الماضي سونغ تساي شيا؟

- وأين كنتِ تقيمين هنا العام الماضي؟

- في الفندق.

- مع مَنْ؟

- مع سوشوانغ.

- وماذا يتطلب التسجيل للإقامة بالفندق؟ سألت الشرطة.

عندئذٍ فهمت نيوشياولي أن هويتها هي التي أضرتها. بالإضافة إلى أنه تم القبض على سوشوانغ. فتابعت الشرطة استجوابها:

- اعترفت سوشوانغ أنها كانت تطلب منك في كل مرة الادعاء بأنك

بكر، فهل هذا حقيقي؟

فلم تجد نيوشياولي بداً إلا أن هزت رأسها بالإيجاب. بينما تابعت

الشرطية:

- وهل أنتِ بكر؟

فهزت هذه المرة رأسها بالنفي. فقالت الشرطية:

- بإمكاننا أن نقول وبكل دقة إن هذا تزوير.

ثم أدارت الشرطية الحاسب، ونقرت نقرات سريعة على لوحة المفاتيح، قبل أن تدير الجهاز ثانية، لتجعل الشاشة في مواجهة نيوشياولي. ليظهر أمامها صورة رجل خمسيني، ذي بشرة صافية وشعر مصفف بعناية، يضع نظارة ذهبية الإطار. فعرفته نيوشياولي على الفور، لقد كان أول زبون استقبلته في البناية ”ب 18“. فقالت الشرطية وهي تشير إلى صاحب الصورة:

- ماذا قال لكِ آنذاك؟

كل ما تذكره أن كل الكلام الذي تم بينها وبين هذا الرجل كان فوق السرير. وقد مر عام على ذلك الحوار الذي دار بينهما، فقط تتذكر أن كل ما قالت له كان كذبًا، في حين أنها نسيت كل ما قاله هو لها. وفجأة وبعد تفكير طويل تذكرت كلمة من الحوار فقالت:

- حبيبتي.

فتسمرت الشرطية في مكانها مذهولة.

ملحق 1

وفي مطلع سبتمبر من العام نفسه، تصدر خبر سقوط سيدة واثني عشر مسؤولاً من مقاطعتي ×× و ×× المواقع الإلكترونية على مستوى البلاد. ونشرت المواقع أن هؤلاء المسؤولين مارسوا العلاقة مع نفس السيدة التي تدعى سونغ تساي شيا، واسمها الحقيقي نيوشياولي، وقد أطلقت على نفسها خلال العلاقة التي جمعتها بهؤلاء المسؤولين اسم سونغ تساي شيا، حتى عرفها الجميع باسم سونغ تساي شيا، ونسوا اسمها الحقيقي. كما تسببت العلاقة التي جمعتها بلي آن بانغ محافظ مقاطعة ×× إلى انتشار الخبر بشكل هز الصين قاطبة بشكل يفوق انفجار قنبلة نووية، لينتشر اسم ”سونغ تساي شيا“ في المواقع الإلكترونية كانتشار النار في الهشيم، حتى غطت أخبارها على خبر قمة قادة مجموعة العشرين المنعقدة ببكين.

وقد تخطى عدد التعليقات على تلك الأخبار حاجز المليون تعليق. والتي كان جزء كبير منها يسب تلك العاهرة، ويسب هؤلاء المسؤولين الفاسدين وهذا المجتمع الفاسد، وما يمتدح شخصية سونغ تساي شيا. وكانت هذه القصيدة بعنوان ”أنشودة تساي شيا“ أكثر الكلمات التي انتشرت في مدحها:

أنشودة تساي شيا
من فوق السرير
إلى أحضان الربيع
ثم إلى أحضان الفاسدين
لتفكي أزرار قميصك
وتطعمي هؤلاء العبيد
بجمالِك ملكِ عقلِ المحافظ
هيا نتغنى بتساي شيا
ونقتلع جذور الفساد
فكم يعز علينا فراق تساي شيا
موهبة لن وجود بمثلها الزمان
كما انتشرت هذه الكلمات على تطبيق ويشات:

في مديح القديسة

البكر التي ضاجعها اثني عشر مسؤولاً، على ملاءة واحدة كشفت أكبر قضايا الفساد، تسببت في سقوط الفاسدين الأثرياء، مقابل حصولها على أجرتها فقط، دخلت عرين الأسود، ولم تكن العميل رقم 7 ولا غيره، وإنما مجرد مناضلة يدعمها عشرات الملايين من المؤيدين أمثالنا.

إنها القديسة سونغ تساي شيا.

وهناك من اعتمد طريقة البرمجة الخطية لتوضيح العلاقة بين سقوط هؤلاء الفاسدين وترتيب لقاءاتهم بسونغ تساي شيا، وتوصل إلى نتيجة مفادها أن الفضل في الكشف عن هذه القضايا التي هزت البلاد يعود أولاً إلى سونغ تساي شيا، ثم لحمولة المفرقات النارية التي كانت تحملها الشاحنة التي انفجرت فوق جسر قوس قزح الثالث بمدينة xx بمقاطعة xx. فكيف كانت المفرقات النارية ستنفجر فوق جسر قوس قزح إذا لم تكن ذات جودة رديئة؟ وكيف كانت ستنكشف كل هذه الحقائق إذا لم تنفجر الشاحنة؟ فقد تسببت المفرقات النارية المغشوشة في سقوط "ملك الابتسامة" مدير هيئة الطرق البلدية، فيما قاد سقوط "ملك الابتسامة" إلى الكشف عن وسقوط لي آن بانغ، وإن كان من المعروف أن سقوط كبار المسؤولين يقود الجهات المعنية إلى الكشف عن صغارهم، عكس ما حدث هذه المرة من تسبب سقوط مسؤول صغير في الكشف عن آخر كبير، كذلك ما يتعلق بسقوط هؤلاء الذين تربط بينهم علاقات عمل، عكس ما حدث هذه المرة بين أشخاص غريباء، فقد قاد انفجار المفرقات النارية المغشوشة إلى انفجار أحداث لم يكن بينها ثمة علاقة. كما اهتم البعض بالبحث عن المصنع الذي قام بتصنيع تلك المفرقات النارية، وتوصلوا من خلال البحث إلى

”شركة تصنيع المفرقات النارية المتنوعة المحدودة“ بقرية ×× بلدية ×× بمقاطعة ××. فيما قام العديد من رواد الإنترنت بمتابعة الشركة والتعبير عن تقديرهم لها وتسجيل تعليقاتهم على منتجاتها، فيما كان أكثر تعليق سجله هؤلاء على موقع الشركة هو ”رائعة“.

إلا أن جميع هذه الأخبار والتعليقات حول الشركة ومنتجاتها تم حجبها في اليوم التالي. وإذا لم يتم حجبها لمل الناس من متابعتها، لكن الحجب تسبب في الوقت نفسه في أن يبدأ رواد مواقع التواصل الاجتماعي في تداولها في ما بينهم من خلال دائرة الأصدقاء في تطبيق ويشات.

ملحق 2

وفي اليوم الثاني من انتشار الأخبار حول سونغ تساي شيا، تحدث رجل الأعمال الصيني الهارب إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاشتباه في علاقته بجرائم لي آن بانغ جاو بينغ فان في مقابلة له مع محطة تلفزيونية أمريكية، حول حقيقة القضية من وجهة نظره. فقال إن إلقاء القبض على لي آن بانغ لم يكن بسبب تهمة الاختلاس والفساد الموجهة له فحسب، وإنما الأهم من ذلك أن الرجل كان ضحية لصراع سياسي، فالمقاطعة التي كان يشغل منصب المحافظ بها، كانت إحدى القواعد الرئيسة لـ ××× المعزول مؤخرًا، كما أن حصول لي آن بانغ على منصب المحافظ كان بتوصية من ××× نفسه، ليصبح لي آن بانغ أحد رجال ×××. وتعود وقائع هذه القضية إلى أنه قبل تولي لي آن بانغ منصب المحافظ، لم يكن بينه وبين ××× أي معرفة، وقد تم التعارف بينهما عقب توليه منصب المحافظ منذ نحو عام تقريبًا، لتقع حادثة سونغ تساي شيا خلال الصراع الذي نشب بينهما، ليتم القبض على لي آن بانغ بتهمة الاختلاس والفساد. كما أضاف جاو بينغ فان، أنه إذا تحدثنا عن الفساد، فإن الفساد متجذر في الصين، فهل من تم القبض عليهم هم الفاسدون، والبقية من أصحاب الأيدي النظيفة؟ تم تطرق إلى الحديث عن تجربته في مجال العقارات في الصين على مدار ما يزيد على ثلاثين عامًا، وعن العلاقات المتعددة التي كانت تربطه بكبار المسؤولين في بكين والمدن المختلفة على مستوى البلاد، كما أشار خلال حوارهِ إلى العديد من الأسماء التي كانت تربطه بها علاقات متعددة، والذين كان من بينهم أسماء لا تزال تتبوأ مناصب كبيرة، كما تطرق إلى ظواهر التواطؤ والتلاعب والتهديد بين التجار في الصين، ضاربًا المثل على ذلك بأحد كبار رجال الأعمال الذي كان يتمتع بشهرة

كبيرة العام قبل الماضي، والذي تمكن من خلال استغلال أجهزة الدولة من الاستيلاء على مبلغ عشرة مليارات يوان منه، في الوقت الذي تشهد فيه تجارته حاليًا رواجًا كبيرًا، حتى إنه تمكن الشهر الماضي من شراء عدد من المؤسسات الأوربية... واختارت هذه المحطة التلفزيونية بث اللقاء خلال وقت الذروة ولمدة ساعتين كاملتين من الثامنة إلى العاشرة مساءً. وتناقشته العديد من المواقع الإخبارية للصينيين المغتربين في الولايات المتحدة، وتابعه عدد كبير من أبناء الجالية الصينية بالولايات المتحدة. فيما تنوعت تعليقات رواد الإنترنت على الحلقة، فكتب أحد المعلقين أنه مجرد فاسد يتحدث عن فاسد آخر، وكلب ينهش في كلب، فيما ذكر آخر أن مصداقية هذا الحوار تعود في الأساس إلى كون المتحدث فاسدًا يتحدث عن فاسد، وذكر ثالث أن استغلال جاو بينغ فان لانتشار الأخبار حول سونغ تساي شيا، ليس مجرد مسرحية هزلية، أو أنه يريد أن ينتصر للي آن بانغ وغيرها من هذه الأسباب البسيطة، وإنما السبب الرئيس الذي دفعه إلى ذلك السعي إلى حماية نفسه، فبالنظر إلى العلاقة التي كانت تربطه بلي آن بانغ، والأدلة التي يمتلكها حول العديد من المسؤولين في الصين، فإن ذلك يمثل خطرًا كبيرًا على حياته، وأن ظهوره الآن دليل على أنه لا يزال على قيد الحياة، وأن اختفائه في ما بعد سيكون موضع اهتمام من قبل الكثيرين، وأنه إذا لم يحسن استغلال هذا الظرف الآن، فربما لن ينتبه أحد لاختفائه مستقبلاً، فيما سجل أحد رواد المواقع الإلكترونية تعليقًا أشار فيه إلى أن هذا الظهور لأحد أباطرة العقارات خلال الفترة الماضية، لا يخلو من الكوميديا.

كما وصلت الحلقة إلى الصين من خلال تطبيق ويشات. إلا أنها لم تحدث أي صدى على مستوى البلاد. أولاً: بسبب الرقابة وحذف المحتوى بعد نحو خمس دقائق فقط من ظهوره على التطبيق، ثانيًا:

قيام أحد مصوري المشاهير بنشر فضيحة لإحدى النجمات السينمائية في الصين، وبالرغم من الفضائح المعتادة للمشاهير، إلا أن فضيحة هذه النجمة كانت مع أحد المتحولين التايلانديين، ليتصدر خبر هذه النجمة المواقع الإلكترونية. ليضيع كل ما خطط له جاو بينغ فان في مهب الريح.

الجزء الثاني
تقديم: أن تعرف الجميع

ومرّ عام.

الجزء الثالث

محال غسل القدمين

-1-

وقبل الاحتفال بعيد العمال في الأول من مايو، ترقى ماجونغ تشنغ ليشغل منصب نائب مدير مكتب حماية البيئة بمدينة xx. وما إن علم ماجونغ تشنغ بهذا الخبر المفاجئ حتى أصيب بارتفاع ضغط الدم. إذ كان يتقلد قبل ذلك رئيس أحد الأقسام من بين أحد عشر قسمًا بمكتب حماية البيئة بالمدينة، فكان هناك أحد عشر شخصًا على نفس درجته الوظيفية، حتى إنه عندما حسب إمكانية حصوله على هذا المنصب وفق ترتيبه بين زملائه، توصل إلى أنه لن يحظى بهذا المنصب حتى بلوغه سن التقاعد. إذ كان إنسانًا مسالمًا، راضيًا بالعيش يومًا بيوم دون أن يقلقه التفكير في الغد، منتظرًا ما تبقى له من سنوات معدودة حتى بلوغه سن التقاعد.

وبمجرد توفر مقعد منصب نائب رئيس الهيئة عند بلوغ أحد النواب سن التقاعد مطلع العام الجاري، اجتاحت الهيئة حالة من الغليان. فبدأ تبادل الاتهامات وتقديم البلاغات بين نحو عشرة من رؤساء الأقسام بالهيئة، والتي جاءت موقعة بأسماء أصحابها، حتى أصبحت الهيئة منذ مطلع العام هدفًا رئيسًا للجنة الانضباط. فبمجرد الانتهاء من التحقيق في أمر أحدهم، وقبل البت في علاقته بموضوع الاتهام، يصل اللجنة اتهام جديد يستوجب التحقيق وزيارة الهيئة. وبما أن الجميع كانوا مدانين بشكل أو بآخر، فقد طالهم التحقيق بغض النظر عن تقديم بلاغات، إلا أن ماجونغ تشنغ كان الوحيد الذي لم يتقدم ببلاغ ضد أحد، وبالتالي لم تشمله بلاغات زملائه بالهيئة، فلم يكن أحد يتخيل أن يكون ماجونغ تشنغ طرفًا في هذه المنافسة على المنصب الشاغر. وبالرغم من أنه كان بعيدًا كل البعد

عن حالة الغليان التي اجتاحت الهيئة، إلا أنه كان الراح الوحيد من هذه المعركة، فصدق من قال مصائب قوم عند قوم فوائد. وعندما استدعاه رئيس الهيئة لإعلامه بالخبر، لم ينطق بكلمة. ولم يكن صمته لأنه لا يجد ما يقوله، وإنما لأن الخبر جاءه فجأة، الأمر الذي أصابه بارتفاع ضغط الدم، ولم يجد ما يرد به على رئيس الهيئة. وما إن غادر الهيئة عائداً إلى بيته، حتى قال لزوجته وهو يلوح بيده متعجباً:

- ما هي مؤهلاتي لتولي هذا المنصب؟

- ليس لديك ما يؤهلك له، وبالتالي عليك شكر من يمتلك المؤهلات المناسبة. قالت الزوجة.

- صدق من قال "مصائب قوم عند قوم فوائد" أليس كذلك؟ وليس هناك ما يدعو للزهو. تابعت.

فلزم ما جونج تشنغ الصمت من جديد، في حين عاد ضغطه المرتفع إلى مستواه الطبيعي. ولكن الترقية على أي حال ليست أمراً سيئاً، فقد فرح بها جميع أفراد أسرته. فاقترح ابنه الذي يدرس في المرحلة الثانوية، ضرورة أن تحتفل الأسرة بالحدثين السعيدين الترقية وإجازة عيد العمال. ولكن كيف يكون الاحتفال؟ فجاء اقتراح ابنته التي تدرس في المرحلة المتوسطة بأن تخرج الأسرة في رحلة سياحية خلال أسبوع إجازة عيد العمال. ولكن إلى أين تكون الرحلة؟ وبعد مناقشة الأمر بينهم، وجدوا أنفسهم أمام ثلاثة خيارات: الأول: السفر إلى سنغافورة وماليزيا وتايلاند، الثاني: زيارة المواقع السياحية داخل الصين، والثالث: سهرة عشاء وتناول أسماك الشبوط من النهر الأصفر على متن إحدى البواخر على ضفاف النهر الأصفر الذي يقع على مسافة خمسة عشر كيلومتراً من سكنهم.

وفي حين رأت زوجته الاحتفال بتناول الشبوط على متن إحدى البواخر على ضفاف النهر الأصفر القريب من سكنهم، لما في ذلك من توفير للوقت والجهد، رأت ابنته في ذلك أمراً مبتذلاً، الأمر الذي اضطر زوجته لتغيير رأيها، ولكن حتى إذا كان الاحتفال بسهرة عشاء على ضفاف النهر الأصفر أمراً مبتذلاً، فلا يمكن التفكير في السفر إلى سنغافورة وماليزيا وتايلاند في رحلة تصل تكلفة الفرد الواحد بها إلى ما يزيد على سبعة آلاف يوان، بمجموع يزيد على ثلاثين ألف يوان لكامل العائلة، وهو مبلغ كبير جداً. وبما أن أنهم زاروا على حدة جبل تايشان، جبل خواشان، خندق جيوجاي وتشنغده وغيرها من الأماكن داخل الصين، فاقترح ابنه أن يقوموا بزيارة ”تمثال آلهة البحار“، وهو مزار سياحي تم إطلاقه العام الماضي بمقاطعة xx بجنوب البلاد، لمحاكاة ”تمثال الحرية“ الأمريكي، وهو عبارة عن تمثال على شاطئ البحر يحمل بيده شعلة، كما تم تقديم العديد من المميزات والتسهيلات لقاصديه، ليصبح ضمن أكثر المناطق السياحية جذباً للزوار. فقررت العائلة السفر لزيارة ”تمثال آلهة البحار“.

-2-

وصلت عائلة ما جونغ تشنغ إلى ”تمثال آلهة البحار“. وفي اليوم الأول، استمتعوا بمشاهدة تمثال آلهة البحار، والبحر والسباحة، ولما كانت زوجته لا تجيد السباحة، فقد اكتفت بمشاهدتهم من مكانها على الشاطئ. وفي اليوم الثاني، زاروا الحديقة الدولية، متحف الأحياء البحرية، والملاهي، حيث ركبوا قطار الملاهي وأنبوب التزلق على المياه، ولما كان ما جونغ تشنغ يعاني من ارتفاع ضغط الدم، فلم يكن يجرؤ على ركوب قطار الملاهي السريع، إلا أنه اضطر لذلك تحت تشجيع ابنته بالإضافة إلى أنهم اشترتوا تذكرة عائلية. ومن كان يدري أنه ركب معهم القطار دون أن يشعر بأي شيء، ليقول متعجبًا:

- يا للغرابة.

وعند الظهر، ذهبت العائلة إلى مطعم للروبيان بأحد الشوارع على الشاطئ. وبينما هم منشغلون بتقشير الروبيان، قالت زوجة ما جونغ تشنغ: لم أجد ”تمثال آلهة البحار“ جميلًا كما قدموه لنا، بل وأرى أنه تم نحته بصورة مبتذلة، ليرد عليها ما جونغ تشنغ بأن التمثال فعلاً مبتذل، ولكن يبقى أن هناك خصمًا على المزارات كافة في البرنامج. في الوقت الذي كان ابنه وبنته يستمتعان بتناول الروبيان ويخططان لبرنامج الرحلة خلال الأيام القادمة بما في ذلك: الحمامات الدافئة، الترحلق على العشب، الترحلق على الرمال، ركوب المنطاد، الغطس، الاستمتاع بمشاهدة الدلفين وغيرها من الترتيبات، حتى احتدم النقاش بينهما... عندئذٍ رن هاتف ما جونغ تشنغ رنة قصيرة، فإذا بها رسالة ويشات من أحدهم. وما إن نظر

ما في الرسالة حتى بقي في مكانه مذهباً: إنها رسالة من رئيس الهيئة يدعوه للعودة إلى الهيئة لاستلام وريثته في أقرب وقت ممكن. حيث تعرض نائب رئيس الهيئة لاوليانغ والذي كان يدوام خلال فترة الإجازة لظرف طارئ، إذا توفت أمه صباح اليوم متأثرة بانسداد عضلة القلب. وما إن أُطلع أفراد العائلة على محتوى الرسالة، حتى بقوا في أماكنهم مذهولين. وقالت الزوجة:

- فرحة ما تمت.

وقال ما جونج تشنغ متنهداً:

- ليتني لم أشغل منصب نائب رئيس الهيئة، وقد حرمني من الاستمتاع بهذه الرحلة البعيدة.

ولكن بصرف النظر عن سبب العودة المفاجئة، سواء بسبب موت والدة لاوليانغ أم لأسباب أخرى، فلا يمكن رفض طلب رئيس الهيئة. وانتهت العائلة بعد دراسة الأمر إلى: أولاً: أن تواصل العائلة برنامج زيارة "تمثال آلهة البحار"، حتى لا تضيع عليهم تكاليف الرحلة، ثانياً: أن يعود ماجونغ تشنغ بمفرده إلى جهة عمله. فلم يجد ماجونغ تشنغ بداً إلا أن قال متعجباً:

- حتى المسؤول لا يملك قراره بنفسه.

وتابع:

- إلى اللقاء في المرة القادمة يا آلهة البحار.

-3-

فحمل ماجونغ تشنغ حقيبته متوجهاً إلى محطة الحافلات بمنطقة "تمثال آلهة البحار"، واستقل الحافلة إلى عاصمة المقاطعة. ثم ركب سيارة أجرة إلى محطة القطارات. وما إن اشترى تذكرة القطار، حتى داهمه الجوع، فخرج من المحطة متوجهاً صوب أحد المطاعم في الجهة المقابلة لميدان المحطة، وتناول سلطانية من المعكرونة الساخنة، ثم جلس على حافة الفسقية التي تتوسط الميدان يأخذ قسطاً من الراحة، ويتابع الرائحين والغادين. حتى جاءه رجل نحيل كالقرد وقال:

- ما رأيك أن تذهب معي لغسل قدميك لتخفيف عناء الرحلة.

ففهم ماجونغ تشنغ أنه أحد سماسرة المحلات، فرد قائلاً:

- ليس لدي وقت.

- يبدو من لهجتك أنك لست من أهل هذه المقاطعة. وطالما أنك قادم من بعيد، فأرى أن تبحث عن إحداهن للتسلية والتخفيف من وطأة الوحدة.

فهز ماجونغ تشنغ رأسه بالرفض.

- محلنا قريب من هنا. تابع الرجل.

فهز ماجونغ تشنغ رأسه بالرفض ثانية.

- وجميع العاملات جميلات. تابع الرجل.

فألقي ماجونغ تشنغ نظرة إلى هاتفه، فإذا به يكتشف أن أمامه

ثلاث ساعات لاستقلال القطار. ثم أخذ يفكر في أنه طالما ينتظر في هذا المكان، كما أن الوقت يصادف إجازة العيد إلى جانب احتفاله بالترقية، فيجب أن يرفه عن نفسه بعض الشيء، فقال:

- وهل المكان آمن؟

- آمن تمامًا. رد الرجل النحيل.

وتابع:

- وحرصنا على أمنه ليس لأجلك وإنما حفاظًا على أنفسنا. فأنت تزورنا زيارة سريعة، أما هذا المكان بالنسبة لنا فهو مصدر دخلنا اليومي.

فشعر ماجونغ تشنغ أن الرجل محق في ما قال، ثم نهض.

-4-

وقاد الرجل النحيل ماجونغ تشنغ إلى أحد الشوارع خلف المحطة. إلى مكان أكثر هدوءاً مقارنة بصخب الميدان أمام المحطة. ومنه إلى أحد الأزقة الداخلية. وإلى جانب بوابة محل غسيل الأقدام رأى عمود إنارة، وبالداخل امرأة خمسينية ترتدي جورباً طويلاً، والتي استقبلته بابتسامة عريضة قائلة:

- أهلاً يا أخي، استرح لتتناول قليلاً من الشاي.

وأثناء الحديث، خرج الرجل النحيل. فيما توجهت المرأة الخمسينية صوب ثلاجة المياه وسكبت كوباً من الشاي في كوب ورقي، وقدمته لماجونغ تشنغ قائلة:

- وما نوع الخدمة التي تفضلها يا أخي خدمة عادية أم شاملة.

ففهم ماجونغ تشنغ أنها تقصد بالخدمة العادية غسيل وتدليك القدمين، أما الخدمة الشاملة فتشمل الخدمة الخاصة برفقة إحداهن. فقال وهو ينفخ في كوب الشاي:

- بصرف النظر عن نوع الخدمة، يجب أن أرى أولاً من يقدمها.

فندت عن المرأة ابتسامة، ثم نادى على إحداهن:

- تعالي يا شياوتسوي، لديك زبون.

فانتفتحت الستارة عن امرأة تدعى شياوتسوي، وما إن ألقى إليها نظرة خاطفة حتى خمن أنها هي أيضاً خمسينية يصطبغ وجهها بالمساحيق، التي كانت تتساقط عندما تبتسم. فقال ماجونغ تشنغ

بخيبة أمل:

- هذه هي؟

وتابع:

- هل يمكن تغييرها بأخرى؟

- جميع الأخريات. قالت صاحبة الجورب الطويل.

فهنض ماجونغ تشونغ وهو يقول:

- إذاً فلا حاجة لي بها.

فاعترضته صاحبة الجورب الطويل:

- ستعود الشابات بعد قليل، فهل بإمكانك الانتظار؟

- كم سأنتظر؟

- ساعتين على الأكثر. قالت.

فنظر ماجونغ تشونغ إلى الساعة المعلقة على الحائط، فعرف أن أمامه ساعتين ونصف الساعة على موعد القطار، وأنه إذا انتظر ساعتين سيكون أمامه نصف ساعة فقط، وهو الوقت اللازم للحاق بالقطار، فكيف يمكنه الانتظار؟ وما إن همَّ بالمغادرة، حتى استوقفته صاحبة الجورب الطويل، وقالت وهي تشير إلى شياوتسوي:

- فلا تنظر إلى عمرها فقط، فهي تقدم لزيائنها خدمة شاملة.

- كما أنها صاحبة خبرة طويلة. تابعت.

- هذا بالإضافة إلى أن سعر خدمتها أقل من الشابات. أضافت.

فأخذ ماجونغ تشونغ يتفحص شياوتسوي، وبالرغم من سنها الكبير، لكن كان لها وجه جميل، تطل منه طيبة ساذجة، إلى جانب

بطن ليس كبيراً، وردفين ممتلئين. ولم يكن المرء ينتبه إلى هذا كله إلا إذا أمعن النظر في تفاصيلها، ليحدها لا تزال تتمتع بجاذبية. فقال متردداً:

- وكم يقل سعرها مقارنة بالشابات؟
- أي خدمة تقصد؟ قالت صاحبة الجورب.
- سأكتفي بغسل القدمين. قال.
- الشابة بخمسين يواناً، وهي بثلاثين فقط.

اصطحبت شياوتسوي ماجونغ تشنغ إلى إحدى الغرف، ثم أتت بطبق ماء ساخن لتقوم بغسل قدميه. وقبل البدء في ذلك، قامت بنقع قدميه في الماء الساخن، بينما راحت تدلك له قدميه وهما في الماء الساخن. حيث بدأت بتدليك أسفل القدم حتى الركبة، ثم تابعت بتدليك المفصلين، ثم أعلى الركبة، ثم واصلت إلى أعلى حتى الفخذ. وقالت شياوتسوي:

- ما رأيك يا أخي أن أقدم لك خدمة خاصة؟

- قلت إنني لا أرغب في ذلك. يرد.

- إنه موسم الاحتفال بالعيد، فلتكن خدمة خاصة يا أخي. تقول.

فأخذ ماجونغ تشنغ يتفحصها عن قرب، لتتكشف له تجاعيد وجهها. ثم مضى يفكر في عضوه إذا ما أقدم على فعل شيء مع هذه السيدة الخمسينية، ولم يشعر بأي ردة فعل من ذلك العضو. ويبدو أنها فطنت إلى ما يشغل تفكيره، فقالت:

- إذا لم تكن لديك رغبة في ذلك، فيمكن أن نكتفي بالمداعبة التي أحسنها تمامًا.

وما إن استمع إلى قولها "المداعبة"، حتى دق قلبه. فعدم وجود ردة فعل من عضوه ليست دليلاً على حيوية الجزء الأعلى من جسده. ثم يفكر في زوجته الشرسة وابنه وابنته البالغين، وأنه لم يقترب من زوجته منذ خمس سنوات. ولكن يبدو أن عضوه بدأ يستجيب لمحاولاتها، فقال ماجونغ تشنغ:

- وبكم هذه المداعبة؟

- بنفس سعر الخدمة الخاصة، ثلاثمئة يوان، فكما تعلم يا أخي أن المداعبة تتطلب جهداً يفوق الخدمة الخاصة.

- لا حاجة لي بها، فهذا السعر مبالغ فيه.

- كم تريد أن تدفع؟

- مئة يوان.

فردت شياوتسوي بابتسامة هادئة:

- بإمكانك أن تسأل في أرجاء الصين كافة يا أخي، فكيف تكون هناك مداعبة بمئة يوان؟

- ولن أختلف معك يا أخي، ولتدفع مئتي يوان. وهذا فقط لأنك أول زبون أستقبله اليوم. تابعت.

ففكر ماجونغ تشنغ قليلاً، ولم يصدر عنه أي ردّ وكأنه قبل بالسعر. فمدت إليه يدها قائلة:

- أرجو أن تعطيني المقابل أولاً يا أخي.

- لك ذلك بعد أن ننتهي، فهل تظنين أنني سأهرب منك؟

- يجب أن نتفق أولاً حتى نطمئن نحن الاثنان.

ففتح ماجونغ تشنغ حقيبة ظهره وأخرج منها محفظته، ثم استخرج منها مئتي يوان أعطاها لشياوتسوي. فأخذت هي المبلغ ودسته في صدرها، قبل أن تأخذ بالمنشفة لتجفيف قدميه وهي تقول:

- انتظر يا أخي، سأخرج قليلاً لأتھياً لك.

فرقد ماجونغ تشنغ في السرير يستريح. وبعد لحظات دخلت شياوتسوي تحمل بيدها كوبين من الماء وعلبة مناديل مبللة، وكان أحد الكوبين ممتلئاً بالماء الساخن ويصعد منه البخار. ثم وضعت ذلك كله فوق الخزانة، وبدأت تساعد في خلع بنطاله، قبل أن تبدأ في تنظيفه بالمناديل المبللة، حتى بدأ عضوه يتفاعل مع حركاتها. ثم أخرجت من حمالة صدرها واقياً ذكرياً وهمت بوضعه على عضو ماجونغ تشنغ. فاعترض يدها قائلاً:

- وما حاجة المداعبة بمثل هذا؟

- هذا لأنني أعاني منذ أمس بقرحة في الفم وأخشى أن أنقل لك العدوي يا أخي.

فما إن سمع ردها، حتى استجاب ماجونغ تشنغ وسمح لها بوضع الواقي، ثم أمسكت شياوتسوي بكوب الماء الساخن وأخذت منه رشفة ورشتها على عضو ماجونغ تشنغ، قبل أن تبدأ في مداعبته. هكذا حتى بدأ جسده يرتعش، ثم استجاب عضوه لحركاتها وانتصب. وبما أنه لم يفعل ذلك منذ مدة طويلة، فقد شعر باستتارة ورغبة شديدة في ذلك، حتى نزع الواقي. وبينما هو يلهث فوق السرير، دفع أحدهم باب الغرفة، فإذا بهم أربعة رجال أشداء، فصاح أولهم:

- الشرطة.

فبقي ماجونغ تشنغ مذهولاً في مكانه. وما إن أفاق حتى قفز من فوق السرير محاولاً الهرب، فقبض عليه رجال الشرطة وطرحوه أرضاً.

واقطاده رجال الشرطة إلى مدخل محل غسل الأقدام، ثم إلى سيارة ميني فان، وركبت معه السيارة شياوتسوي والسيدة الخمسينية صاحبة الجوارب الطويلة. كما ألقى أحد رجال الشرطة بحقيبة ماجونغ تشنغ داخل السيارة.

وبعد عشر دقائق، وصلت السيارة إلى إحدى الساحات. فظن ماجونغ تشنغ أنهم داخل أحد أقسام الشرطة، قبل أن يرى على واجهة مدخل الساحة لافتة مكتوبًا عليها "دورية أمن المحطة"، كما لاحظ أن الرجال الذين اقتادوهم إلى هنا يرتدون ملابس عادية، فأدرك من فوره أنهم ليسوا من رجال الشرطة، وإنما من أفراد أمن الطرق. ثم نزل ماجونغ تشنغ والسيدتان من السيارة، قبل أن يزوج اثنان من الرجال الأربعة بالسيدتين في غرفة، بينما زوج الآخران بماجونغ تشنغ في غرفة مجاورة. ثم دفع به أحدهم إلى الحائط، وأخذ يفتش ملابسه، فيما انشغل الثاني بتفتيش حقيبته. ثم دخل إليهم رجل ثالث قصير وسمين ممسكًا في يده بكوب شاي، وما إن رآه الرجلان حتى صاحوا في صوت واحد "أيها الرئيس". فقال الرئيس وهو يتفحص ماجونغ تشنغ:

- ماذا به؟

- قبضنا عليه وهو يمارس البغاء. رد أحدهم.

- لم أفعل. قال ماجونغ تشنغ في عجالة.

فألقي الرجل الثاني بورقة جريدة على الأرض ليكشف عن الواقى

الذكرى قائلاً:

- هذا هو الدليل، فهل ترغب في إجراء تحليل DNA؟
- ما قمت به لم يتعدّ المداعبة، وهذا لا يندرج تحت ممارسة الدعارة. قال مدافعاً عن نفسه.
- وهذا ما قام به كلينتون آنذاك، وحكمت المحكمة بأن ما قام به مثله مثل العلاقة الكاملة. قال رئيس الدورية.
- بينما قال الرجل الذي كان يفتش حقيبة ماجونغ تشنغ، وقد عثر بداخلها على هويته:
- مهلاً، مهلاً، إنه ليس شخصية عادية.
- ماذا تقصد؟ قال الرئيس.
- إنه أحد قيادات الدولة، بل ونائب رئيس إحدى الهيئات الحكومية.
- فأمسك رئيس الدورية بهوية ماجونغ تشنغ يتفحصها، قبل أن يسأله:
- رجل مثلك من قيادات الدولة، يسافر لممارسة الدعارة خارج بلدته، هل تعرف عقوبة ما فعلت؟
- فتذكر ماجونغ تشنغ اللافتة التي رآها على مدخل الساحة، فقال:
- لستم رجال الشرطة، وليس لكم أي سلطة للقبض عليّ.
- لا عليك، هذه هي المحطة الأولى في الإجراءات، وبعد قليل سنرسلك إلى قسم الشرطة. رد أحدهم.
- وقال آخر:

- ولا تقلق من قسم الشرطة، كل ما في الأمر أنه سيتم الحكم بحبسك خمسة عشر يوماً، وإعلام جهة عملك وعائلتك بالتهمة الموجهة إليك.

عندئذٍ أحس ماجونغ تشنغ بعرق بارد ينز من ظهره، وقد أدرك أن خضوعه للحبس خمسة عشر يوماً يعني أنه سيصبح لديه سجل إجرامي، كما أن إعلام جهة عمله بالأمر سيؤدي إلى فصله من العمل، وسيصبح أضحوكة الهيئة خاصة أنه لم تمر أيام على توليه منصبه الجديد. اما إعلام عائلته بالأمر، فمعناه أنه سينال أشد العقاب من زوجته الشريرة إذا ما علمت بتهمة في ممارسة الدعارة. وأنها لن ترحمه، وسيقضي بقية عمره في معتقل. بل إن بإمكانه تحمل هذا كله، في حين أن أكثر ما يخيفه تأثير ذلك على ابنه الطالب بالمرحلة الثانوية، وابنته الطالبة بالمرحلة المتوسطة، فكيف سيواصلان تعليمهما إذا ما علم طلاب المرحلتين الثانوية والمتوسطة بأن ماجونغ تشنغ قُبض عليه بتهمة ممارسة الدعارة؟ وهكذا سينتشر الخبر حتى يعلم جميع أهالي مدينة أنه فُصل من عمله لاتهامه بممارسة الدعارة، فكيف سيقضي بقية حياته بينهم؟ فغير ماجونغ تشنغ موقفه في الحال، وقال متوسلاً لرئيس الدورية:

- هل بالإمكان أن نجد حلاً آخر أيها الرئيس؟

- أي حل تقصد؟ رد الرئيس.

- الغرامة. يرد ماجونغ تشنغ.

- لا تقلق، فهذا ما ينتظر في قسم الشرطة الحبس والغرامة معاً. قال أحدهم.

فقال ماجونغ تشنغ متوسلاً لصاحب الرد:

- أقصد أن يتم تغريمي هنا، ومن ثم إطلاق سراحي.

فقال الرئيس غاضبًا:

- نحن هنا لتنفيذ القانون، ليس لتمثيل أدوار مسرحية، خذوه إلى محبسه!

فتقدم اثنان من أفراد الدورية وأمسكوا بماجونغ تشنغ. فقال متوسلاً:

- إخوتي، هذه أول تهمة تنسب لي، أرجو أن تمنحوني فرصة.

- كما أن لديّ والدي وأسرتي الصغيرة، فكيف سأقضي بقية حياتي إذا انتشر هذا الخبر؟ فلن يكن أمامي سوى الانتحار.

ثم سقط على الأرض وتشبث بأرجل الطاولة، مصراً على عدم الخروج من الغرفة. ولما رآه الرجلان على هذه الحالة، تركاه وشأنه. وقال أحدهما:

- أيها الرئيس، يبدو أنه حديث عهد بالجرائم، فما رأيكم أن نمنحه الفرصة هذه المرة؟

وقال الآخر:

- كما يبدو أنه لن يكون أمامه سوى الانتحار إذا ذاع أمره بين الناس.

فقال ماجونغ تشنغ مؤمناً على كلامهما:

- من المؤكد أنني سأنتحر.

- كما أن الجميع يميل حالياً لتطبيق روح القانون. قال أحدهم.

فنظر رئيس الدورية إلى ماجونغ تشنغ الملقى على الأرض، وقال
متظاهراً بأنه غارق في التفكير:

- ولكن الأمر ليس بهذه السهولة.

إلا أنه مجرد التفكير يعني أنه وافق على الفكرة، فقال ماجونغ
تشنغ في عجالة:

- شكرًا لك أيها الرئيس، شكرًا أيها الرئيس.

فركله أحدهم بقدمه قائلاً:

- وإذا قبلنا بتغريمك، فكم ستدفع؟

- كل ما تحتوي عليه محفظتي. رد ماجونغ تشنغ.

بينما انشغل أحدهم بتفتيش محفظة ماجونغ تشنغ، ثم قال:

- ألفان وأربعمئة يوان.

عندئذٍ نهض ماجونغ تشنغ على الفور، وقال بوجه عابس:

- لن تتركوا لي مصاريف الطريق؟

فقال رئيس الدورية بعد أن وضع كوب الشاي فوق الطاولة:

- هل تعتقد أننا نساومك؟ خذوه إلى محبسه؟

فقال ماجونغ تشنغ في عجالة:

- حسنًا لا داعي، لا داعي.

وقال أحدهم يلومه على ما قال:

- تَبَّ لك.

ثم تابع وهو يشير إلى المحفظة:

- فلا يزال لديك البطاقة البنكية، أليس كذلك؟

فأخذ ماجونغ تشنغ المحفظة، ثم طلب منهم هويته الشخصية، وحمل حقيبته ولاذ بالفرار. إلا أنه توقف عند مدخل الساحة، وأخذ ينظر إلى رئيس الدورية والرجلين اللذين كانا برفقته. فقال أحدهما:

- ماذا بك؟ أندمت؟ هل ترغب في الذهاب إلى قسم الشرطة؟

فأشار ماجونغ تشنغ إلى الواقي الذكري الملفوف في ورقة جريدة فوق الطاولة قائلاً:

- هل تسمحون لي بأن آخذ هذا معي؟

فضرب أحدهم على الطاولة وقال غاضباً:

- اتركه مكانه، هذا هو دليل الجريمة، حتى لا تعود وتفترى علينا.

- سأتركه، سأتركه. قال بوجه عابس.

ثم استدار مغادراً.

عاد ماجونغ تشنغ إلى محطة القطار، وجلس يستريح عند الفسقية. وأخذ يفكر في ما حدث وكأنه كابوس. فقد مر بلحظات صعبة، كادت أن تجبره على الانتحار. ولكن لحسن الحظ أنها مرت بسلام، وبالرغم من خسارته أكثر من ألفي يوان، إلا أنه اشترى بها سلامته، وصدق من قال ”هين قرشك ولا تهين نفسك“. وعندما أعاد التفكير في ما حدث، وجد أن فريق الدورية كانوا رحيمين به، ولم يتمادوا في ابتزازه، فهل كان سيمانع إذا أجبروه على سحب عشرة أو عشرين ألف يوان من بطاقته البنكية؟ وهل كان سيقبل بضياع وظيفته وسمعته مقابل عشرة أو عشرين ألف يوان.

وبعد أن أخذ قسطاً من الراحة، أخرج تذكرة القطار التي كانت بحوزته، وقد تحرك القطار المدون عليه رقمه منذ وقت طويل. فأخرج المحفظة من الحقيبة، ثم استخرج منها البطاقة البنكية، وتوجه إلى أقرب ماكينة سحب أموال وسحب منها ألف يوان، ثم قصد شبك التذاكر لتغيير التذكرة، فدفع الفرق بين التذكرتين وحصل على تذكرة جديدة، ليجد أن أمامه ثلاث ساعات على تحرك القطار. ولما لم يكن أمامه هدف يذهب إليه خلال الساعات الثلاث حتى موعد القطار، فعاد إلى مكانه عند الفسقية. عندئذٍ تذكر شياوتسوي وصاحبة الجوارب الطويلة اللتين قبض عليهما معه، ولا يعرف ماذا جرى لهما، ربما قامتا بدفع الغرامة مثله، أو تم إرسالهما إلى مركز الشرطة. فما هم إلا غرباء جمع بينهم مصير واحد. فقد تكونان السبب في ما لحق به، وربما يكون هو السبب في ما أصابهما. فإذا لم يذهب ماجونغ تشنغ إلى محل غسل القدمين، لما تم القبض

على السيدتين. ووسط هذه المشاعر التي سيطرت عليه للحظات، وقف من فوره متوجهاً إلى خلف المحطة، قاصداً ذلك المحل الذي التقى فيه بهما، لمعرفة ما أصابهما. ولم يكن يجرؤ على دخول المحل ثانية، ولكن بإمكانه النظر إليه من بعيد، أليس كذلك؟ ومضى يفكر وهو يقترب من المكان، حتى رأى ما أصابه بالذهول، فإذا به يرى عمود الإنارة يتحرك كعادته، والضوء ينبعث من داخل المحل، واكتشف أن المحل لا يزال مفتوحاً لاستقبال الزبائن. فبدأ يساوره الشك، وود أن يدخل ليتبين حقيقة الأمر، ولكنه لم يتحرر من خوفه من هذا المكان بعد وقد ألقى عليه القبض بداخله، ففضل أن يراقبه عن بُعد. لحظات ورأى الرجل النحيل الذي كان قد قاده إلى هنا يخرج من باب المحل، ومضى في الزقاق صوب الشارع الرئيس. فاخْتَبأ ماجونغ تشنغ بظل الحائط، وانتظر حتى خرج الرجل النحيل إلى الشارع ثم تبعه إلى حيث يمضي. وعندما سار الرجل النحيل بين مجموعة أشجار في إحدى الحدائق، نظر ماجونغ تشنغ من حوله فلم يجد أحداً من المارة، فاقترب منه وربت على كتفه قائلاً:

- أريدك في أمرٍ ما يا أخي.

فاستدار الرجل النحيل وأخذ يتفحص ماجونغ تشنغ، فدهش قبل أن يرد بثبات:

- ومن أنت؟ فأنا لا أعرفك.

- لا داعي للإنكار. قال ماجونغ تشنغ وهو يقبض على ذراع الرجل بقوة.

- اتركني وشأني، هل تريد سرقتي؟ اتركني وإلا سأصرخ بأعلى صوتي. قال الرجل وهو يحاول الإفلات منه.

- لا أريد سرقتك، بل سأعطيك مئة يوان.

- اتركني.

- بل مئتي يوان.

- قلت اتركني.

- ثلاثمئة يوان.

- ماذا تريد مني؟ قال الرجل.

- أن تجيب عن سؤالي، هل كنت تخطط لشيء ما عندما أخذتني إلى محل غسل القدمين؟

فقال الرجل وهو يتفحص ماجونغ تشنغ:

- أعطني النقود أولاً.

فأخرج ماجونغ تشنغ محفظته، وسحب منها ثلاثمئة يوان وأعطاهما له. فقال النحيل وهو يدس النقود في جيبه:

- لقد كشفت أمرنا يا أخي، فما نحن إلا سماسرة.

- وهل لكم علاقة بأفراد الدورية الأمنية؟ قال ماجونغ تشنغ.

- وكيف تنجح خطتنا إذا لم تكن بيننا وبينهم علاقة؟ هذا ما يُعرف بالسمسرة النظامية. فما إن دخلت الغرفة حتى تم إعلام أفراد الدورية.

فهز ماجونغ تشنغ رأسه بالإيجاب، وقد فهم كل شيء. فلم يكن القبض عليه بتهمة ممارسة الدعارة عدم حرص منه، وإنما لأنه وقع في فخ هؤلاء. ومن ثم فإن ما قامت به شياوتسوي قبل المداعبة ووضع

الواقى الذكري كان جزءاً من خطة مسبقة، ليجدوا الدليل المناسب لمحاسبته وفق القانون، كما أن ما ذكرته شياوتسوي حول إصابتها بالقرحة الفموية كان كذباً. فيا له من فارق كبير بين عرضهم عليه لممارسة الدعارة بمئتي أو ثلاثمئة يوان وتغريمه ألفين وأربعمئة يوان. فيا لها من جريمة شنعاء تلك التي يقوم بها شياوتسوي والسيدة صاحبة الجوارب الطويلة وأفراد الدورية والرجل النحيل. ولكن يبقى أنه غريب تماماً على هذه البلدة، والواقى الذكري بيدهم الآن، وبالرغم من أنه كشف خطتهم، إلا أنه يبدو كالأخرس يشعر بالوجع ولا يستطيع التعبير عما بداخله، فلم يجد بداً إلا أن قال متحسراً:

- إن ما تقومون به غير أخلاقي تماماً.

- ودعك مما تقومون به تحت اسم غسل الأقدام، فإن ما يقوم به أفراد الدورية الأمنية كجهة حكومية بالتواطؤ معكم، هو استغلال واضح للسلطة، أليس كذلك؟ تابع ماجونغ تشنغ.

فمطّ النحيل شفّتيه قائلاً:

- هم أيضاً يسعون لزيادة دخولهم. فهناك معايير محددة يضعها لهم رؤسائهم. فكيف سيحصلون على المعونات والمكافآت إذا لم يسعوا لذلك؟ كما أن هناك معايير يضعونها لنا شهرياً.

- وكيف يتم تقسيم النقود في ما بينكم؟ يسأل ماجونغ تشنغ.

- نحن نحصل على عمولتنا فقط، مئة يوان لكل فرد منا، والباقي كله من نصيبهم. يرد.

- فجعل ماجونغ تشنغ يحسب مع نفسه مبلغ ألفين وأربعمئة يوان

التي دفعها لهم، فإذا كان سماسرة محل غسل القدمين حصلوا على ثلاثمئة يوان، فإن ذلك يعني أن أفراد الدورية حصلوا منه على ألفين ومئة يوان. ثم قال:

- وكيف ترضون بهذه النسبة الضئيلة جدًّا؟

- لأنهم هم المسؤولون عن أمن هذه المنطقة، وكيف سيكون بإمكاننا إدارة محل غسل القدمين إذا لم ننصع لأوامرهم؟
ففهم ماجونغ تشونغ ما يقصده النحيل، ثم قال وهو يدق الأرض بقدمه غاضبًا:

- حقًّا إن الجميع فاسدون.

وعندما رآه النحيل على هذه الحالة، قال مواسيًّا:

- فلا تنظر إلى خسارتك هذا المبلغ اليوم، فأنت في واقع الأمر لم تخسر شيئًا.

- ماذا تقصد؟ قال ماجونغ تشونغ.

- هل تعرف السيدة التي قامت بخدمتك؟

- ما هي إلا عجوز فوق الخمسين.

- هل تعرف اسمها؟

- اسمها شياوتسوي، أليس كذلك؟

- هذا هو الاسم الذي تستخدمه مع زبائننا، أما اسمها الحقيقي فهو كانغ شويينغ.

- ومنْ تكون كانغ شويينغ؟ قال ماجونغ تشونغ.

- هل تعرف تلك القضية التي هزت البلاد العام الماضي؟ قضية المحافظ لي آن بانغ الذي حُكم عليه بالسجن المؤبد بتهمة الاختلاس والفساد، إنها زوجته.

فأحس ماجونغ تشنغ بأن رأسه كاد أن ينفجر. وقد كان يتابع باستمرار قضية لي آن بانغ التي هزت البلاد العام الماضي، وباعتباره من قيادات الدولة، كان ماجونغ تشنغ مهتمًا بفضائح كبار المسؤولين، ولكنه كان يعرف فقط أن لي آن بانغ حُكم عليه بالسجن المؤبد، فكيف كان يتخيل أن يلتقي بزوجته هنا، بل ويفعل معها ما فعل؟ فقال ماجونغ تشنغ متلعثمًا:

- وما الذي أتى بها إلى هنا؟

- حُكم على ابنها بالسجن لاتهامه في حادث سير، وهو الآن يقضي العقوبة في سجن الأحداث القريب من هنا، وبما أن هذه البلدة تبعد عن مسقط رأسها، فقد فضلت البقاء هنا، لتتمكن من زيارته مرة واحدة شهريًا. رد النحيل.

- ولكن رغبتها في زيارة ابنها لا يمكن أن تجبرها على العمل عاهرة. قال ماجونغ تشنغ.

- ما أسهل الكلام، هل فكرت في أن الإقامة في مكان غريب يتطلب الكثير من المال للطعام والشراب... إلخ؟

- حتى وإن كانت بحاجة للمال، فبإمكانها أن تبحث عن عمل آخر، أليس كذلك؟

- نعم بإمكانها ذلك. كأن تعمل مثلًا في غسيل الصحون بأحد المطاعم مقابل ألفي يوان في الشهر، ولكن هذا سيكفي فقط لزيارة

ابنها، يبقى أن لي آن بانغ يقضي عقوبته بسجن تشين تشنغ⁽²¹⁾،
وبالتالي عليها السفر إلى بكين مرة كل شهر.

وتابع:

- هذا بالإضافة إلى أن ابنها يرغب في تقليص عقوبته، والعودة
إلى السلوك القويم، وهذا يتطلب أن تدفع لأحدهم مبلغاً لإنهاء الأمر،
أليس كذلك؟

- كما أن عملها هذا يتميز بالكسب السريع. أضاف النحيل.

فهز ماجونغ تشنغ رأسه بالإيجاب، وقد تفهم محنة كانغ شوبينغ،
لكنه قال:

- حتى وإن كانت في أمس الحاجة إلى المال، فإن هذا لا يسمح لها
بإيذاء الآخرين.

- لم تصل بك الأمور إلى هذا الحد بعد. فكم هي مسكينة، فلم يعد
يطلبها الزبائن بسبب كبر سنها، وبالتالي لا تحصل على الكثير من
المال، وإنني لأراها تبكي في منتصف الليل وهي تحصي ما جمعته.
يقول النحيل.

- وهذا ما يعلم به عدد من عمال المحل فقط، ولم أكن أخبرك
بشيء لولا المبلغ الذي أعطيتني إياه، فهل تشعر بالرضا الآن وقد
خدمتك زوجة محافظ؟ يتابع النحيل.

كان هذا آخر ما قاله النحيل قبل أن يغادر. وترك ماجونغ تشنغ

21- سجن تشين تشنغ: أحد أشهر السجون في الصين، يقع في منطقة جبلية شمال مدينة بكين، سُجن به العديد من كبار المسؤولين الصينيين، من بينهم عدد من قادة الحزب الوطني، أعضاء عصابة الأربعة وتشنغ كه جيه الذي تولى رئيس منطقة قوانغشي ذاتية الحكم وأحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، ويطلق عليه "سجن الصين الأول". (المترجم)

وحيثاً شاردًا. حقًا إنها دنيا غدارة، ثم هز ماجونغ تشنغ رأسه متعجبًا. فقبل أن يعرف أنها كانغ شوبينغ، كان يراها شريرة مثلها مثل هؤلاء الذين يسمسون باسم القانون، وما إن عرف حقيقتها، حتى تغيرت نظرته ورأيه فيها. وقبل أن يعرف أنها كانغ شوبينغ، كان يشعر بالظلم للمبلغ الذي سلبوه إياه، وبعد أن عرف حقيقتها بدأ يشعر بأن ما حدث بينه وبينها يستحق التضحية بهذا المبلغ. وإلا لما كان لنائب مدير أحد مكاتب البيئية مثله، على درجة مساعد سكرتير أن يلتقي طول حياته بمحافظ، ناهيك عن هذه العلاقة الحميمة مع زوجة محافظ. وأصبح يرى الآن أن هناك موضعًا ما جمعه بأحد المحافظين. بل ويشعر بأنه قد أطفأ النار التي كانت تشتعل في صدره بتمكنه من زوجة المحافظ. بل إنه إذا كان يعرف من البداية أنها زوجة لي آن بانغ، لما تردد في أن يكمل معها العلاقة حتى النهاية، وكأنه تقاسمها مع المحافظ نفسه. هذا قبل أن يتذكر فجأة الأخبار التي تداولتها الصحف حول قضية لي آن بانغ العام الماضي، وأن سقوطه كان بسبب علاقة جمعته بامرأة تدعى سونغ تساي شيا، والتي كانت بدورها عاهرة، وكان لعلاقتها به تأثير كبير في كشف ملابسات تلك القضية. وبالرغم من عدم وجود أي علاقة تربط بين ماجونغ تشنغ وبين سونغ تساي شيا، إلا أنه يعتقد أنها ساعدته في هذا الأمر، فعلاقتها بالمحافظ سهلت له علاقته بزوجة المحافظ. فلم يكن يتخيل بحال من الأحوال، أن تكون هناك مثل هذه العلاقات المتشابكة بين أناس غرباء. ومع تطور الأمور إلى هذا الحد، فإن لي آن بانغ وابنه في محبسهما هما فقط اللذان لا يعرفان أن هناك شخصًا اسمه ماجونغ تشنغ، وأنه خلف لي آن بانغ في زوجته. كما أن كانغ شوبينغ لا يمكن أن تخبر ابنها وهي تزوره في سجن الأحداث بعملها الحقيقي، كما لا يمكن أن تخبر زوجها المسجون

بعيداً بسجن تشين تشنغ شيئاً عن عملها في غسل القدمين. ثم طراً بباله أنه ليس الوحيد الذي خلف لي آن بانغ في زوجته، حيث إنها تستقبل الكثير من الزبائن يومياً، ولا يعلم عدد أولئك الذين فعلوا معها ما فعل؟ وبالتالي فإن سونغ تساي شيا لم تساعده هو فقط، بل إنها ساعدت الكثيرين أمثاله. فها هي القضية التي هزت البلاد العام الماضي ترتبط بهذا المحل لغسل القدمين، عاهرة تسببت في أن تتحول زوجة محافظ إلى عاهرة، يا له من أمر غريب، هكذا فكر ماجونغ تشنغ. فمن الغرابة بمكان أن يستغل أفراد دورية أمنية العاهرات كسماسرة. والغرابة هنا أن يعتمد البعض الغرابة كعمل، بل إن الغرابة تتعدى أن يعتمدها بعضهم كعمل، وإنما الغرابة تتمثل في أن ينفق أفراد الدورية الأمنية من هذه الأموال على عائلاتهم، وأن تعيش زوجاتهم عليها. فالجميع يمارس هذه الغرابة ويتعايش معها بشكل أو بآخر، حتى أصبحت أمراً عادياً، أليس كذلك؟ ولكن على كل حال فإنه يشكر هذه الغرابة التي ساعدته اليوم على تجاوز هذا المأزق الذي تعرض له. وإلا فترى أين سيكون الآن إذا وقع في يد أفراد دورية ممن يلتزمون بتطبيق القانون؟ ربما كان محبوساً في السجن، قبل أن يؤدي ذلك إلى تدمير حياته العملية والعائلية. وبالتالي فإن الفضل في نجاته اليوم ربما يعود إلى زوجات أفراد الدورية الأمنية، فهؤلاء اللاتي قدمن لكانغ شوبينغ وله طوق النجاة، وإلا لانتتهت حياتهما إلى مسارين مختلفين.

فما هذا الذي يحدث معه؟

ثم أخذ ماجونغ تشنغ تنهيدة عميقة.

-8-

من جديد عاد ماجونغ تشنغ إلى المحطة، وجلس يستريح عند
الفسقية. وبينما هو شارد الذهن، جاءه اتصال من زوجته:

- هل ركبت القطار؟

فقطع ماجونغ تشنغ حبل أفكاره ورد بهدوء:

- تمكنت للتو من شراء تذكرة. بعد أن فاتني أكثر من قطار بسبب

زحام العيد. ماذا بك؟

- قبل قليل جاءني اتصال من أمي، تقول بأنه قد عاودتها آلام
الظهر، فيجب أن تأخذها لعيادة الطب الصيني عقب عودتك إلى
البيت. قالت.

- حسناً. يقول.

- ولا تنس أن تضع الطعام في حوض السمك، وأن تسقي أحواض
الزهور، إياك والكسل.

- حسناً.

ثم أغلق الخط، وقد شعر بسعادة كبيرة أن جاءه الاتصال في هذا
التوقيت، فإذا جاءه قبل ساعة من الآن لوجده بين يدي أفراد الدورية
الأمنية، ولاستقبله هؤلاء وفضحوا أمره. ولكن ها هي الأمور رغم
خطورتها تمر بسلام. فأخرج ماجونغ تشنغ لسانه قائلاً:

- يا للخجل.

عندئذٍ اقترب منه رجل سمين، وقال وهو ينظر إلى ماجونغ تشنغ:

- ما رأيك يا أخي أن تذهب معي لغسل قدميك لتخفيف عناء الرحلة.

فهز ماجونغ تشنغ رأسه بالنفي.

- المحل قريب، وجميع العاملات جميلات. قال السمين.

هز ماجونغ تشنغ رأسه بالنفي.

- إنه موسم العيد، فكيف لا تستجيب للنصيحة يا أخي؟

- هناك أمر ما إذا كشفته لك ربما ستراجع عن نصيحتي. قال

ماجونغ تشنغ.

- وما هو؟

- إنني أدير في مسقط رأسي محلًا لغسل القدمين.

فذهل الرجل السمين، وندت عنه ابتسامة طفيفة، وقال:

- إذا فأنت زميل مهنة.

- وهذا يكفي، صحبتك السلامة يا أخي. تابع.

بكين. 2017